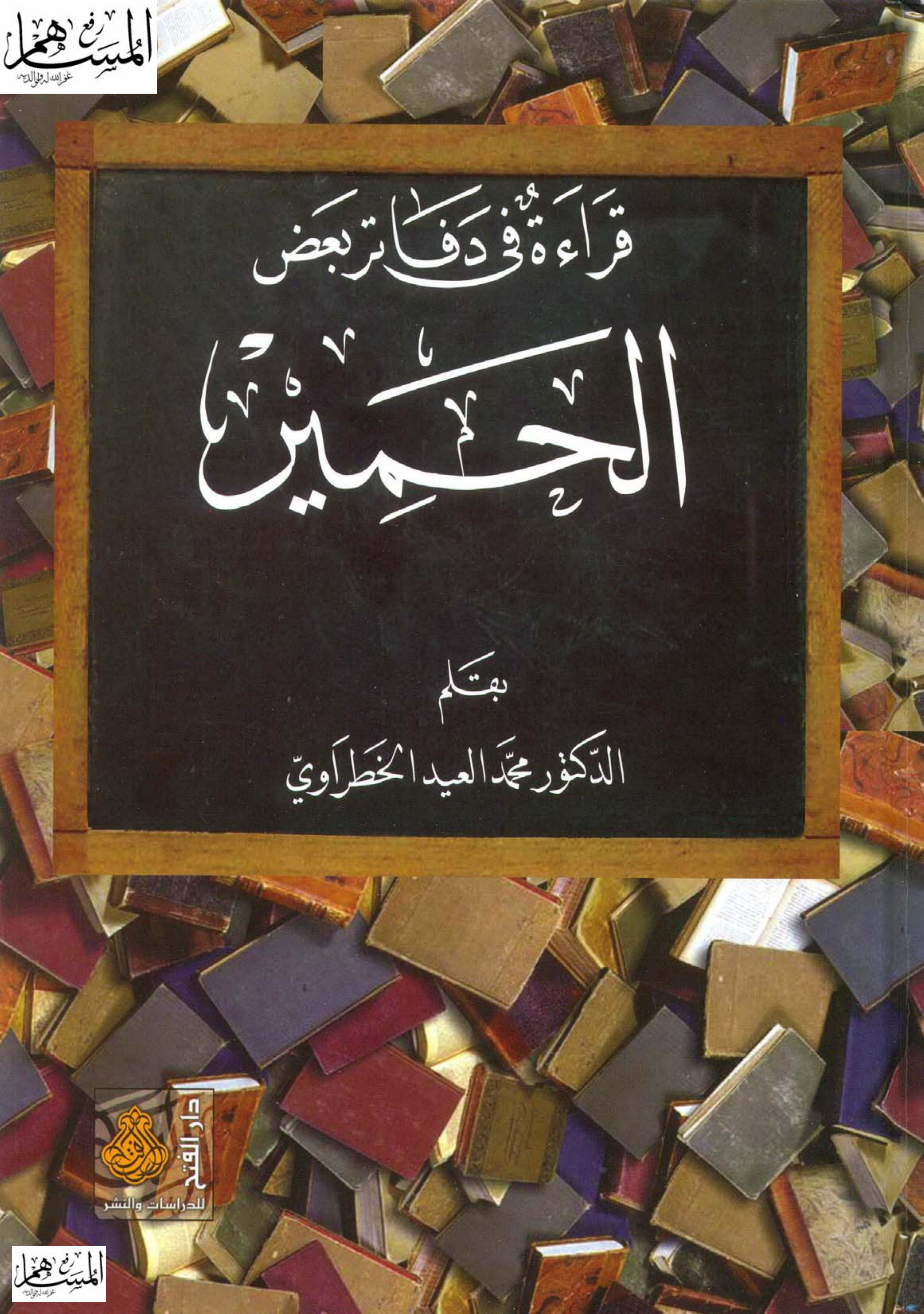


قراءة في دفاتر بعض
الحمير
بقلم
الدكتور محمد العيد الخطراوي
دار الفتح للدراسات والنشر

قراءة في دفاتر بعض الحمير

Readings in THE NOTEBOOKS OF DONKEYS

بقلم
الدكتور محمد العيد الخطراوي



دار الفتح للدراسات والنشر

2 0 0 9

□ قراءة في دفاتر بعض الحمير
تأليف: الدكتور محمد العيد الخطراوي
الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

قياس القطع: ١٧×٢٤
الرقم المعياري الدولي: ٧-١١٨-٢٣-٩٩٥٧-٩٧٨ : ISBN
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: ٢٠٠٨/١١/٤٠٢٤



دار الفتح للدراسات والنشر

تلفاكس ١٩٩ ٤٦ ٤٦ ٤ (٠٠٩٦٢٦)
جوال ٠٥٨ ٠٣٨ ٧٩٩ (٠٠٩٦٢)
ص.ب ١٨٣٤٧٩ عمّان ١١١١٨ الأردن
البريد الإلكتروني: info@alfathonline.com
الموقع على شبكة الإنترنت: www.alfathonline.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى



إهـــداء

إلى كل من ابتُلِي مثلي بمعاشرة الحمير، وضاع صوته وحَشْرج بين أصواتها المنكرة، فكاد أن يكونَها ولَمّا ..! واكتشف آخرَ الرحلة، أن الحياة دون حميرٍ لا تطيب، فذهب يردد قول الشاعر:

فعش حماراً تعش سعيدا　　　فالسعدُ في طالع البهائمْ

وفوَّضَ أمرَه إلى الله العلي القدير، فهو وحدَه الذي ييسر العسير، ويحسن المصير.

وما ند عن لساني أو خطه قلمي هنا أو هناك، وفي صفحات هذا الكتاب بالذات، لا يزيد على كونه آهاتٍ للتنفيس والتخفيف من آلام التعشير وأحلام التشوير.

إنّي إذا ما حـدثٌ أَلـمَّـا　　　أقولُ: ياللَهمَّ، يا للهُـمَّـا

وأسأل الله أن يهدّئ روعتي، ويؤمِّنني من خوفي، فهو وحده أمان الخائفين..

محمد العيد الخطراوي



أنا، والحمـار، وهـواك

منذ أن أسقطني الحمار من فوق ظهره، وأنا في السابعةَ عشْرةَ، وترك آثاره آلاماً مُبرِّحةً في ظهري، ما زلتُ أعاني منها إلى اليوم، ومنذ قرأت وأنا في العشرين قول القاضي الجرجاني:

وعش حماراً تعش سعيداً　　　فالسعدُ في طالع البهائـمْ

منذ ذينك الحينين وشبح الحمار يطاردني، والرغبة في الانتقام منه تقُضُّ مضجعي، وتشُوكُ مقامي ومتكإي، ولذا سُررت جداً حينما حرَموا الحمير من جرّ العربات، ومنعوا الناس من ركوبها واستعمالها للنقل في داخل المدن لأسبابهم الخاصة، التي أثلجت صدري، وحفظت عيني من القذى الذي كان يصيبها من مرأى الحمير، وأعصابي من التشنج الذي كان يطرأ عليها من جرَّاء الشهيق والنهيق.

ولئن حمدتُ لهم هذا الإجراء العادل، فإنني تمنيت أنْ لو شَمَلت إجراءاتُهم المئات من الأحمرة الأخرى التي تضايقنا صباحَ مساءَ، وتقنعنا بتصرفاتها أنها أشدُّ بلاءً من الحمُر الأصلية، وأكثر نعاقاً ونُهاقاً، وعذراً لكل الحمير الفائقين، والمفوَّقين.

ورغم أن الله تبارك وتعالى قَرَنَ بينها وبين الخيل والبغال، وامتنَّ علينا بخلقها، وبأنها للركوب والزينة ونقل الأحمال، فهي من نعم الله على الإنسان، التي يجب أن يقابلها بالحمد والشكر، فإننا جميعاً لا نذكر اسم الحمير إلا ونردِفَهُ بقولنا: (أكرمك الله) وما أشبه ذلك منَ العبارات التي تعبر عن الاستحياء، ولا نفعل ذلك مع الخيل مثلاً، فهل المسؤول عن هذه التفرقة بين البهائم الناس المنعمُ عليهم؟ أم المسؤول عن ذلك



سلوكيات الحمير؟! كيفما كان الأمر، فإنني أفترض أن جهوداً كبيرةً بُذلت لغرس الكره في قلوب الناس للحمير، مما سبّب هذا الانفصال بيننا وبينهم، وأدى إلى اتخاذ القرار بإبعادهم عن مواطئ أقدامنا، وحتى ساحات ألعابنا، لا أقول هذا دفاعاً عن الحمير، كما أنني لا أكتب الآن منافحةً (عنهم)، أو دعوة إلى الرفقة بها، فإنني مثؤور منها موتور، ولكن أفعل ذلك وأقوله طمعاً في تحقيق شيء من العدالة الاجتماعية، ومطالبةً بعدم تصدير الحمير الإنسية، والتمكين لها بين الناس.

* وللحمار وعائلته مجموعة من الأسماء، منها: الحمار والعَيْر، والجحش، والتولب، والأتان، واليحمور، والفنان، والفَرا، وغيرها.

* أما الحمار فهو: العَيْر، أهليّاً كان أم وحشيّاً، والأنثى: حمارة، والجمع: أحمرة، وحُمُر، وحمير، وحُمور، وحُمْر.(قلت: لعله ليس جمعاً أصيلاً في هذا الباب، وإنما هو داخل في عمومِ أنّ الاسمَ المفرد أو الجمع الآتي على وزن (فُعُل) يجوز تسكين عينه: كعُمُر وحُمُر، فيقال: عمْر، وحُمْر، بتسكين الميم فيهما. أما حُمُرات فهي جمع الجمع، هي جمع لحمُر ـ بضم الميم ـ كجزُرٍ وجُزُرات، وطرُق، وطرُقات).

ومن أسماء الحمار أيضاً: العِلْج، وجمعه: العلوج، وأعلاج، ويطلق بصفة أخصّ على الحمار الوحشي السمين، فإذا اتصف الحمار بالضخامة، صحَّ أن نسميه (الجأب).

ويقالُ لصاحب الحمار: حامر، أو حمّارٍ، والجمع: حمّارة، وذلك كخيّال وخَيّالة، وجمّال وجمّالة، وبغّال، وبغّالة، وربما قيل أيضاً في الجمع: حامرة.

والحَمّارةُ من الخيل، هي: التي تعدو عَدْو الحمير، أو أنها الهجينة، منها: التي ساء خَلقها أو خُلقها، وربما كانت هي: البِرْذَون. فلقد قال في «اللسان»: البِرْذَوْنُ من الخيل: ما كان من غير نتاج العِراب، والأنثى: بِرذَوْنة، والجمع: براذين، وهو بطيءٌ في عَدوِه، قال الشاعر:



رأيتُك إذ جالت بك الخيلُ جولةً وأنـت على بِرذَونـةٍ غيـرَ طائــلِ

وفي حديث شُريح: أنه كان يردّ الحمّارة من الخيل، أي: لا يلحقهم بأصحاب الخيل في السهام من الغنيمة، فلا يعطيهم سهمين، بل سهماً واحداً.

قالوا: والفرس المِحْمَرُ: الفرس اللئيم، الذي يشبه الحمار في جريه، من بطئه، والجمع: المحامر، والمحامير. وكل فرسٍ هجينٍ هو: مِحْمَرْ. وتُسمى الحَرَّة: مقيِّدةُ الحمار؛ لأن حجارتها تقيد الحمار الوحشي، وتَعُوقُه عن الجري، فيدركه الصائدون، فكأنها قيدٌ له. وبنو مقيِّدةِ الحمار: هي العقارب، قالوا: لأنها أكثر ما تكون في الحرار، أنشد ثعلب:

لعمرُك ما خشِيتُ على أُبَيٍّ رماحَ بني مقيِّـدةِ الحمـارِ

ولكني خشـيتُ على أُبـيٍّ رمـاحَ الجنِّ، أو إياكَ حارِ

حارِ: ربما كان ترخيماً لحارثة، فأصلها: يا حارثة، خُفِّفَ ترخيماً بعد أن حذف منه أداة النداء، يقول ابن مالك:

ترخيماً احذِفْ آخرَ المنادى كيا سُعا، فيمن دَعَا سُعادَا

* * *

الحمـارة وأنـواعٌ من الحميـر

تتمةً لحديثنا الماضي عن الحمار وأنثاه نقول:

وللحمارة معانٍ أخرى غير دِلالتها على أنثى الحمار، وتُجمعُ على حمائر، منها: خشبةٌ تكون في الهودج.

ومنها: الدلالة على ثلاثة أعواد من الجريد، تشدّ أطرافها العلوية إلى بعضها، ويخالَفُ بين أرجلها، تعلّق عليها الإداوة أو القِربة، ليبرد الماء.

ومنها: الدلالة على حجارةٍ عِرَاض تنصب حول الحوض، لتردّ الماء إذا طغى، كما تنصب حول بيت الصائد، قال حميدٌ الأرقط مشيراً إلى بيت صائد:

أُعدَّ للبيتِ الـذي يسـامـرُهْ   بيتَ حُتوفٍ أُرْدِحَتْ حمائرُهْ

(أُرْدحت حمائره: ثُبِّتت حجارته العراض).

ومنها: الدلالة على ثلاث خشبات، يوثقن، ويُجعل عليهن الرُّطب؛ لئلا يَقْرِضه الحُرقُوص (دويبة قدر البرغوت).

وتصغير الحمار: حُمَيِّر، ومنه توبةُ بن الحُميّر، صاحب ليلى الأخيلية، وكنية الحمار: أبو صابر، وأبو نافع، وأبو زياد، ولذلك قيل في الهجاء:

زيادٌ لستُ أدري من أبوهُ   ولكـنَّ الحمـارَ أبـو زيادِ

وكنية الحمارة: أم محمود، وأم تولب، وأم جحش، وأم نافع، وأم وهبة، وأم الهِنْبر.



والحمير ثلاثة أنواع: أهلي، ووحشي وإنسي.

وسيأتي الكلام عن كل نوع في موضعه إن شاء الله، رغم التشابك بين الأنواع الثلاثة، وتداخل الأوصاف والشيات، وأخطرها جميعاً: الحمار الإنسي.

فأما الأهلي؛ فنوعان أيضاً: نوع يصلح لحمل الأثقال، ونوع ليّن الأعطاف، سريع العدو، يسبق براذين الخيل. فهي على هذا وسيلة نقل وركوب وزينة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل: ٨].

وأجود الحمير: المصرية، ويُشْتَهرُ في الجزيرة العربية الحمارُ الحساوي، (وينطقها بعضهم بالصاد)، والحمار الشَّهري.

ويهتم أهل مصر بتربية الحمير، ويحتفلون بأمرها، ويقيمون لها السباقات الخاصة بها كالخيل، غير أن مكان سباقها لا يسمى مضماراً، وإنما يسمى(الطابق)، ويتكلفون في تزيينها، ويغالون في أسعارها.

قال النويري في «نهاية الأرب»[1]: والجيد منها يباع بالثمن الكثير، فقد بيع منها كما ذكر صاحب كتاب (مباهج الفكر ومناهج العبر) حمارٌ بمائة دينار وعشرة دنانير. [قلت: الدينار كان يقابل المثقال، وهو في نقود عبدالملك بن مروان (٤,٢٥ جرام)، فإذا ضربت ١٠×٤,٢٥ كانت النتيجة؛ أن ثمن الحمار (٤٦٧,٥٠ جرام من الذهب)، فإذا أخذت متوسط سعر الجرام الواحد من الذهب، (الجرام: كلمة عربية تعني نواة التمر، اتخذوا منها وسيلة للوزن، وهو خمسة وأربعون ريالاً، يكون سعر الحمار الواحد (٤٦٧,٥×٤٥=٢١٠٣٧,٥ ريالاً)].

قال النويري: وأما الذي رأيناه نحن منها، فبيعَ بألف درهم، [قلت: الدرهم

(١) نهاية الأرب (١٠: ٩٣).



المرواني يساوي:(٢,٩٧ جرام فضة)، فإذا ضربت (٢,٩٧ × ١٠٠٠) كانت النتيجة (٢٩٧٠ جراماً) من الفضة، هو ثمن الحمار، يضرب في متوسط سعر الجرام (٢٩٧٠ × ١٠ =٢٩٧٠٠ ريال)].

وكثير من أهل مصر والحجاز كان يركبها، وقد أدركنا ذلك في مكة والمدينة، فقد كان اعتماد الركب في المناسبات المختلفة وبخاصةٍ في الرجبية على الحمر، وكذلك في الانتقال بين البساتين (البلدان).

وفي الحالات العادية؛ كان بعض الأعيان يركبونها، مع وجود القدرة على ركوب الخيل والبغال، بقصد كسر غلواء الكبرياء في نفوسهم، وبغية التواضع، وبعضهم يركبها شُحّاً وبخلاً، ويركبها الشباب بقصد التنزه عليها، وذلك لفراهتها وسعة عدوها، بعد أن يزينوها بالقلائد والدناديش، كما كان يُفعل في الأعياد بالحجاز.

وكان الشيخ عبد العزيز البشري أحد مشايخ الأزهر بمصر، وكان رجلاً فكهاً معروفاً بالنكتة وخفة الدم، وسرعة البديهة، كانت له حمارةٌ ينتقل بها من بيته إلى الأزهر، كما يفعل غيره.

وكما توجد الآنَ مواقف للسيارات، كانت توجد آنذاك مواقف للحمير، وذات مرة حضر الشيخ بدون الحمارة على غير عادته، فسأله أحدهم تندُّراً: وأين الحمارة يا مولانا؟ قال الشيخ: إنها في حالة نفاس. قال آخر: لا تنسوا يا مولانا أن تدعونا إلى سابعها. قال الشيخ: آسف! سيكون السابع قاصراً على حمير الحي فقط!

قال في «ثمار القلوب»[1]: (حمير مصر موصوفةٌ بحسن المنظر، وكريم المخبر، وكذلك أفراسها، إلا أن بعض البلاد يشارك مصر في عِتْق الأفراس وكرمها. وتختص مصر بالحمير التي لا تُخرِج البلدان أمثالها، وكان الخلفاء لا يركبون إلا حمير مصر في دورهم

(١) ثمار القلوب (ص٥٣١).



وبساتينهم؛ وكان المتوكل يصعد منارةَ (سُرَّمَن رأى) على حمار مريسي ودرج تلك المنارة من الخارج، وأساسها على جريبٍ من الأرض، وطولها: تسعةٌ وتسعون ذراعاً. ومريس: قرية بمصر، إليها ينسب بشر المريسي).

ومرة أخرى خلع الشيخ البِشْري قفطانه يتوضأ، فرسم عليه أحدهم متعبثاً منكتاً: رأس حمارٍ بالطباشير، ليستثير في الشيخ ردة الفعل، فلما شاهد ذلك البشري، قال: من الذي مسح وجهه في القفطان يا أولاد! فضحك الجميع.

ومن هذا الباب ما يُروى عن الشاعر حافظ إبراهيم، قالوا: كان يلقي إحدى قصائده في إحدى المناسبات، والنوافذ مفتوحة، وكان قريباً من تلك الصالة موقفٌ للحمير، وفي أحد مقاطع القصيدة نهق أحدها بصوت عالٍ غطَّى على الشاعر، فما كان من حافظ إلا أن توقف عن الإلقاء قائلاً: ننظر حتى ينهي أخونا قصيدته. فضحك الناس، ثم والى إلقاءه.

وعلا جحا نشزاً يخطب في الناس، سألهم: أفاهمونَ أنتم؟ قالوا: لا! قال: أنا لا أفهم الحمير. وفعل ذلك مرة أخرى، وسأل، فردوا عليه بأنهم فاهمون، قال: أنا لا أفهّم الفاهمين. ومرة ثالثةً؛ جاوبوه بأن بعضهم فاهم، وبعضهم غير فاهم، قال: فليفهِّم الفاهمون غير الفاهمين.

ويُوصَفُ الحمار بحدة حاسة السمع، ويُرجع بعضهم ذلك إلى هيئة أذنيه، وقدرة اجتذابهما للصوت، ومرونتهما في التوجه بهما يمنة ويسرة، وفي كل اتجاه، ولعل فكرة الهوائي؛ لها علاقةٌ بأذن الحمير. وللطبيعة علاقةٌ بأذن الحمار، إذ هناك عشبٌ يحمل اسم (أذن الحمار)، قال عنه (المعجم الوسيط): (هو عشبٌ ينمو في جنوب أوروبّا؛ كثير الشوك، وأزهاره صفراء ناحلة، وجذوره تحوي مادةً حمراء).



فوق ظهـور الحميـر

عرفنا فيما سبق أن الحمير ـ من شدة خوفها من الأسد ـ يزداد ارتباكها واضطرابها، بحيث ترمي نفسها على الأسد فيما تحسب أنها تفر منه. واستثمر هذه الصفة أبو تمام في هجائه، فقال في سبِّ الشاعر عبد الصمد بن المعذّل، وقد بدأه بالهجاء:

أقدمتَ ويلكَ من هجوي على خطرٍ   والعَيْـر يَقـدُمُ مِن خوفٍ على الأسدِ

ومن صفات الحمار أيضاً: أن البرد يؤذيه ويضر بجسمه، ولذا لا يوجد في المناطق الباردة؛ كشمال أوروبًا، وإذا كان البرد يؤذيه، فإنَّ نهيقه يؤذي الكلاب وتخافه، وقد يسبب لها مغصاً في بطنها. ولم أرَ لذلك مقنعاً، قالوا: ولذلك يطول نباحه.

ويوصف أيضاً بالهداية إلى سلوك الطرقات التي مشى فيها، ولو مرةً واحدةً، دون إرشادِ راكبه.

وللناس في مدح الحمار وذمه أقوالٌ متباينةٌ بحسب صلتهم به. فمن ذلك: أن خالد بن صفوان[1]، والفضل بن عيسى الرَّقاشي[2]، كانا يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين، فأما خالد؛ فإن بعض الأشراف بالبصرة تَلقّاه، فرآه على حمار، فقال له: ما هذا المركَبُ يا أبا صفوان؟ فقال: عَيْر من نسل الكداد، أصْحرُ السربال، مفتول

---

(١) خالد بن صفوان المنقري: أحد الفصحاء والخطباء المشاهير، أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة، توفي نحو عام (١٣٣هـ). معجم الأدباء (١١: ٢٤).

(٢) الرقاشي: هو واعظ، خطيب، متكلم، قاص، رئيس طائفة من المعتزلة، توفي سنة (٢٠٠هـ).



الأجلاد، محملَجُ القوائم، يحمل الرَّجُلة، ويبلُغ العقبة، ويقلُّ داؤه، ويخفّ دواؤه، ويمنعني أن أكون جباراً في الأرض، أو أكون من المفسدين، ولولا ما في الحمار من المنفعة لما امتطى أبو سيّارة ظهر عَير أربعين سنة (أبو سيارة: رجلٌ من عَدْوان. أصحر: أُشرِب لونه حمرة خفيفة، الأجلاد: جمع جِلْد، معروف، محملَج: من قولهم: حملج الحبلَ، إذا فتله فتلاً شديداً. الرَّجُلة: المرأة).

وأما الرقاشي، فإنه سُئِلَ أيضاً عن ركوب الحمار، فقال: إنه أقل الدواب مؤونةً، وأكثرها معونةً، وأسهلها جماحاً، وأسلمها صريعاً (قلت: هذا غير مسلّم، فإنني ما زلت أعاني من صرعته منذ كنت في السابعة عشرة من عمري)، وأخفضها مهوىً، وأقربها مرتقىً، يزهى راكبُهُ وقد تواضع بركوبه، ويسمّى مقتصداً، وقد أسرف في ثمنه، ولو شاء أبو سيّارة أن يركب جملاً مَهْريّاً، أو فرساً عربياً، لفعل، ولكنه امتطى عيراً أربعين سنةً.

قال الميداني[1]: فسمع أعرابي كلام الرقاشي فعارضه (قلت: ما قاله الأعرابي ليس معارضة ونسجاً على منوال الرقاشي، وإنما هو من باب المناقضة)، فقال: الحمار شَنَار، والعَيْر عار، هو منكرُ الصوت، بعيدُ الفَوْت، متغرّقٌ في الوحْل، متلوثٌ في الضحل، ليس بركوبة فحل، ولا مطيّـة رحْل، إن وقفته أدلى، وإن تركته ولّى، كثير الروث، قليل الغوث، سريع إلى الفرارة، بطيء في الغارة، لا تُرقأ به الدماء، ولا تُمهر به النساء، ولا يُحلَبُ في إناء.

وقال أبو عبد الله محمد بن القاسم، المعروف بأبي العَيْناء، لبعض سماسرة الحمير: اشترِ لي حماراً، لا بالطويل اللاحق، ولا بالقصير اللاصق، إن خلا الطريقُ تدفّقه، وإن كثر الزحام ترفّقه، لا يصادم بي السّواري، ولا يدخل تحت البواري، إن كثَّرتُ عَلَفَه

---

(١) في مجمع الأمثال (١: ٤١١)، ط٢، دار السعادة، مصر، ١٣٧٩هـ.



شكَر، وإن قلّلتُه صبَر، وإنْ ركبتُه هام، وإنْ ركبه غيري قام. فقال له السمسار: إن مسخ الله (بعضهم) حماراً أصبتَ حاجتك، وإلا فليست موجودة.

ومما جاء في مدح الحمير، قول أحمد بن طاهر يصف حماراً:

شيةٌ كأن الشمس فيها أشرقت ... وأضاء فيها البدر عند تمامِهِ

وكأنه من تحت راكبه إذا ... ما لاح برقٌ لاح تحت غَمامِهِ

ظهرٌ كجري الماء لينُ ركوبه ... في حالتي إتعابه وجَمامِهِ

سفِهتْ يداه على الثرى، فتلاعبتْ ... في جريه بسهوله وأكامِهِ

عن حافرٍ كالصخر، إلا أنه ... أقوى وأصلبُ منه في استحكامِهِ

ما الخيزُران إذا انثنت أعطافُهُ ... في لين معْطِفه، ولين عظامِهِ

عنُق يطول بها فُضولَ عِنانه ... ومحزّمٌ يغتال فضلَ حِزامِهِ

وكأنه بالريح منتعلٌ، وما ... جريُ الرياح كجريه ودوامِهِ

أخذ المحاسن آمناً من عيبه ... وحوى الكمال مبرَّأً من ذامِهِ

(الشّية: العلامة، واللون. الجمام: الراحة. الأكام: المرتفعات. الذام: العيب).

فهو حمارٌ جميل اللون مشرقة، تستريح له النفس، لين المركب، مع قوةٍ وصلابة تبعثان على الشعور بالأمان، مرن العظام، ذو عنق طويلة تدل على أصالته في الحَمْيَرة، سريعٌ جداً، حتى كأنه يلبس الريح في حوافره، حاز كل صفات الكمال، وخلا عن جميع العيوب.

وقال آخر:

لا تنظرنّ إلى هُزال حماري ... وانظر إلى مجراه في الأخطارِ



متوقّـدٌ جعـل الـذكـاء إمـامه فكـأنمـا هـو شعلـةٌ من نـــارِ
عادت عليه الريحُ عند هبوبِها فكأنه ريحَ الـدَّبــور يبـــاري

(الأخطار: جمع خطر، والمقصود هنا: ما يُتَراهَنُ عليه. وهذا دليلٌ على أنهم كانوا يتسابقون عليها، مقامرةً ورهاناً. ريح الدَّبور: هي ريح تهب من الغرب، شديدةُ الهبوب. وتقابلها ريح الإقبال؛ فهي تهب من الشرق، وهي التي تسمى ريح الصَّبا أيضاً. تباري: تسابق).

يؤكد الشاعر هنا أن العبرة بالَمخبر لا بالمنظر، فحماره؛ وإن بدا هزيلاً نحيلاً، فإنه عند الاختبار، والجري في السياقات ذات الأخطار، يتفوق على غيره من الحمير، ويسبقها، ويفوز بالرهان. وهو حمارٌ ذكي، متوقِّد الذكاء، فكأنه في جريه ريح الدبور.

ولعل من المناسب أن نختم هذه المقالة بمجموعةٍ من الطرائف حول الحمير، لنعود إليكم في المقالة القادمة، بأحاديث وأقاويل في ذمِّ الحمير.

قال الجوهري في مادة (عشر): تعشيرُ الحمار: نهيقه عشَرةَ أصواتٍ في طلق واحد، قال الشاعر:

لعمريَ إن عشّرت من خيفة الردى نُـهــاق حـمــارٍ، إنـني لجـــزوعُ

وذلك أنهم كانوا يزعمون أن الرجل إذا خاف من وباء بلد، عشّر تعشير الحمار قبل دخولها، فيقيه ذلك من الإصابة به، وما هو بنافعهم في شيء، ولكنها الأسطورة.

قال مسروق: كان لرجلٍ من البادية حمارٌ وكلب، وديك، فكان الديك يوقظهم للصلاة، والكلب يحرسهم، والحمار ينقلون عليه الماء، ويحمل لهم خيامهم. فعدا الثعلب على الديك وأكله، فحزنوا لذلك، وكان الرجل صالحاً فقال: عسى أن يكون خيراً. ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار، فقتله، فقال الرجل: عسى أن يكون خيراً. ثم



أصيب الكلب أيضاً ومات، فقال الرجل: عسى أن يكون خيراً، وربما ضاق بالرجل أهله، وبتسليمه الأمر، ولكنهم أصبحوا ذات يومٍ بالعدوِّ قد نهب وسَبَى من كان حولهم، وبقُوا هم سالمين، وعلموا أنما أُخذ أولئك بما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة، فآمنوا أن ما حلّ بهم كان من تقدير الله ولطفه بهم، وتهيئة الأسباب لسلامتهم، فحمدوا الله، وكم لله من لطفٍ خفيّ لا يعلمه إلا هو.

وذكر الماورديُّ وغيره أن سفيان بن سعيد الثوري أكل ليلةً زائداً على عادته، فقال: إن الحمار إذا زِيْدَ في عَلَفه زِيْدَ في عمله، ثم قام يصلي حتى أصبح. وكم أكلنا وزدنا في الأكل إلى حد التخمة، ولا قمنا ولا تهجدنا، وربما بعضنا لم يحمد الله على نعمائه، ولم يشكره على آلائه، فاللهم عفوك!

وكان فتىً يجالس الثوري، ولا يتكلم، فأحب الثوري أن يعرف كلامه ونطقه، ويعرف ما عنده: فقال له: يا فتى! إنَّ من كان قبلنا مرّوا على خيولٍ سابقة، وبقينا بعدهم على حمرٍ دبرة. فقال الفتى: يا أبا عبد الله، إن كنَّا على الطريق، فما أسرع لحوقنا بهم!

المهم أيها الإخوة أن نكون على محجة الطريق الصحيحة، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، فهل نحن بالفعل على الطريق ليمكننا اللحوق؟ فالألف ميل تبدأ بخطوة. وعلى الله قصد السبيل.

*   *   *



في وجه الحمير

إذا كنا في لقاءٍ سابق قد أوردنا بعض ما قيلَ في الحمير على سبيل المدح، فإننا سنورد فيما يلي بعض ما قيل في ذمِّها، وبما أنني موتورٌ منها، فإنني أستطيبُ ذمّها، وأستريح إلى النيل من الحمير والمتحَمْيِرين، حسّاً ومعنىً، وأجد ما فعله بعض الأسبان في العصر الحديث، واقتدى بهم فيه جماعة من الإخوة المصريين، منهم: أنيس منصور، من اهتمامٍ بالحمير، وتأسيسهم جمعية للرفق بالحمير، أجد ما فعلوه ضرباً من العبث والجهل بأضرار الحمير، إلا أن يدخل فعلهم في باب الرفق بالحيوان بصفة عامة، إذ الحمير في عامتها لا تحسن سوى الرَّفس والركل، والعض والعنفصة، والخَنَس والحَيَد، فإذا أسقطت أحداً من فوق ظهرها قالت بلسان الحال والواقع: أحضروا المسحاةَ والفاس، لولد الناس، ومهما زينوا في الحمار، فسوف يبقى حماراً، ويكفيه قرفاً أنه حمار، له نسبٌ في الحامرين عريق، وبئس العائر والعَيْر!

يقول أبو الهيثم، خالد بن يزيد الكاتب، وكان بغدادياً من أصلٍ خراساني، يعمل كاتباً في الجيش العباسيّ:

وقـائـلٍ: إن حـمـاري غـدا ... يمشي إذا صـوّب أو أصعَـدَا

فقلـتُ: لكـنّ حـمـاري إذا ... أحـتـثُّـه لا يلحـق المُقْعَـدا

يستعذب الضَّربَ، فإن زدتُـه ... كـاد من اللـذّة أن يـرقُـدا



وقال أبو الحسين، يحيى بن عبد العظيم الجزار، الشاعر المصري المعروف، من شعراء القرن السابع:

هذا حماري في الحمير حمارُ ... في كل خطوٍ كبـوة وعثـارُ
قنطارُ تبْن في حشاه شعيرةٌ ... وشعيـرةٌ في ظهـره قنطـارُ

فهو حمار عريقٌ وأصيلٌ في الحمْيَرة، وفي البيت الثاني يعتمد في نقل الصورة على التقابل بين التصغير فيما يَعْلفه حماره، والتكبير فيما يحمله، بين القنطار والشعيرة، وفيما بين ذلك تتشكل الصورة المضحكة.

ولما مات حمار هذا الشاعر، داعبه شعراء عصره بمراثٍ هَزْليّـات، فقال بعضهم:

مات حمارُ الأديب قلتُ: قضى ... وفـاتَ من أمـره الذي فـاتا
ماتَ وقد خلّف الأديب، ومَنْ ... خلّـفَ مثلَ (الأديب) ما ماتا

فالجزَّار داخل هذه المداعية هو ابن هذا الحمار، ووريثه الذي يستطيع أبوه الحمار أن يرفع به رأسه، على حد المثل العامي: (اللي خلّف ما مات).

ونحو هذين البيتين قول الآخر في حمار الحكيم (تُوما):

قـال حمارُ الحكيم (تُوما): ... لو أنصفوني لكنتُ أَرْكَبْ
لأنـنـي جـاهــلٌ بسيــطٌ ... وصاحبي جاهلٌ مركّـبْ

فالشاعر يرى من خلال حماره أن بعض من يَركبون الحمير هم أولى بأن يُركبوا، لأنهم أجهل من(الحمير التي يركبونها).

وحمار (تُومَا) هذا يُضربُ به المثل في الجهل، وخُصَّ بذلك فيما يبدو لأن صاحبه كان طبيباً، وشتانَ بين حمارٍ وطبيب! ومما قيل في هذا في معرض الهجاء:



إليـه بالجهـل راح يُـومـا مثل حمار الطبيب (تُوما)

لاحظِ الجناس بين (يُوما، تُوما)

ومن الحمير التي حظيت بالهجاء والذم: حمار طيّاب، وطيّاب هذا كان سقّاءً يحمل قرب الماء على حماره ليبيعها للناس. قال الثعالبي «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب»[١]: كان لطياب السّقاء حمارٌ قديم الصحبة، ضعيف الحملة، شديد الهُزال، ظاهر الانخذال، كاسف البال، يسقي عليه، ويَرفُق به، وكان عُرضةً لشعر أبي غُلالة المخزومي، هجاه بنيّفٍ وعشرينَ مقطوعة، وصف فيها ضعفه وهزاله، وتوجعه من الخسف، وشكواه من الظلم، الأمر الذي جعل حمار طيّاب يظفر بالاهتمام، وتضرب به الأمثال كما ضرب المثل ببَغْلةِ أبي دُلامة، التي اقتعدت شعر أبي دلامة نفسه، وشاةِ سعيد، وطيلسانِ ابن حرب اللذين استقرَّا في قوافي الشاعر الحمدوني. وقد أورد حمزة الأصبهاني في كتابه (مضاحك الأشعار) شعر أبي غُلالة في حمار طيّاب، ورتبه على حروف الهجاء، وأورد ابن أبي عَوْن في كتابه (التشبيهات) مختاراتٍ منه.

قال الثعالبي: وحكى محمد بن داود الجرّاح عن جعفر رفيق طيَّاب، أن حمار طيَّاب مات، فمات طيابٌ على إثره بعد أسبوع، ثم مات أبو غُلالة على إثر طيّاب، فكان ذلك من عجيب الاتفاقات.

ومما قاله أبو غلالة في هذا الحمار المخلّد:

يـا سائلي عن حمـار طيّـــابِ ذاك حمـارٌ حليفُ أوصابِ

كـأنـه والـذُّبـابُ يـأخــذه من وجهه ذو جِنّة، متصابِ

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص٣٦٦).



ومما أورده حمزة الأصفهاني، والنويري في نهاية الأرب قوله:

وحـمـارٍ بكـتْ عليـه الحميـرُ	دقَّ حتى بــه الـريــاحُ تـطيـرُ
كان فيمــا مضى يقـوم بضعفٍ	فهُــوَ اليــوم واقـفٌ لا يسِيــرُ
كيف يمشي، وليس يُعلَفُ شيئاً	وهْـو شيـخٌ، مـن الحمير كبيرُ
يأكل التبـن في الـزمـان ولكـنْ	أبعـدُ الأبعـدَيْـنِ عنـه الشعيـرُ
لمـح القـــتَّ مــرّةً مـن بـعيــدٍ	فتغنّــى، وفي الفــؤاد سعيـــرُ
ليـس لي منـك يا ظلومُ نصيبٌ	أنـا عبــد الهـوى، وأنت أجيـرُ

فهو يرسم لهذا الحمار صورةً مضحكةً، فهو هزيلٌ ناحل، لا تكاد تراه العين، حتى ليُخشى عليه أن تطير به الرياح، وهو خائر القوى، ضعيف الرؤية، يحلم بالقتّ (العلف من الحشيش الطريّ) ولا يجده، أو يحصل عليه.

وقد وهم محقق «نهاية الأرب»[١] حين قال: إن طيّاباً شاعر، وإن ما قيل في حماره من شعره، وإنَّ مقطوعاتٍ منه موجودةٌ في شرح القاموس، وقد رجعت إلى (تاج العروس)، فلم أجد أي شعرٍ يخص حمار (طيّاب). وتأكدت من خلال «ثمار القلوب» للثعالبي: أن الشعر لأبي غلالة المخزومي، وليس لطيّاب، فإنَّ طياباً لا يعدو أن كان صاحب هذا الحمار.

* * *

---

(١) نهاية الأرب (١٠: ٩٩).



بقيّـة هجـاءٍ للحميـر

طوينا الصفحة في الأسبوع الماضي، ولما يزلْ في الجُعبة مسبّاتٌ كثيرة للحمير، تشرح القلب، وتشفي الصدر من غريمي الحمار.

وأنا حينما أورد هجاء الحمير الحقيقية، أحس أن ذلك الهجاء، وأكثر منه، ينبغي أن يوجّه للحمير المجازيَّة، حمير الإنس، وتُصلى بها جباههم وظهورهم، وتسوَدُّ بها وجوههم ودفاترهم.

ومن الأنثار الهجائية في هذا الباب: قول جرير بن عبدالله: لا تركب حماراً، فإنه إن كان حديداً أتعب يديك، وإن كان بليداً أتعب رجليك. (**الحديد**: النشيط القوي القلب. البليد: الضعيف الذكاء، القليل النشاط).

وسئلت أعرابيةٌ عن الحمار، فقالت: لعنه الله، لا يُذكّى، ولا يُزكّى، وإن أطلقته ولّى، وإن ربطته أدلى، عظيم الحرارة، بطيء الغارة، لا ترقأ به الدماء، ولا تمهر به النساء، ولا يحلب في الإناء.

وكتب أبو الحسن بن نصر الكاتب رسالةً إلى صديقٍ له اشترى حماراً، يداعبه فيها، فقال:

(وقد عرفتَ ـ أبقاك الله ـ حين وجدتَ من مكْرهِ الأيام إفاقةً، وآنستَ من وجهها العَبوس طلاقةً، كيف أجبتَ داعيَ همّتك، وأطعتَ أمر مروءتك، فسررتُ بكمون هذه المنقبة التي أضمرها الإعدام، ونمَّ على كريم سرّها الإمكان، واستدللتُ



منها على خبايا فضل، وتنبهتُ منها على مزايا نُبل، كانت مأسورةً في قبضة الإعسار، وكاشفةً عن سُدفة الإقتار (السُّدفة ـ بضم السين وفتحها ـ: الظلمة في لغة تميم، وهي المراد هنا).

وقلت: أيُّ قدمٍ أحق بولوج الرّكب من قدميه، وحاذٍ أولى ببطون القُبِّ من حاذَيْه؟ (الحاذان: لحمتان في ظاهر الفخذين، تكونان في الإنسان وغيره، قال الشاعر:

خفيفُ الحاذِ، نسَّال الفيافي وعبدٌ للصحابة غيـــر عبْـدِ

وجمع الحاذ: أحواذ. والقُبّ: جمع أقبّ وقبّاء، وهو الضامر البطن من الخيل).

وأيُّ أناملَ أبهى من أنامله إذا تصرّفت في الأعنة يسراها، وتحكّمت بالمخاصر يمناها؟ وكيف يكون ذلك الخلقُ العظيم، والوجهُ الوسيم، وقد عبهَر جالساً، إذا طلع فارساً؟ ثم اتَّهمتُ آمالي بالغلو فيك، واستبعدت مناقضة الزمان بإنصاف معاليك، فقبضتُ ما تبسط من عنانها، وأخمدتُ ما اشتعل من نيرانها، حتى وقفتُ على صحيحة الشك.

أرجو علوَّ همتك بحسن اختيارك، وأخشى منافسة الأيام في دَرْك أوطارك، فإنها كالظانة في ولدها، والمجاذِبة بالسوء في واحدها، يدني الأملُ مُسارَّها، ويُرجي القلقُ حذارَها، حتى أتتنا الأنباء تنعى رأيَك الفائل، (الضعيف الخاطئ)، وتقلّ عزمَك الآفل، بوقوع اختيارك على فاضحِ صاحبِه، ومسلم راكبِه، الجامد في حلْبة الجياد، والحاذق بالحِران(عدم الانقياد) والكياد، الشؤم دينه ودأبه، والبلادة طبيعته وشأنه، لا يصلحه التأديب، ولا تُقرع له الظنابيب (الظنبوب: هو حرق الساق، وقرع الظنبوب: أن يقرع الرجل ظنبوب راحلته بعصاه، إذا أناخها ليركبها ركوب المجدّ المسرع).

إن لحظَ عيْراً نهق، أو لمح أتاناً شبِق، أو وجد روثاً شمَّ وانتشق، فكم هشّم سنَّاً لصاحبه، وكم سعطَ أنفَ راكبِه! وكم استردّه خائفاً فلم يرْدُده، وكم رامه خاطباً فلم يُسعده، ويَعْجَلُ إنْ أحبَّ الأناةَ والإبطاء، ويرسخُ إن حاول الحثَّ والنَّجاء، ه

على الكيد والخلاف، موضوعٌ للضعة والاستخفاف، عزيزٌ حتى تهينه السياط، كسولٌ ولو أبطره النشاط، ما عرف في النجابة أباً، ولا أفاد من الوعي أدباً، الطالب به محصور، (محبوس)، والهارب عليه مأسور، والممتطي له راجل، والمستعلي بذروقه نازل، له من الأخلاق أسوؤها، ومن الأسماء أشنؤها، ومن الأذهان أصدؤها، ومن القدود أحقرها، تجحده المراكب، وتجهله المواكب، وتعرفه ظهور السوابك، وتألفه سُباطات المبارك، والله الموفق (**السُّباطة**: المراغة).

هذه رسالة إخوانية كُتِبت بدافع المداعبة، ولذا فإن ما جاء فيها من أوصافٍ غير مقصود به النيل من المرسل إليه، وإنما المراد المضاحكة، فهي صادرةٌ من قلب محب، ومشاعر مخلصة، وقد جاء كاتبها على ذكر أكثر معائب الحمير، وأبرزها؛ في شكل مثير للضحك والاشمئزاز.

ومما قاله أبو غُلالة المخزومي في ذمّ الحمار، غير ما سبق إيراده، قوله في حمار (طياب السقّاء) أيضاً:

حـمـارٌ أنــاخ بـــه ضُــرُّهُ ... ودار عليـــه بـــذاك الفلـكْ
يميـل من الضعف في مشْيه ... ويسقُط في كـل درْبٍ سلكْ
فـأما الشعيــر؛ فمـا ذاقـــه ... كمـا لا يذوق الطعامَ الملَكْ
يغنّي على القتّ لـمـا يــراهُ ... وقد هـزه الجوع حتى هلَكْ
أخـذتَ ضميـري فعـذّبتهُ ... وأسهرتَ عيني فما حلَّ لكْ

وقوله أيضاً:

لم أبكِ شجـواً لفقْـد حِبٍّ ... ولا ابتــلاني بـــذاك ربي
لكنني قـد بكيتُ حــزنــاً ... على حـمــارٍ لجارِ جَنْبِ



لو شـمَّ ريحَ الشعيـر شمّـاً　　　من غير أكلٍ لقال: حسبي!
أو عـايـن القتَّ من بعيــدٍ　　　يـومـاً لغَنَّى بصـوتِ صبٍّ
ليس يــزول الـذي بقلبـي　　　يا من جفــاني بغيـر ذنـبِ

ونلحظ أن المقطوعتين تدوران حول أفكار واحدة، هي ضعف هذا الحمار، وبخل صاحبه عليه بالعلف من قتٍّ وشعير، فهو يحلم بذلك ويناغيه من بعيد.

وقال فيه أيضاً:

حمـارُ (طيّـابَ) لا تُحصى معـايبُـهُ　　　مـا فيــه أكثــرُ ممّا قلتُـه فيــهِ
قد دقَّ حتى رأيتُ الخيـط يشبهـهُ　　　من الهُزال، وعيـن الضّـُر تبكيــهِ
ما زال يطلب وصل القتّ مجتهداً　　　والقـت يقتلــه بالصــدّ والتيــهِ
حتى تغنَّى له مـن طـول جفوتـه　　　صوتٌ يبوح بها قـد كـان يخفيـهِ
النجـمُ يـرحمني مـمـا أكـابــدُه　　　وأنــت في غفلــةٍ عمـا أقـاسيــهِ

ونلحظ أن لغة هذا الشعر تعتمد على البساطة في المفردة والتركيب وبناء الصورة، ولا جرم؛ فهي حماريَّةُ المحتوى، لكنها لا تخلو من طرافة، وفتحٌ لباب الدعابة والإضحاك، أدَّت دورها في القديم، وما زالت تؤديه، وها نحن نبعثها من مرقدها من جديد، ولا شك أن حمارَ طيابٍ محظوظٌ حين تناوله هذا الشاعر في شعره، إذ لولاه لما عرفناه، ولما كان من الخالدين، وسبحان الله! فكأن الخلود يوهب للحيوان كما يوهب للناس، دونَ معاييرَ أو موازين، والخلود لا ريب هو ذكرٌ ثانٍ للإنسان، طلبه حتى الأنبياء، والمرسلون، ولكن شريطة أن يكون ذكرا طيبا عطرا، كما طلبه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤].



ويظل وهم الخلود يداعب أجفان البشر من كل لون وجنس، وفي كل مجال، تدور عليه أحلام الجميع، ثم يأتي الوقت الذي نقول فيه:

دار الزمان على دارا وقاتلَهُ　　　وأَمَّ كسرى، فما آواه إيوانُ

* * *

طـرائف حـمـاريـة

الشيء الطريف: الطيب الغريب. قال خالد بن صفوان في تمييز الكلام، وتفضيل بعضه عن بعض: خير الكلام ما طرُفَت معانيه، وشرُفَت مبانيه، والتذَّتْه آذان سامعيه.

وطرائف الحديث: مختاره، قال الشاعر:

أَذكـرُ مـن جـارتي ومجلسها　　　　طـرائفـاً من حديثها الحسنِ
ومن حديـثٍ يـزيـدني مِقَـةً　　　　ما لحديثِ الموْموق من ثمنِ

قال الأزهري: سمعتُ أعرابياً يقول لآخر قدِم من سفر: هل وراءك طريفةُ خبرٍ تُطرِفُناه؟ يعني خبراً جديداً.

فالطريفة على هذا النحو تتضمن الجدة والجودة والغرابة.

أما الطُّرفة فهي: العطية والهدية. قال في «اللسان»: أطرفتُ فلاناً شيئاً، أي: أعطيته شيئاً لم يملك مثله، فأعجبه.

والاسم: الطُّرْفة، قال بعض اللصوص بعد أن تاب:

قل للّصوص بني اللخناء يحتسبوا　　　　بُـرَّ العـراق، وينسُوا طُرفة اليمنِ

وهي مرادفةٌ للتُّحفة، واللُّطْفة أو اللَّطَفَة، قال أبو العتاهية:

ألا أيـن الألَـى سلفـــوا　　　　دُعُوا للموت، واختُطفوا



فـوافَوْا حيثُ لا تُـحَفٌ ولا طُـرَفٌ، ولا لُطَفُ
تـرصُّ عليهـمُ حُــفَــرٌ وتُبنَـى ثــم تَـنْخسـفُ

وقد كانت بعض الصحف تستحدث مساحةً فيها للطرائف العربية أو العالمية، واعتاد الناس أن يجدوا في تلك الطرائف الجدة والمتعة والفائدة، فإذا تحركت عصافير بطونهم تذكروا (القطائف)، فجمعوا بذلك بين ما ينفع الجسم، وما يغنِي العقل، ويحرك الوجدان. والطرائف التي نوردها لكم اليوم، تحمل لكم بين يديها صكّ غرابتها، منذ لحظة وقوع العين على عنوان المقال، فهاؤمُ اقرأوا هذه الطرائفَ الحمارية، وتأملوها معي، فهي لا تخلو من عظةٍ أو عبرة، ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

من ذلك؛ ما نقله ابن الجوزي في كتابه (الأذكياء) عن الجاحظ أنه قال: قال ثمامة ابن أشرس: دخلت على صديقٍ لي أعوده، وتركت حماري على الباب، ولم يكن معي غلام يحفظه، فلما خرجت وجدت فوقه صبياً يحفظه. فقلت له: أركبت حماري بغير إذن؟ فقال: خفت أن يذهب فحفظته لك، فقلت: لو ذهب لكان أحب إلي من بقائه، فقال: إن كان هذا هو رأيك في الحمار، فقدِّر أنه ذهب وهبْه لي، واربح شكري. قال ثمامة: فلم أدرِ ما أقول !

وفي «تاريخ» ابن خلِّكان، في ترجمة الحاكم العبيدي؛ المعروف بالحاكم بأمر الله، ذُكِرَ أنه كان يملك حماراً أشهب اسمه (بقْمر)، يستعمله غالباً في تنقلاته الخاصة، ويركبه في حوائجه وزياراته، غير أنه كان يحب الاعتزال والانفراد، والركوب وحدَه، فخرج راكباً حماره ليلة الاثنين، سابع عشر شوال، سنة (٤١١هـ) إلى ظاهر مصر (يعني مصر القديمة التي بها جامع عمرو بن العاص)، وطاف ليلته كلها، وأصبح متوجّهاً إلى شرقي (حُلْوان) ومعه راكبان، فأعادهما تباعاً، وواصل التطواف منفرداً، وبقي الناس ينتظرون رجوعه، ومعهم دواب الموكب، إلى يوم الخميس سلخ الشهر



المذكور، ثم خرج ثاني ذي القعدة جماعةٌ من الموالي والأتراك، فأمعنوا في طلبه، ودخلوا الجبل، فرأوا حماره الأشهب الذي كان راكباً عليه، وهو على قرنة الجبل، وقد ضربت يداه ورجلاه بسيف، وعليه بردعته ولجامه، فتبعوا الأثر، فإذا أثر حمارٍ، وأثر راجلٍ خلفه، وراجلٍ قدّامه، فقصوا الأثر إلى البركة التي في شرقيّ (حلوان)، فنزل فيها رجل، فوجد فيها ثياب الحاكم بأمر الله، وهي سبع جباب، وجدوها مزرّرة، وفيها آثار سكين، فحُمِلت إلى القصر، ولم يشكّوا في قتله، متهمين في ذلك أخته، وأنها دست له من قتله. غير أن جماعةً من المغالين في حبه، الذين أفقدهم الغلو القدرة على التفكير السليم، يدّعون أنه ما يزال حيّاً، ولكنه غائب سيظهر آخر الزمان.

والقصة رغم دخولها، أو دخول بعض أجزائها على الأقل، في إطار اللامعقول، فإنها ذات صلةٍ وثيقةٍ بالحمار. ويبدو أن التاريخ الإسلامي ابتُلي كثيرٌ من شخصياته بداء الغيبة، وابتُلي العامة بمزيدٍ من الانتظار، رعى الله الغائبين والحاضرين.

وما تزال الأمة الإسلامية منذ وقوعها في شرك الغلو، غائبةً أو مغيَّبةً عن قضاياها وعن ذاتها:

مغيّبـونَ ويقضي النـاسُ أمـرَهـمُ وهم بغيب، وفي عمياءَ ما شعروا

ويسرُّني أن تكون الطريقة الثالثة من أفواه الأطفال، تلكم هي حكاية الحمار والنملة.

تعقد الحكاية صداقةً بين الحمار والنملة، وتلغي فوارق الحجم والوزن والسلوكيات، وهكذا يسمح خيال الأطفال المرن جداً بتخيل الممكن واللاممكن، وتوحي لغة هذا الخيال للعالم بوجوب البحث عن لغةٍ للتفاهم بين أطرافه، لا محاولة البحث عن عوامل الفرقة بين أفراد المجتمع الواحد، وإحياء النعرات الفاسدة. ولاحظوا معي أن الحمار والنملة مهيآن لإقامة أسرة؛ إذ هما ذكرٌ وأنثى. عاش هذان الصديقان ـ كما تذكر الحكاية ـ ردحاً من الزمن في سعادةٍ غامرة، وعيشٍ هادئ؛ لا يكدره شيء، وذات مرة،



خرجا من مقر سكناهما، ونسيا مفتاح الباب داخل الشقة، وتساءل الصديقان: من في استطاعته أن يدخل الشقة، والباب مغلق، لاجتلاب المفتاح؟ ويوجه الطفل الحكواتي، إلى زميله السؤال نفسه، فيجيب على الفور: النملة طبعاً، وذلك لإمكانها الدخول من أي فتحةٍ صغيرة. فيقول الطفل الحكواتي: وهكذا كان رأي الحمار، ثم تنطلق الضحكات! وكم في الحياة من مضحكاتٍ مبكيات! وكم من حميرٍ يعيشون في ثباتٍ ونبات، ولله في خلقه شؤونٌ وآيات!





أكـذاب حـمـاريـة

أَمِثْلي تُقبل الأقوالُ فيه ومثلُك من يجوز لديه كِذْبُ

الكِذْب (بكسر الكاف وسكون الذال) كالكَذِب (بفتح الكاف وكسر الذال)، كلاهما مصدر الفعل: كذَب يكذِبُ، أي: أخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع، وقيل: الإخبار عن الشيء بخلاف اعتقاد المتكلم. وهو في جميع الحالات نقيض الصدق.

وقد يأتي الكَذِب (بفتح الكاف وكسر الذال) بمعنى مكذوب، فهو(مفعول)، وذلك كقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] أي: مكذوب.

وتأتي (كذَب) بمعنى وَجَب، ومن ذلك حديث عمر، رضي الله عنه: «كذَب عليكم الحجُّ، كذب عليكم العمرة، كذَبَ عليكم الجهادُ، ثلاثة أسفارٍ كذبْن عليكم»، أي: وجب عليكم كذا.

وتكاذيب العرب: أساطيرها وخرافاتها. أما الأكذاب فجمعٌ للكِذْب (بكسر فسكون) على غير قياس، لأنه مصدر، والمصادر لا تجمع قياساً. والأَوْلى، اعتبارها جمعاً لكِذْبة، كلِعبة وألعاب، وفِكرة وأفكار، وحقِيبة وأحقاب.

والكَذْبة (بفتح فسكون) اسم مرةٍ من الكَذِب، ومنها كَذْبة أبريل، وهي أكذوبة يتعابث بعض الناس بها في أول هذا الشهر من كل سنة، قال في «المعجم الوسيط»: (إن



هذا الاستعمال مُحْدَث). وقال: ويقال لها: سمكة أبريل أيضاً. وهي من الأكذاب الحمارية، سواءٌ من حيث موردها، أو من حيث استعمالها.

أما من حيث موردها فقد ذكروا: أن أحد الفرنسيين إبّان تقليعات الثورة الفرنسة، أعلن عن مزادٍ كبيرٍ لبيع مجموعاتٍ من الحمير النادرة والمتميزة، وذلك في أحد الميادين العامة بباريس، وحدّد الموعد بغُرَّةِ شهر أبريل. ولما حلّ الموعد تجمّع الناس من كلِّ حدْبٍ وصوبٍ، واحتشدوا مُبْكِرين بالميدان المذكور، وعاشوا انتظاراً طويلاً مملاًّ، وتبادلوا أطراف الحديث حول التجمع ودواعيه ونتائجه، وفجأةً؛ طلع عليهم أحدهم من إحدى العمائر الشاهقة بمكبرّ الصوت (المُجْهر)، مرحّباً بهم، شاكراً تلبيتهم الدعوة، ومهنئاً بهذا الاجتماع الحاشد من أجل الحمير، ليُعلِمهم بأنه لا حمير، ولا شراء ولا بيع، وأنها كَذْبةٌ بيضاء، ولتسموها ـ إن شئتم ـ كَذْبة أبريل، فعُرفت منذ ذلك الحين بهذا الاسم، وانتقلت إلينا فيما انتقل من تفاهاتٍ غربية، علماً بأن فاعلها الأول لم يعرفه أحد، إذ إنه اختفى بسرعةٍ عن الأنظار.

وما يزال التعابث بهذه الكَذْبة قائماً بين الناس إلى الآن، وقد كنت ذات يومٍ من ضحاياها، وأجدها فرصة سانحة لأندّد بها، وبمخترعها الحمائري ومقلديه.

وأما حماريَّة استعمال هذه الكذبة فتأتي من جهة تأثيرها على المكذوب عليه، فربما كانت أشدَّ من عضة الحمار، وأقوى أثراً من ركلاته ورفساته! ففي اعتقادي أنها كذبة في غاية الوحشية والهمجية، وإن تمخَّضَت عن عقولٍ تزعم أنها متمدنة. فليتنا نعلم أن التمدن والتحضر إنما يكون بوسائل أخرى غير العبث بعباد الله وترويع الآمنين، فذلك شيءٌ تحرمه الشريعة الإسلامية، وتأباه حتى على الحيوان. فقد جعل الأوروبيون الكذب أنواعاً: فمنه الأبيض، والأسود، والرمادي. فالأبيض: الذي لا يتسبب في ضياع حقوق الآخرين والإضرار بهم بطريقة مباشرة. والأسود: ما كان عكس ذلك،



والرمادي: يكون فيما بين ذلك، حيث يُرتكبُ لمجرد الضحك والإضحاك، ومنه كذبةُ أبريل، التي صارت تُضرب مثلاً لكل كذبٍ لا أصل له.

والكذب في الإسلام كله أسود، وإن اختلفت درجاته باختلاف درجات ضرره، ولم تُجِزِ الشريعة الإسلامية الإخبار بغير الواقع إلا في أمورٍ يتحقق من ورائها الخير، وذلك في مجال إصلاح ذات البين، وكان ﷺ إذا أراد غزوةً ورَّى بغيرها، وقال: «إن في المعاريض لمندوحةً عن الكذب». فهذه الأنواع الثلاثة كذبٌ من حيث يظنه السامع، وصدقٌ من حيث يقوله القائل. وإنما كان الكذب رذيلة محرمة لما فيه من فسادٍ في طُويَّة الكاذب، والإضرار بالمكذوب عليه.

ومن الأكذاب الحمارية أيضاً: أن صديقَيْن كانا مسافرَيْن على حمار، وفي طريقهما مرض الحمار ومات، فقاما بدفنه، واحتارا في أمرهما، فقد كانا يستعملانه للركوب ونقل أمتعتهما، وكانا ينويان الاشتغال عليه بالبلد الذي يقصدانه، فأقاما فترةً يفكران، ثم عنَّت لهما فكرةٌ غريبة؛ سرعان ما نهضا إلى تنفيذها، تتلخص في: إقامة (ضريح) على قبر الحمار، بدعوى أنه قبر رجل صالح، ووليّ من أولياء الله، وإشاعة أن زيارته تجلب البركة، وتدفع الضرّ، إلى غير ذلك من الأكاذيب. وصدّقهما العامة، وأقبلوا عليهما دون حدود، وقسما العمل بينهما؛ على أن يمثّل أكبرهما دور الشيخ الوسيط، ويقوم أصغرهما باستقبال الزوار، واستعلام أحوالهم، ومن ثم تسريبها إلى الشيخ للإفادة منها في مفاجأة الزائرين والتأثير عليهم. ومرت الأيام على هذا النحو، وأخذا ثروةً كبيرةً، وملأ الطمع نفسيهما، واتَّهمَ أحدهما الآخر بأخذ حصةٍ أكثر من الدخل. فقال المُتهم مطمئناً صاحبه: أحلف لك برأس سيدي حمران (يعني الحمار المدفون) أنني صادقٌ في تعاملي معك. فقال الآخر: على مين؟ (نحن دافنينُو سَوا) أي: أننا نعرف جميعاً أن لا وليّ أساساً، وأنه لا يوجد تحت القبة غير عظام الحمار. وصار حالهما مثلاً يُضرب لكل حالات الكشف عن الرجل وردّه، وبخاصة بين السابقَيْن المشتركَيْن في الشأن الواحد.



ونحن لا نلوم الحمير على كونها في مثالَيْنا السابقَيْن كانت وسيلةً لتنفيذ الكذب، إذ لا لوم على الحمير، فهي غير عاقلة، وإنما اللوم على أصحاب الحمير والمتحَمْيِرِين!

* * *



حـمـاريات شوقي

في الجزء الرابع من «الشوقيات»، وتحت عنوان (الخصوصيات)، كتب الشاعر أحمد شوقي مجموعةً من القصائد تحمل جميعها طابع البساطة وخفة الدم، وفيها الكثير من التسلية والفكاهة، في الوقت الذي تقدم فيه لقرائها جرعةً معرفية، وتقوم كلها على الروح القصصية، وقد اخترت هنا ما يخص الحمار فقط، وهي خمس قصائد جاءت متفرقةً على النحو التالي:

١ـ القصيدة الأولى تتحدث عن شبل الأسد وخطبة الحمار فيه، ويبدؤها بقوله[1]:

لـما دعـا داعي أبـي الأشبـالِ	مـبشّـــراً بـــأول الأنـجـــالِ
سعت سباعُ الأرض والسمـاءِ	وانعقــد الـمجـلـس للهنـــاءِ
وصـدَر الـمرسـوم بالأمـانِ	في الأرض للقاصي بها والداني

إننا مُقْدِمون على حفل بمناسبة سعيدة لدى الأسد ملك الغابة، وهي ازديان عرينه بميلاد شبله الأول. وهذا يعني كثرة المهنئين من سباع الأرض والجو، الذين غصَّت بهم الأفناء:

ففـاق بالـذيـول صحنُ الـدارِ	من كل ذي صوفٍ، وذي منقارِ
حتى إذا استكملـت الجمعيـهْ	نـادى منـادي الليـثِ في المعيَّـهْ

---

(١) الشوقيات (٤: ١٣).



هل من خطيبٍ محسنٍ خبيرِ ... يدعو بطول العمر للأميرِ؟

فتقدم الفيل، ثم الثعلب، ثم القرد، وألقى كل منهم خطبةً بهذه المناسبة، ثم جاء دور الحمار:

وأومأ الحمارُ بالعقيرهْ ... يريد أن يشرِّف العشيرهْ
فقال: باسم خالق الشعيرِ ... وباعثِ العصا إلى الحميرِ
فأزعج الصوتُ (طريَّ الزندِ) ... فمات من رِعدته في المهدِ

وهذا يعني أن الحمار ارتكب بصوته المنكر، جريمةً لا تُغتفر، وهي موت الشبل الصغير، وكم من أصوات منكرة انطلقت من حناجر ملوّثة، فكانت سبباً في هلاك المقْبلين على الحياة، فهل يمر ما فعله هذا الحمار بسلام؟!

فحمل القوم على الحمارِ ... بجملة الأنياب والأظفارِ
وانتُدب الثعلبُ للتأبينِ ... فقال في التعريض بالمسكينِ
لا جعل الله له قراراً ... عاش حماراً وقضى حمارا!

٢ـ القصيدة الثانية بعنوان: (الأسد ووزيره الحمار)[1] ويبدؤها بجدل يدور بينه وبين رعيته بشأن اختيار وزيرٍ له، فيقول:

الليثُ مَلْك القفارِ ... وما تضمُّ الصحاري
سعتْ إليه الرعايا ... يوماً بكل انكسارِ
قال: تعيش وتبقَى ... يا دامي الأظفارِ
مات الوزيرُ فمن ذا ... يسوس أمر الضواري؟

---

(١) الشوقيات (٤: ١٤٧).

قـال: الحمـارُ وزيـري ... قضَـى بهـذا اختيـاري
فاستضحكتْ ثم قالت ... مـاذا رأى في الحمـارِ؟

وما هي إلا فترةٌ يسيرة، فإذا بآثار هذا الاختيار السيئ بدأت تظهر للعيان، وندم الليث على ما فعل ولات حينَ مندم!

لم يشعـر الليـث إلا ... ومُلكـه في دمـارِ
القـرد عنـد اليميـن ... والكلب عند اليسارِ

وخاطبه القرد قائلاً:

يـا عالي الجـاه فينـا ... كـن عـالي الأنظـارِ
رأيُ الرعيـة فيكـم ... من رأيكم في الحمارِ

٣ـ القصيدة الثالثة بعنوان (الحمار في السفينة)[١] وهي في الحقيقة مقطوعةٌ صغيرة مكونةٌ من ثلاثة أبيات، ولكنها تعالج فكرةً عظيمة:

سقطَ الحمارُ من السفينة في الدُّجى ... فبكى الـرفـاق لفَقْـده وترحـمـوا
حتـى إذا طلـع النهـار أتـتْ بـه ... نحـو السفينـة مـوجـةٌ تتقـدّمُ
قـال: خـذوه كمـا أتـاني سالـمـاً ... لـم أبـتلعْـه، لأنـه لا يُـهضـمُ

٤ـ القصيدة الرابعة بعنوان: (الحمار والجمل)[٢] بدأها بقوله:

كان لبعضهم حمار وجَمَلْ ... نالهما يوماً من الرِّق ملَلْ

---

(١) الشوقيات (٤: ١٦٧).

(٢) المرجع السابق (٤: ١٧٥).



فانتظـرا بشـائـر الظلماءِ   وانطلقـا معا إلى البيـداءِ
يجتليـان طلعـة الحـريّـهْ   وينشقان ريحها الـزكيـهْ
وبعـد ليلـةٍ مـن المسيـرِ   التفـتَ الحمـارُ للبعيــرِ

ولم يستطع الحمار تحمُّل جو الحرية، فعاد بعد أعذارٍ مصطنعة، إلى القيد، وأنهى شوقي قصيدته بكلمةٍ من الجمل، ألقى بها في وجه هذا الحمار فقال:

سر والزَم أخاك الوتدا   فإنما خُلِقتَ كي تُقيَّدا

وشوقي هنا يشير إلى البيت العربي القديم :

ولا يقيـم على ضيـمٍ يـراد بــه   إلا الأذلاّن: عَيرُ الحيّ، والوتِدُ

٥ـ هي مقطوعة بعنوان: (ثعالة والحمارُ)، بدأها بقوله:

أتى ثعـالــةَ يـومـاً   من الضواحي حمارُ

وختمها بسؤال من الحمار لخَّصه في بيتين:

طرحتُ مولاي أرضاً   فهــل بـذلـك عـــارُ
وهـل أتيـت عظيمــاً   فقـال: لا يـا حـمـارُ!

٦ـ وتحت عنوان: (الغزالة والأتان) يقول:

غزالةٌ مـرت على أتـــانِ   تقبّل الفطيم في الأسنانِ

إلى أن يقول:

فـأسـرع الحمـارُ نحـو أمِّــهْ   وجـاءها والضِّحْكُ ملءَ فمِّهْ



بصيح: يا أمّاه مـاذا قـد دهـا ... حتى الغزالةُ استخفّت ابنَها؟

ولشوقي تحت عنوان «الخصوصيات» قصائد ومقطوعاتٌ متعددة غير الحماريّات، تحمل كل واحدةٍ منها مضموناً تربوياً هادفاً، بطريقةٍ تَقْربُ من عمل ابن المقفع في «كليلة ودمنة»، غير أن هذه بالشعر، وتلك بالنثر.

*   *   *

مؤلفات في الحميـر

لم أكن أنا أول من شغلته حياة الحمير، ولفتت نظره، وشدته سلبياتها وإيجابياتها، تمدحُ فتقول: فلان حمار شغل، وتذمُّ فتقول: فلان حمار، مخه ثخين، وبين المديح والذم يزداد الهم، ويصرخ الحمير والمتحمْيرون من الألم!

فأمامي الآن مجموعة من الكتب التي كتبها أصحابها عن الحمير، وبعضها كتب للأطفال، منها:

١ ـ التاريخ العريق للحمير وابتساماتٌ أخرى[1]

وقد جاء في كلمة الناشر على غلاف الكتاب ما يلي:

كانت نصيحة يحيى حقي لقارئه: إياك أن تستهزئ بالأقزام من الحمير والناس!

واشتكى توفيق الحكيم من حماره الذي تعلم منه نفاق البشر، فهجره وركض إلى ميدان السياسة، بحيث لم يعد في مقدور الحكيم تمييزه من بين السياسيين.

أما مجيد طوبيا، فقد صاحَبَ الحمير، وأثبت أن لهم تاريخاً عريقاً يفوق تاريخ البشر، وأجرى حواراً عالمياً مع زعيمهم، بثته محطات التلفزيون الفضائية بلغات العالم كلها.

---

(١) تأليف: مجيد طوبيا ـ نشر الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦، وهو مجموعة مقالات.



ويحتل الحديث عن الحمير في الكتاب تسع عشرة صفحة (١٤٥-١٦٤)، وقد استحسنّا إيرادها بنصها وفصّها، زيادةً منا في الاهتمام بالحمير. يقول مجيد طوبيا:

التاريخ العريق للحمير

*** حمير التاريخ:**

في الموسوعات العلمية نعلم أن الحمار من الفصيلة الخيلية نسبةً إلى الخيول، وأنه يوجد بشكله المستأنس في إفريقيا وآسيا وبعض أمريكا وأوروبا واستراليا، أي في جميع قارات الدنيا. فهو إذن حيوان عالمي مثل الإنسان بالضبط!

ولا أحد يعرف تماماً أيهما أسبق في الاستئناس: الحصان أم الحمار؟ لكن المؤكد أن قدماء المصريين والآشوريين استخدموا الحمار منذ أربعة آلاف عامٍ قبل الميلاد!

وعلى جدران بعض الآثار الفرعونية نقوشٌ ورسومٌ بالألوان تمثل الحمار وهو يحمل منتجات الحقل سائراً إلى جوار صاحبه في دعةٍ وأمان. فإذا علمنا أنه عمل في خدمة الإنسان قبل الحصان بألفي عام، أدركنا عراقة تاريخه ومدى مساهمته في بناء الحضارة.

ويوجد بمصر عدة أنواعٍ من الحمير. منها: الحمار البلدي وهو قليل الحجم سريع السير، والحمار القبرصي وهو صغير الحجم أسود اللون أبيض البطن قوي يتحمل مشاق العمل، ويُجلبُ من قبرص. أما أجود حمير الركوب فتجلب من السودان، وهي كبيرة الحجم قوية سريعة الحركة سهلة الركوب.

*** مزيد من التاريخ العريق:**

في بعض الأفلام القديمة ترى بوسطجي الأرياف يوزع الخطابات ممتطياً حماراً. هذا الحمار كان موظفاً بمصلحة البريد، يعمل بأكله، وله بند ثابت في ميزانية الدولة كانت تُعتمد من البرلمان لأجل طعامه وشرابه ولأجل تعيين الأطباء البيطريين لمراعاة



صحته. وسبق لإسماعيل ياسين أن قام بدور البوسطجي، ورأيناه يلكز حمار البريد مغنياً «شي يا بتاع البوسطة شي، حا يا بتاع البوسطة حا» مع أنه موظف ميري مثله!

والحمار خدم الإنسان بكل وفاءٍ وشهامة، شاركه في الحروب القديمة إلى جانب الحصان. كان المحاربون يقاتلون من فوق صهوات جيادهم، والحمير تنقل هم الأحمال والعتاد، وتعمل بفروع الإمداد والتموين لكل جيوش العالم، وبدونها تنهزم الجيوش!

وقبل اكتشاف وسائل النقل الحديث، شاركت الحميرُ الجمالَ في نقل الحجاج المسلمين إلى الحجاز، والمسيحيين إلى القدس. كما شاركت في مسيرات آلاف مؤلفة من حفلات الزفاف.

*** حمير الكوكايين:**

عندما كانت بريطانيا دولة عظمى، وكانت تحتل مصر، ومتورطة في حرب همجية مع الألمان اسمها الحرب العالمية، كانوا يصادرون همجية ما يصادفونه من دواب الحمل المصرية لصالح المجهود الحربي.

استخدموا الحمير وأبناء عمومتهم، البغال، في نقل الأسلحة والذخيرة والمؤن، مع أن هذه الحيوانات المسالمة لم تكن طرفاً في الحرب!

سخروها في حمل الأحمال عبر الصحاري والطرق الوعرة، ولمسافات طويلة شاقة. وكي تتحمل هذا العذاب تفتَّقَ ذهن القيادة العسكرية العليا لقوات بريطانيا العظمى على حيلة وضع المخدرات في علف الدواب، غالباً، مخدر الكوكايين.

تسربت كميات منه إلى بعض جنودهم، ومنهم إلى بعض فقراء المصريين!

كانت هذه المرة الأولى التي تعرف فيها مصر هذا المخدر اللعين، مما أزعج الحكومة المصرية فانبرت تحاربه. وشارك الفن بدوره، وتغنى المرحوم (حسن فايق) بأغنيته الهادفة الشهيرة «شم الكوكايين خلاني مسكين».



وهذا المخدر الضار يعطي في بداية تعاطيه إحساساً كاذباً بالنشاط والحيوية، ثم يبدأ بتدمير متعاطيه. فكانت الحمير البائسة، المأخوذة من أصحابها قسراً، تحمل أكثر من طاقاتها، وتمشي أضعاف ما تستطيع، وفي النهاية تَنفُق وتنهار ميتةً من ظلم الإنجليز!

أما عن التعويض المالي لأصحابها المصريين فكان أمراً مشكوكاً فيه!

*** حمير الجبرتي:**

وأثناء وجود حملة نابليون في مصر شكا مؤرخنا العظيم عبد الرحمن الجبرتي من كثرة وقوع حوادث المرور بالقاهرة!

كان هذا قبل عصر العربات؛ لأن الطرقات كانت ضيقة متعرجة، وكان الجمل الموسوق بالتبن مثلاً يشغل عرض الطريق كله. وكان بقايا المماليك والأتراك والجراكسة يركضون بجيادهم السريعة عبر هذه الطرقات ويدهسون الكلاب والأطفال في طريقهم. ثم زاد الزحام عندما أصبح العساكر الفرنسيون يستأجرون الحمير ويبرطعون بها من باب التسلية، فوقع كثير من حوادث تصادم الدواب عند مفارق الطرق. الأمر الذي لفت نظر مؤرخنا المدقق فسجله في تاريخه!

*** حمير نائب رئيس الوزراء:**

في الربع الأخير من القرن العشرين اتهم وزير اقتصاد (وكان يحمل درجة الدكتوراه وبدرجة نائب رئيس وزراء) اتهم حمير مصر الصابرة المثابرة بأنها أحد أسباب الأزمة الاقتصادية !!

أوضح سيادته قائلاً: إن الفلَّاح من أجل خاطر الحمار يقتطع مساحةً من أرضه يزرعها برسيماً لإطعامه!

كان هذا افتراءً على الحمير. فالفلاح له عقلية اقتصادية ممتازة، حتى ولو لم يكن من



حاملي الدكتوراه هو يزرع البرسيم في الربيع لإطعام الحمير والأبقار والخراف والماعز والطيور، أي: من أجل زيادة الثروة الحيوانية والألبان، وهذا إثراءٌ للدخل القومي.

كما أن البرسيم يقوي التربة ويريحها ولا يبقى طويلاً بالأرض.

كما أن الحمار هو أفضل وسيلة نقل عبر الأراضي الزراعية، لأنه يحتاج إلى ممر ضيق، مدق عرضه أقل من متر. ولو استبدله الفلاح بعربة نقل صغيرة لصار في حاجة إلى طريقٍ عرضه خمسة أمتار، فإذا ضربنا هذا العرض في أطوال الطريق لشكلت مساحةً مخيفةً من الأفدنة ستفقدها الأرض الزراعية، إضافةً إلى أن الحمار لا يلوث البيئة مثل عوادم السيارات وضجيجها. وفي النهاية عندما يطعن في العمر، تشتريه حدائق الحيوانات طعاماً لوحوشها من أسودٍ ونمورٍ وغيرها.

من يكون أكثر درايةً بالاقتصاد إذن: الفلاح وحماره أم سعادة الوزير وشهاداته؟

*** حمار الحكيم:**

قال حمار الحكيم «توما»:

ـ متى ينصف الزمان فأركب، فأنا جاهلٌ بسيط، أما صاحبي فجاهلٌ مركب!

قيل له:

ـ ما الفرق بين الجاهل البسيط والجاهل المركب؟

قال:

ـ الجاهل البسيط هو من يعلم أنه جاهل، أما الجاهل المركب فهو من يجهل أنه جاهل!

هذا الحمار اللبيب يشكو من جهل صاحبه، وصاحبه ليس شخصاً عادياً مثلنا، وإنما حكيم. يعني أن حضرة الحمار أكثر علماً ودراية من مالكه الحكيم توما!



عموماً، فإن كل حمارٍ حر في رأيه، ولا يوجد في جميع دساتير العالم بندٌ يمنع الحمير من حرية التعبير!

هذه الشكوى اقتبسها أديبنا توفيق الحكيم من حكايةٍ قديمة، ووضعها في صدر روايته الظريفة «حمار الحكيم» نسبةً إلى لقبه هو، وليس الحكيم توما.

في هذه الرواية يتورط شخصياً في شراء حمارٍ صغير بخمسين قرشاً (من فلوس زمان). في الوقت نفسه تكون إحدى شركات الإنتاج السينمائي قد اشترت منه روايةً لتحويلها إلى فيلم، وإذا رجال الدعاية يصورونه مع الحمار الصغير على سبيل الدعابة، فما أجملها من دعابة: «المؤلف» لا يهبط عليه الوحي إلا من حمار!

هذه الرواية نشرت عام ١٩٤٠، وكان هو حتى زمن كتابتها (١٩٣٩) صامداً مضرباً عن الزواج. يشرح لصديق له سبب هذا الإضراب بأسلوبه الفَكِه قائلاً:

ـ أنا مثل واحد من تلك الحمير الوحشية ذات النقوش الطبيعية السوداء والبيضاء ... والتي لا تطيق أن يمس رؤوسها لجام، ذلك أنها خلقت لتمرح في الغابات وتعيش في الطبيعة المتوحشة.

ثم يتراجع قليلاً:

– معجزةٌ واحدة تستطيع أن تجعل من هذه الحمر الوحشية مخلوقات طيبةً هادئة نافعة، أن تجد غادة فاتنة في يدها سوطٌ من حرير وتروضها في صبر.

يعترض الصديق:

ـ يا أخي لا تعقد المسائل، حمار وحشي أو حمار حصاوي، كلهم حمير تزوجوا وعاشوا، وخلفوا صبيان وبنات ... الزواج شيء مكتوب علينا جميعاً.

يزداد تراجع الحكيم:

ـ إن أملي في الزواج يظل ضعيفاً، حتى أجد المرأة المصرية التي تستطيع ترويضي.



فيها بعد عثر كاتبنا على الغادة الفاتنة التي في يدها سوطٌ من حرير، والتي صبرت عليه وروضته وأنجبت له ابنه إسماعيل، الذي شب وصار عازفاً موسيقياً. ثم كان غدر الزمان، في عامٍ واحد فقده وفقدها، وسبحان من له الدوام وحدَه. وصار في شيخوخته حزيناً، يقاسي الوحدة إلى أن لحق بهما، وأكثر من مرة دخلتُ عليه غرفته بجريدة «الأهرام» فوجدت الدموع تملأ عينيه.

*** حديث حمارة:**

قبل رحيله بسنوات، اختار أن يسجل آراءه في النساء والرجال وأهل السياسة في حواراتٍ طريفة مع حماره. وكان قد أنطقه قبل ذلك بلغة البشر عام ١٩٤٠.

لماذا مع الحمار؟

أجابني:

ـ كي يحميني. فإذا أغضبَتِ الآراءُ أحد الناس وجاء يحتج قلت له: إن هذه ليست آرائي، إنها آراء حمار، فهل تعمل عقلك بعقل حمارٍ سليط اللسان؟

شاء خيال المبدع الرائد أن يصطحب حماره ذات صيفٍ إلى مصيف رأس البر، وبينما هما على رمال الشاطئ، رأى المؤلف صديقاً له بديناً يقترب، فرحب به مداعباً:

ـ يا لك من رشيق! يا لها من رشاقة!

رأى الحمار أن الصديق له جسمٌ قد ترهل وكرشٌ قد برز كأنه فنطاس، فهمس في أذن الحكيم متسائلاً إن كان حقاً يرى صاحبه الفنطاس رشيقاً ؟!

قال المؤلف في عناد:

ـ نعم.

ـ لماذا لا أرى أنا ما تراه أنت ؟!



ـ لأنك حمار.

ـ ولماذا لا تقول لأنك منافق ؟!

ـ هذه مجاملة.

رد الحمار المشاكس:

ـ المجاملة هي النفاق الصغير .. إنني تأملت نفسي ذات يوم وتأملتك وقلت: ما الفرق بينا معشر الحمير وبينكم معشر الآدميين؟ نحن نأكل الفول وأنتم تأكلونه، نحن نحبه ممزوجاً بالتبن وأنتم تحبونه بالزيت، وتلك مسألة مزاجٍ فقط. الفرق الأساسي بيننا وبينكم أنكم تعرفون النفاق ونحن لا نعرفه. لو أمكننا إدخال النفاق في فصيلة الحمير لانقلبنا مخلوقاتٍ مثلكم، سمعت أن النفاق له قيمةٌ كبيرة في أسواق العالم، وأن أجود أنواعه يوجد هنا في مصر، إنني أرى سياسيين منكم قد خُلِق لكل منهم وجهٌ واحد، فصنعوا هم لأنفسهم وجوهاً جديدة .. ومجتمعكم يشمئز من اللص والآثم والفاجر، ولكن لو ابتسم الحظ لواحدٍ من هؤلاء، ونال سلطةً أو أصاب ثروة فسرعان ما يبتسم له الجميع أيضاً!

يندهش الحكيم من صاحبه الحمار:

ـ النفاق ببساطة يا حمار: ألا تنظر إلى الآخرين بعين رأسك، وإنما بعين مصلحتك.

* الحمار يتفوق:

تعلم الحمار النفاق وتفوق فيه على أستاذه، واختفى من حياة توفيق الحكيم. فاضطر إلى إجراء حواراته مع عصاه، التي امتدح وفاءها قائلاً: «إنها ليست مثل حماري الذي تركني وجرى إلى ميدان السياسة وانغمر فيها، فلم يعد في مقدوري العثور عليه أو تمييزه من بين السياسيين».



راح يحاور عصاه ويرفعها متوعداً بها هذه الأنواع من الحمير التي تتنكر في ثياب الرجال والنساء وتضع على وجوهها أقنعة النفاق والزيف!

*** مدرسة الحمير:**

إذا كان توفيق الحكيم استخدم الحمار كأداةٍ فنية، نقل من خلاله بعض آرائه، فإن يحيى حقي كتب عن هذا الكائن بتعاطفٍ ومودة. حمير الحكيم حميرٌ ذهنية تتناقش في السياسة والفن والحياة. أما حمير حقي فهي حمير لحمٍ ودم، لها وجهات نظرها الخاصة، وتذهب إلى المدارس!

وكلٌّ من الحكيم وحقي عمل في وظيفة معاون نيابة الأرياف، التي أمدتهما بفيضٍ إبداعيٍ رائع. كتب الحكيم «يوميات نائب في الأرياف»، وكتب حقي «دماء وطين» وفصلا بديعاً من كتاب «خليها على الله» اسمه «وجدت سعادتي مع أصدقائي الحمير»!

*** حمير القاهرة:**

ولأنه من مواليد وسكان حي السيدة زينب، فقد عاصر وهو صبيٌّ أواخر عصر الحمير الذهبي بالقاهرة. في ذلك الزمان كانت الحمير تشتغل بالنقل .. إذا كانت ملكية خاصة فهي مثل السيارات الخاصة الآن، وإذا كانت للإيجار فهي مثل التاكسيات!

وكان في شوارع القاهرة وميادينها لافتات مثبتة على أعمدة مكتوب عليها: «موقفٌ لثلاثة حمير» أو أربعة أو خمسة، حسب اشتداد حركة النقل في هذا المكان، «الآن يترك الناس سيارتهم في أي مكان وفي فوضى بالغة».

يحدثنا حقي عن الحمير القاهرية الأرستقراطية، التي يمتطيها رجالٌ من أولاد البلد المتدثرين بالشيلان الكشمير. كانت حميراً فارهةً قوية، شعرها مقصوصٌ في رسومٍ زخرفية، وعلاوةً على البردعة الفخمة، كان الحمار يتحلى برشمة (حلية) فضية براقة تهتز فوق



صدره. وعندما يجلس ابن البلد على المقهى، كان يدخن الجوزة وينفخ الدخان إلى خشم الحمار كي يتكيف مثله. وكان لبعض الحمير أحجبةٌ تقيها من شر العين (الآن يكتب الناس على السيارات: يا ناس يا شر، كفاية قر).

*** حمير فنانة:**

أكثر الحمير ذكاءً وخفةَ ظِل كان حمار السيرك، وهو سلالةٌ متطورةٌ من حمار الحاوي الذي كان يدخل حارة الميضة حيث سكنت أسرة حقي، فيلتفُ الناس من حوله. فإذا قال له صاحبه:

ـ اختر لك عروسة!

دار الحمار دورةً كاملة، ثم توقف أمام فتاةٍ جميلة ورفض التحرك. والغريب أن الفتاة كانت تخجل وتسر لهذه الشهادة رغم أنها من حمار.

وفي الأرياف شاهد السيرك الريفي الفقير الذي كان يطوف بالقرى. ولأنه معاون نيابة فقد كان يجلس في «بنوار» كتب عليه «بوليص» إعلاناً أن شاغله ـ مع الاحترام وحفظ المقام ـ قد دخل مجاناً سفلقة.

*** وجهة نظر:**

يقول يحيى حقي: إن خفة وزن الحمار تعينه على هبوط الأخاديد وتسلق جوانبها، له حافرٌ دقيق، يتشمم ويبصر المطبات، ويختار من بينها مسلكاً، فكأنما يمت للماعز بنسب. ينتظم في القافلة لا يربكها، ولا يقفز خوفاً من خياله مثل حصان الإسكندر الأكبر.

ثم يقول: إن الحمار «غلبان يبلع الإهانة. بخس الثمن نادر الاعتراض، لا يجر صاحبه إلى الترعة. إذا طلب الاستحمام سار وحده وتمرغ في التراب. لم أر كالحمار حيواناً، تحس أنه أسقط في يده. أنه لم يقبل قدره من عمىً وغفلة، بل عن بصيرةٍ وفهم. أدرك قدرة ظالمه الإنسان، فقاده ذكاؤه العملي إلى الاقتناع بأن كل أمل له في التغيير قد



مات، وأن لا فائدة ترجى من التمرد أو العناد، فأحنى رأسه وأذنيه، واستسلم بلا قيدٍ أو شرط».

للبقرة عين غارقة في أحلام اللذة، وللجمل عين ترقب الدنيا من غلٍ بتوجس وغضبٍ مكتوم، كأنما يخشى أن تلحق بكبريائه إهانةٌ على يد إنسانٍ حقير. للحصان عينٌ تنم عن الخيلاء والنبل والذكاء، تعكس الضوء بالليل فتتقد كالياقوتة الحرة. وللجاموسة عينٌ منطفئة، لا تنبعث منها حياةٌ أو إرادة، إلا وهي ترضع طفلها فتشع حناناً.

أما الحمار، فإن عينه ذليلةٌ حزينة، تكاد تترقرق فيها الدموع، تبدو أحياناً مغمّصة كعيون الأطفال بعد بكاء.

*** الحمير درجات:**

وفي دفاعه عن حمارٍ قزمٍ ماهر، يحذرنا حقي قصير القامة قائلاً: «إياك أن تستهتر بالأقزام في الحمير والناس».

والحمير في رأيه درجات، أدناها هو حمار السبخ، أي: الذي يحمل السبخ، غير مطلوبٍ منه أن يجري، لكنه يعاني الوحدة والضياع. الدرجة الثانية: كانت حمير الأجرة بالمحطة لا تعرف الراحة، وتأكل ـ بمقدار عملها لا بمقدار جوعها ـ ما يكاد يوضع في أول الطريق حتى يعلم إلى أين ينتهي، وتحس من مشيته وحدها ما إذا كان المشوار طويلاً أم قصيراً، ابنُ سُوق، مستقلّ الشخصية. بعده يأتي حمار الفلاح أو ركوبته الخاصة، طيبٌ وديع القلب، فيه كثير من عباطة السذج؛ لأنه يعيش بين أحضان أسرة صاحبه كواحدٍ منهم، إذا خرج عن دائرته، بدا عليه شيءٌ من الحيرة. أما الحمار الأرستقراطي فكان ركوبة أصحاب الأطيان، أكحل العينين، وعلى ظهره بردعةٌ من جلدٍ ثمين، أو من قطيفة لها زينةٌ ولجام، وركائب، موفور الأكل قليل التعب، مرفوع الرأس راقص الخطو؛ لأنه ابن مدارس.



* مدرسة الحمير:

كان للحمير مدارس مختلطة فيها الذكور والإناث. من تلامذتها النجباء: الخيول، التي يطلب أصحابها أن تمشي مشية الرهوان، وهي مشيةٌ تحتاج إلى تعليمٍ طويل.

ومن تلامذتها المحظوظين: الحمير الأرستقراطية، ويطلب منها الكف عن الفوضى، والاقتناع بأن المشي مثل الرقص له أصوله وقواعده، حتى يصبح الظهر كالبحر الهادئ، مريحاً عند الركوب.

ومدرسة الحمير لها قسم خارجي، وآخر داخلي. في الخارجي يتعلم تلاميذ الجيران، يأتي الرجل بالتلميذ (الحمار) كل صباح، ثم يتسلمه عند المغرب .. أما تلاميذ الداخلي فهم يأتون من الأماكن البعيدة، ومع كل واحد زاده وزواده.

بعد انتهاء مدة الدراسة، يعود كل تلميذ إلى صاحبه وقد أصبح حماراً مطيعاً، ولكن؛ دون شهادةٍ مطبوعةٍ مختومة؛ لأن الحمار يمتاز عن الإنسان بعدم اهتمامه بالأوراق والأختام، وبعدم احتياجه إلى الدروس الخصوصية؛ لأنه يتعلم من أول مرة. أما كثرة التكرار فهي للشطار، من بعض فلذات أكبادنا.

* أنا وصديقي في حديثٍ عالمي:

كنت قد نشرت مقالاً عن «التاريخ العريق للحمير» وعن طيبتهم وسماحتهم، امتدحت فيه كبر عقلهم، إزاء غلاسة البشر معهم.

وفي اليوم التالي مباشرةً، استيقظت من نومي العميق مبكراً، على ضجيجٍ صاخب .. وأنا أسكن بالطابق الأرضي بضاحية مصر الجديد ة، ولشقتي شرفةٌ جميلة مرتبةٌ جداً، فخرجت إليها أستطلع سر الضجة، لأجد الشارع ممتلئاً عن آخره بعشرات الحمير، ما أن شاهدوني حتى اندفعوا في نهيقٍ حماسي مثل نهيق إعلانات التلفزيون، لكنه يقطر محبةً واحتراماً وتبجيلاً لي .. ومع ذلك، لم أفهم قصدهم من هذا الاحتشاد.



طلبت منهم أن يختاروا حماراً واحداً يتحدث نيابةً عنهم، فانتخبوا زعيمهم .. ودعوته إلى شقتي .. وقبل أن يدخل من الباب تنحنح وقال:

ـ يا ساتر:

فقلت له:

ـ تفضل .. لا يوجد حريمٌ بالشقة.

رد مندهشاً:

ـ أما زلت أعزبَ حتى الآن ؟! سوف أزوجك من ابنة أخي الجميلة المهذبة!

شكرته في أدب، سألته عن سبب تجمهرهم؟!

بعد ثلاث ساعاتٍ من الحوار الجاد والنقاش الخلاق، فهمت منه أنهم جاءوا ليقولوا لي: شكراً!

قلت له:

ـ لا شكر على واجب بين الأصدقاء.

وقدمت له كوباً من عصير البرسيم الطازج.

*** آراء على الهواء:**

وأنا أودعه على باب الشقة، فوجئت بمندوبي محطات التلفزيون المحلية والعالمية الفضائية وقد حضروا لتغطية أخبار هذه الزيارة الفذة، ومعهم الكاميرات والإضاءة والمايكات (المايك: دلع ميكروفون).

سألتْ مذيعةُ محطة « سي. إن. إن » الفضائية صديقي:

ـ ما رأيك في الأغاني الشبابية؟



ـ أنا مبسوط جداً من المطربين الشبابيين، وأغانيهم الشبابية تطربنا، ونلجأ إليهم في إحياء حفلات الزفاف.

سؤالٌ من المحطة الفضائية المصرية:

ـ ما رأيك في الحكومة الحالية؟

ـ أنا معجبٌ بها جداً.

سؤالٌ من مذيعةٍ بدينة:

ـ ما رأيك في التلفزيون تبعنا؟

ـ أحب فيه القائمة الثابتة، وأقصد قائمة الضيوف الدائمين في جميع البرامج، والذين يظهرون بثيابهم المكوية ووجوههم المغسولة وكلماتهم المعسولة، إنهم أذكياء مثلنا، يتحدثون عن الطب والفضاء والبطيخ، والصناعة والسينما والفسيخ، والموسيقى والعفاريت وتحضير الأرواح بالكمبيوتر.

التقط أنفاسه ثم قال:

ـ إن ذكاء هؤلاء الضيوف الدائمين يكاد يرتفع إلى مستوى ذكائنا، وأنا لا أجاملهم!

*** توافق:**

سألته مندوبة القناة الفضائية «إن. بي. يو»:

ـ ما رأيك في الإرهاب؟

ـ الشعير أفضل.

ـ ما رأيك في ضرائب الحكومة؟

ـ البرسيم ألذ.



ـ ما رأيك في غلاء الأسعار؟

ـ غلاء الأسعار ظاهرة عالمية.

ـ هذا كلام الحكومة !!

أجاب في زهو:

ـ أنا أقول الصدق، وكلامي كلام حمير .. ثم لماذا توجهون أسئلتكم لي وحدي ؟! .. لماذا لا تسألون صديقي الكاتب الكبير، الواقف إلى جواري ؟! .. هل تظنون أنه عمود خرسانة؟!

فاستداروا يسألونني، وأنا أرد دون تردد، وأبديت إعجابي بالأغاني الشبابية وبرامج التلفزيون ونظافة الطرقات، وأشدتُ بالحكومة وضرائبها الباهظة.

قالت المذيعة البدينة:

ـ إجاباتك تطابق إجابات زعيم الحمير!

ـ لهذا، نحن أصدقاء.

وكان لطفاً من صديقي أن امتدحني قائلاً:

ـ صديقي هذا، هو العبقري الوحيد في العالم الآن، ونحن نرشحه وزيراً!

بكل تواضع، هززت رأسي موافقاً.

٢ ـ حماري قال لي[١]

وهو مجموعة مقالات، وقد افتتح الكتاب بتعريف حماره لقرائه، بعنوان: (من هو حماري..؟)، وذلك في خمس صفحات، من المهم إيرادها، وهي:

---

(١) توفيق الحكيم، دار مصر للطباعة، ١٩٢٤م.



الحمار له في حياتي شأن ... إنه عندي كائنٌ مقدس، كما كان الجعران عند المصريين القدماء .. لقد عرفته منذ صغري في صورة جحش جميل، اشتراه لي أهلي بثلاثين قرشاً، وجعلوه لنزهتي في الريف ... وكانت له برذعةٌ صغيرة حمراء لا أنساها... وكنا خير رفيقين ... لا نفترق إلا للنوم ... فقد كان في مثل سني ... أي: في طور الطفولة من فصيلته، كما كنت أنا في طور الطفولة في جنسي.

على هذه الحال من المودة عشنا، حتى فرقت بيننا الأيام، فذهبت أنا إلى مدارس الحضر، وبقي هو في ريفه .. وعدت في الصيف بعد أعوام، فوجدت الحياة قد تنكرت له؛ فالبرذعة الحمراء قد نُزِعت من فوق ظهره، وألقي بها في مكانٍ مهجور، ووضع مكانها «غبيط» يحمل فيه التراب والسماد والطين .. فدنوتُ منه، ومسحت رأسه المُعفَرَّ بكفِّي، فنظر إلي نظرةً حزينة، وكأنه يقول لي:

ـ أرأيت؟ ... لقد ذهبت الطفولة وولت أيام الهناء!

وحزَّت تلك النظرة في قلبي، ونظرت إلى من حولي قائلاً:

ـ أما كنتم تستطيعون أن تجنبوه هذا العمل الشاق المهين ... وتجعلوه على الأقل للركوب! ...

وكأنه فهم عني، فقد رفع رأسه نحوي، وكأنه يقول:

ـ لا فائدة !... لا تُجهِد نفسك معهم ... ما من أحدٍ غيرك يعرف لي قدراً! ..

ولم تستطع شفاعتي أن تغير شيئاً مما كتب عليه ... فتركته لمصيره ... ثم بلغت مرحلة الشباب، وفرغت من الدرس، واشتغلت بتأليف الروايات التمثيلية ... فلم يفُتني أن أجعل من الحمار شخصيةً في رواية لي، فظهر على المسرح ولم أره للأسف! فقد كنت غادرت مصر وذهبت إلى أوروبا، فجاءتني، الأخبار بأن الحمار أدَّى واجبه على أكمل وجه، وقام بدوره في الرواية على نحوٍ يستحق الإعجاب ... ولكنه نظر بعد ذلك



إلى جمهور المشاهدين نظرةً عميقة، ثم فعل فعلةً غير لائقة لوَّثَت خشبة المسرح ... وخرج بين سخط الممثلين وهرج النظار والمتفرجين .... وقد بلغني أنه ضُرِب عندئذ وطُرِد وأُهِين، ولو كنتُ أنا حاضراً، لدافعت عن ذلك المسكين.

وأغلب ظني أنه أدرك بغريزته أن الجمهور لم يفهم الرواية ... فناب عني في إظهار احتقاره له، بالطريقة التي رآها مواتية.

ومضى نحو عشرين عاماً، فرأيت الجحش مرةً أخرى في شوارع القاهرة، واشتريته بثلاثين أو خمسين قرشاً مرة أخرى، ولكن هيهات ... لقد كان هو في طفولته، وأنا في كهولتي ... فلم يكن بيننا غير صمتٍ طويل انتهى بموته ... أتراه أدرك بسليقته أم أن أوان اللعب قد فات بالنسبة إليّ! ... فآثر أن يتركني سريعاً، قبل أن أستكشف بنفسي هذه الحقيقة فأحزن؟ ... لقد سميته «الفيلسوف» وقد علمني أشياء كثيرةً بمجرد صمته وارتفاعه عن لجج هذا البحر الخضم: بحر السخف الإنساني!...

ثم رأيت الحمار بعد ذلك في الريف، أثناء زيارةٍ قصيرة في أحد الأعياد ... ذهبت للراحة بضعة أيام ... وقد خطر لي أن أصطاد السمك في جدولٍ غير بعيد، فسرت على أقدامي مع بعض الفلاحين يحملون لي عصا الصيد، وساء تقديري لقوة احتمالي للسير ... فقد شعرت بالجهد والتعب بعد مائة خطوة ... ولم يجدوا لي حيلةً غير وضعي على صهوة حمارٍ من حمير التراب كان يعمل في حقلٍ قريب ... ولم أر ـ والله ـ في حياتي أتعس ولا أشقى من ذلك الحمار ... كان الدم يقطر من ظهره؛ لثقل «الغبيط» وهزال جسمه، وبروز عظمه ... ولا أحد يرحم ... وكان يتضور من الجوع، ويمد بوزه إلى كل عودٍ أخضر يجده في الطريق، فلا يلقى غير اللكم ممن يقودونه، ولا يظفر بغير اللطم ... لقد كان ذلك الحمار ملكاً لبعض المستأجرين الفقراء من الفلاحين، الذين لا يملكون للحمير قوتاً ... ولا يدّخرون ما عندهم من «العليق» إلا للجاموسة والبقرة التي تدر اللبن ... أما الحمار، فهو في نظرهم لا يساوي أكله ... وهو يذكر عند المهمة العنيفة والعمل الشاق ... ولكنه ينسى



عند حلول الأكلة النظيفة، فعلى المسكين إذن أن يلتقط ما يصادف في طريقه من عشبٍ مهمل، أو ورق زرعٍ متروك ... وليتهم مع ذلك يدعونه يفعل، فهم يدفعونه في ظهره بالعصا كلما تباطأ قليلاً لالتقاط رزقه من الأرض بحجة أنه يتلكأ ويتلاكع، ويتكاسل عن عمله المفروض، أما إذا حدَّثته نفسه اللعينة؛ فمال برقبته على حقلٍ للذُّرة، وفقد رشده وخرج عن وعيه، وهبر بأسنانه عوداً منها أو كوزاً دانياً؛ فهي الطامة التي لا تدانيها طامة ... فإن الصياح يعلو من كل جانب، ويهرع أصحاب الزراعة بالهراوات ينهالون بها على المسكين وهم يتصايحون: «حوشوا الحمار، نزل غيط الذرة .....».

ذلك هو الحمار الذي امتطيته ذلك العصر ... وقد وجدت مشيته أبطأ من مشيتي، ... ولكن فهمت السبب، فتركته يسير كما يشاء، ويلتقط ما يشاء ... ونهرت كل من أراد بالضرب حثه على الركض، بل لقد فعلت أكثر من ذلك؛ لقد تركته ـ وقد شعر لا شك بتسامح راكبه ـ يمد فمه إلى كوز ذرة دنا من طريقه ... وشرع الفلاحون في الصياح فأسكتهم في الحال بقولي:

ـ «اتركوه .... اتركوه .....».

فسكتوا مرغمين .... أما هو فقد طحن الكوز بأسنانه طحناً سمع له خشخشةً وبلع، فكان لحركة البلع في حلقة معمعة، وخُيِّل إلي أنّي أرى الطعام يُحدث عنده لذةً لم يحسها المسكين منذ أمدٍ طويل ... وسار بعد ذلك وكأن كل خطوةٍ من خطواته تسبيحة حمد وشكر .... إلى أن بلغنا الجدول المقصود، فترجَّلت، وأخذنا في الصيد، وأوصيتهم أن يتركوا الحمار يرعى الكلأ النابت على حافة الماء ... وشهد الله، لقد كانت ساعةً لم ينعم بمثلها ... والله إذا أعطى فإنه يعطي أحياناً بغير حساب .... فقد تهيأ لذلك الحمار السعيد وقتئذٍ الماء والخضرة ... فأظفره الله بالباقي، أي: الوجه الحسن في صورة حمارة شابة كانت ترعى هي الأخرى مع بعض خرافٍ ونعاجٍ على مقربة منه ... فما راعني ـ وأنا مشغولٌ بصيدي ـ إلا صوتٌ من بين الفلاحين يصيح:



ـ حوشوا الحمار والحمارة .....

فالتفتُّ، فإذا المغازلة على أتمها بين الحبيبين ... فقلت:

ـ اتركوهما ....

فتركوهما حتى انفصل أحدهما عن الآخر ....

وفرغت أنا من صيدي، فركبت الحمار عائداً وهو يركض بي كالمرح، فقد أكل، وشرب، وتنزه، وغازل ... إنها لحظةٌ من الهناء قد سرني وأسعدني أني أتحتها له... ولكن القدر قد جعله يدفع ثمنها غالياً ... فالمكتوب عليه الشقاء؛ ويجب أن يُحاسب على كل فرحةٍ تتسرب إليه خلسةً من يد القدر النائم .... ولم تمض بالفعل أيامٌ حتى سمعت أن ذلك الحمار قد نفق جوعاً، وسقط إعياءً وسط الحقل، رازحاً تحت أثقال ما يحمل من تراب ... فألقى الفلاحون بجثته في المصرف ... ولم يكلفوا أنفسهم حتى مؤونة دفنه، وضنوا عليه حتى بذلك التراب الذي قضى حياته التعسة كلها في حمله على ظهره ... فلما بلغني ذلك أمرتهم أن ينتشلوا جثته من الماء في الحال وأن يدفنوه.

ولست أدري حتى هذه اللحظة أفعلوا أم سخروا وكذبوا علي وتغافلوا عنه حتى جرفه التيار ...

من بين هذه الحمير الأربعة: أين حماري الذي يحادثني وأحادثه؟ ... إنه ليس واحداً بالذات من بينها .. إنه جميعها. إنه هو كلها مجتمعةً في واحد، هو روح هذه الأربعة التي عرفت، إنه النوع بفصائله، والفصيلة بصفاتها ... إنه أي حمار، رأيته أو لم أره ... مهما تكن ظروفه ومصائره .... أي حمار من تلك الحمير التي أعرف أو لا أعرف هو لي صديق ... أحبه وأحدب عليه، وأفهم ما يجول في خاطره ... وأنظر إلى عينيه وأصغي إليه، فيخيل إلي أن صمته الطويل قد انفرج عن حديثٍ مؤنس يدلي به إليّ، وأسئلة طريفة يلقيها عليّ ....



ثم ناقش معه مجموعةً من القضايا السياسية والاجتماعية، في أسلوب ساخرٍ وجريءٍ غير هياب.

٣ ـ حمار الحكيم[1]

وهو رواية، ولننقل فاتحة الرواية: (١١-١٨):

عرفته في يومٍ من أيام الصيف الماضي ... في قلب القاهرة ... وفي شارعٍ من أفخم شوارعها ... كنت أسير في ذلك الصباح إلى حانوت حلاقي ... وكان الهواء حاراً ممزوجاً بنسيمٍ لطيف ... وكان صدري منشرحاً، فقد صادفت وجهاً مليحاً، لغادةٍ شقراء هبطت معي بكلبها في مصعد الفندق الذي اتخذته منزلاً، مشيت وأنا أكاد أصفر بفمي وأترنم. وأشرفت على حانوت الحلاق ... وإذا أنا أراه ... أرى ذلك الذي كُتب لي أن يكون صديقي ... رأيته يخطر على الإفريز كأنه غزال، وفي عنقه الجميل رباطٌ أحمر وإلى جانبه صاحبه: رجل قرويٌّ من أجلاف الفلاحين ... ووقف المارة ينظرون إليه ويحدقون، وبجمال منظره ورشاقة خطاه يعجبون ... لقد كان صغير الحجم كأنه دمية ... أبيض كأنه قُدَّ من رخام، بديع التكوين كأنه من صنع فنان ... وكان يمشي مطرقاً في إذعان، كأنما يقول لصاحبه: اذهب بي إلى حيث شئت، فكل ما في الأرض لا يستحق من رأسي عناء الالتفات.

ذلك هو «الجحش» الصغير، الذي استرعى أنظار الناس في ذلك الشارع الكبير ... ومنظر جحش في مثل هذا الحي كافٍ وحده لإلقاء العجب في النفوس ... ولكن هذا الجحش كان ـ ولا ريب ـ جميلاً في الجحوش ... فقد كانت عيون المارة تشع بالإعجاب به قبل العجب ... ووقفت به سيداتٌ إنجليزياتٌ داخلاتٌ محل «جروبي» فما تمالكن

(١) توفيق الحكيم، دار مصر للطباعة، ١٩٩٠م.



أنفسهنّ من إظهار الحب له ... فلو أنه شيءٌ يحمل لما ترددن في اقتنائه وحمله، كما تقتنى الحلي وتحمل .... وكان صاحبه يريد بيعه فيما خيل إليّ ... فلقد سمعته يقول لمن أحاط به من مارةٍ وباعةِ صحفٍ وغلمان ...

ـ بخمسين «قرش» ...

وكانت قدماي على الرغم مني تسيران بي مع الجمع المحيط بالجحش ... وكانت عيناي على الرغم مني لا تنحرفان عن النظر إلى هذا المخلوق الصغير الجميل، وإذا بفمي على الرغم مني ينطلق صائحاً:

ـ بثلاثين «قرش».

فالتفت الجمع كله نحوي .. ودار لغطٌ وارتفع كلام. وإذا بي أرى رجلاً قد انبرى من بين الجمع، هو بائع صحفٍ يعرفني ويبيعني صحفه، قد تطوع للعمل باسمي، فجذب الجحش من يد صاحبه الفلاح الحريص، وصاح في وجهه:

ـ سيدنا البك أمر، أمره يمشي على رقبتنا! ..

فأطبق الفلاح يده على عنق الجحش وصاح:

ـ ثلاثين قرش! ... هو فرخة رومي! ..

ـ عيب يا جدع، إنت ترد على البك الكلام !..

ـ والله ما أُفرِّط فيه بأقل من أربع برايز! ..

وحمي الشد والجذب بين الرجلين ... حتى كاد ينخلع في أيديهما عنق الجحش المسكين ... وانتهى الأمر بانتصار سمساري المتطوع ... فقد صارت في يده البضاعة قسراً ... فالتفت إلي قائلاً:

ـ هات يا بك الثلاثين «قروش» .. فتردد البائع وتراخى، ولكنه أراد مع ذلك أن يحتج قليلاً، فأغلق الرجل فمه بقبضته وصاح:



ـ اسكت لا «أخرشمك» !.. هات يا سيدنا البك الفلوس، واستلم الجحش مبارك عليك !.. بيعة حلال بنت حلال !..

وتقدم نحوي ساحباً الحمار ليسلمني قياده الأحمر المتدلي من عنقه ... هنا ذهبت السكرة وجاءت الفكرة .. لقد تمت الصفقة من حيث لا أرجو في حقيقة الأمر ولا أنتظر .. فقد جرى كل شيءٍ وأنا في شبه غيبوبة، فالثمن الذي حددته بثلاثين قرشاً إنما خرج من فمي دون تفكير أو تدبير ... رقم لفظ على سبيل الدعابة ... فإذا الهزل يصبح جداً .. ودخل الآن الجحش في ملكي وحيازتي .. فما عساي أن أصنع به الآن وأنا داخل حانوت الحلاق؟ ... وأين أضعه ولا منزل لي غير حجرةٍ وحمام في فندق معروف؟

وفوق هذا، فجيبي كان خلْوًا وقتئذٍ من مبلغ الثلاثين قرشاً .. فلم أكن أحمل ذلك الصباح غير ورقةٍ مالية كان في عزمي استبدالها بنقودٍ صغيرة، فأردت الرجوع في الصفقة ... فتعذر عليّ الأمر ... ولاحقني البائع والسمسار بالحمار ...

فقلت منزعجاً، وأنا أشير إلى حانوت الحلاق ...

ـ لكن ... أنا داخل أحلق ..

فأجاب بائع الصحف من الفور:

ـ تفضل حضرتك أحلق في أمان الله ... وأنا أقعد لك «بلاقافية» بالجحش على الباب في انتظارك! ..

فقلت متململاً حائراً:

ـ وحتى المبلغ ..

فعاجلني الرجل قائلاً:

ـ أنا أفك لحضرتك حالاً من عند الدخاخني ... وسد الرجلان في وجهي المسالك،



ولم يشفع لي عندهما قول ولا حجة ... ولم يُفِد اعتذار ... ولزمني الحمار ... فأذْعَنت ... وأشرت إليهما، فتبعاني به إلى حانوت الحلاق ... دخلت ... فقلت للحلاق أن يؤدي عني الثمن من صندوقه ... فأداه ... وانصرف الفلاح، ووقف بائع الصحف على باب الحانوت بالجحش يطرد المجتمعين حوله من المارة والغلمان وأهل الفضول ... وأنا جالسٌ أفكر في الأمر، وما أنا صانعٌ بعد ذلك بهذا الحمال، والحلاق يلطخ ذقني بالصابون ويتغزل في جمال الجحش ويثني على رزانته، ويتحدث عما يلزم له من الغذاء والخدمة ... ويتنبأ بما ينتظره من مستقبلٍ باهر يوم يغدو كالفرس الأشهب ... وبقية زبائن الحانوت ينظرون إليَّ وإلى كل هذا ويكتمون ضحكهم، ويخفون رؤوسهم ما خالجهم من أمري من ظنون، إلى أن فرغت من الحلاقة فنهضت، ودفعت الورقة المالية إلى صاحب الحانوت، فأخذ ما له عندي ... وخرجت فاستقبلني بائع الصحف .. وقدم لي زمام الجحش وهو يقول:

ـ أطلقه حضرتك يجري في الجنينة !..

فقلت كالمخاطب نفسي:

ـ لو كانت الجنينة موجودة لهانت المسألة ..

فقال الرجل:

ـ أطلقه على السطح، وإلا في «الحوش» مع ـ من غير مؤاخذة ـ الخرفان ..

فقلت وقد تخيلت مسكني في الفندق:

ـ وإن كنا نطلقه في الحمام ..

فقال الرجل فاغراً فاه:

ـ الحمام ..؟!

فلم أرد على اعتراضه واستغرابه، وقلت له آمراً:

ـ اسبقني به على لوكاندة «.........».



نعم، لقد فكرت في الأمر، فوجدت أن هذا الجحش الجميل ليس أهون قدراً ولا أقل ظرفاً من ذلك الكلب الذي رأيته اليوم في صحبة الفتاة الشقراء .. فما الضرر في أن يصحبني اليوم، فأنزله ضيفاً عليّ يقاسمني حجرتي حتى العصر؟ لقد كنت أزمع السفر عصر ذلك اليوم بالذات إلى ريفٍ قريب في مهمةٍ غريبة، يأتي بيانها عما قليل.. فليبق معي إذن، إلى أن أذهب به إلى الحقول فأطلقه حتى يرتع فيها ويمرح .. على أنّ ما شغل بالي هو أمر طعامه اليوم .. لقد كان الحلاق يتحدث فيما تحدث عن غذائه، أنه لن يطعم غير اللبن، فهو رضيعٌ فيما يرى، ابن يوم أو يومين، وقد انتُزع من ثدي أمه انتزاعاً ليباع في شوارع القاهرة .. ولعل ذلك لعسرٍ وقع فيه صاحبه .. فالفلاح إذا جاع باع كل ما يمكن أن يباع .. من يدري؟ لعل الرضيع اليتيم هو آخر حلقةٍ في سلسلة شقاءٍ طويل.. ولم أسترسل في التأمل .. فقد تجمع حولنا الناس من جديد .. فأشرت إلى بائع الصحف أن يسرع بالجحش أمامي وأنا أتبعه عن كثب. فجذبه من رباطه الأحمر، فمشى المسكين مشيته الرزينة في إطراقه وإذعانه، دون أن يُعنى بتبدل الصاحب وتغير المصير .. وجعلت أتأمله من بعيدٍ في مشيته .. إنها تشبه مشيتي أحياناً .. إذ يخيل إليّ في لحظات كأن رأسي قد ارتفع عن لجة الوجود المنظور إلى فضاء الوجود غير المنظور فأمر بالحياة مذعناً .. لا أحفل بمن معي ولا بمعرفة وجهتي ..

نعم، إن مشيتي كمشيته أحياناً، ونظراتي أحياناً كنظراته الجامدة، المشرفة على عالم ساكنٍ صافٍ مجهول، قد أغلقت دون الآدميين أبوابه السبعة المختومة بسبعة أختام ..

اللهم اغفر لي هذا الغرور، إذ أرفع نفسي إلى مقام التشبه بهذا الكائن العجيب!..



٤ ـ الحمير[١]

وهو مسرحية يتكون محتواها من العنوانات التالية: (الحمار يفكر ـ الحمار يؤلف ـ سوق الحمير ـ حصحص الحبّوب). ولننقل كلمة المؤلف: (١١-١٥):

إن نبض الحياة في أمةٍ من الأمم، يشبه نبض الحياة في جسمٍ من الأجسام. وهو الإحساس بالخير والشر، والوعي للصواب والخطأ. ولما كان مركز الإحساس والوعي في الجسم هو المخ، فإن هذا المركز في الأمة، هو المخ أيضاً. ومخ الأمة هو الفكر وأهل الفكر.

وعلى ذلك، فلا حياة لأمةٍ إلا بإحساسها ووعيها لما يحدث لها. ولقد كان إحساس مصر ووعيها في مطلع هذا القرن وقبله، هو حاجتها إلى أن يكون لها صوتٌ وإرادةٌ في حكم نفسها، على الأقل في المجال الداخلي، ما دام الاحتلال البريطاني يشلها في المجال الخارجي. فكان أن ارتفع صوتها بمطالبة الخديوي بالدستور. وكان شباب الأمة وقتذاك كلما مر بهم موكب الخديوي هتفوا: «الدستور يا أفندينا». فلما سمع فيه رأي الشعب وتجلت فيه صورٌ من التعبير عن وعيه لشؤونه ومشكلاته، بدأت تتضح معالم حياته وتتشكل ملامح شخصيته. ولكن هذه الديموقراطية ما لبثت أن انحرفت عن مجراها الطبيعي، بالانقسامات الحزبية التي كانت تديرها وتثيرها الأيدي الخفية للسراي والسياسة البريطانية لإيجاد الفُرقة بين الأقلية والأغلبية. وفطن أهل الفكر الحر إلى ذلك الانحراف، وبدأت الكتابة فيه، وكتبتُ أنا بالفعل «شجرة الحكم» تصويراً لانحراف الديموقراطية وتزييفها.

وجاءت الحرب العالمية الثانية، وظهر نوعٌ من الأثرياء الجدد أطلق عليهم يومئذ «أثرياء الحرب»، كما ظهرت في بلادنا أعراض الرأسمالية المستغلة التي كنا نسمع عن

---

(١) توفيق الحكيم، دار مصر للطباعة، ١٩٨٨م.



أمراضها في الغرب. وأخذت موازين المجتمع تختل إلى حدٍّ شعرنا معه بضرورة التفكير في الاشتراكية وتوزيع الملكية والثروات توزيعاً عادلاً. واقترح بالفعل أحد أعضاء مجلس النواب في ذلك العهد تحديد الملكية الزراعية بمئة فدَّان، كما عرض أحد وزراء حرب الأغلبية على البرلمان مشروعاً برفع ضريبة الأطيان على كبار الملاك، ومشروعاً للضمان الاجتماعي، كما نشرت جريدة «المصري» لأحد هؤلاء الوزراء خطبةً جاء فيها تحبيذ للاشتراكية، مما جعل خصوم هذا الحزب يدسون له عند الملك فاروق بقولهم إنها دعوة للشيوعية ...

وظهر جلياً أن وعي الأمة الحي النابض لا بُدَّ أن يَهُبَّ ليدفع البلاد في اتجاهٍ اشتراكي داخل إطار النظام الديموقراطي. إذ كان من المستبعد أ ن يتم ذلك عن طريق انقلابٍ عسكري؛ لأن الجيش هو القوة التي كان الملك فاروق يعتمد عليها باعتباره الرئيس الأعلى للجيش ...

فلما قام الجيش بهذا الانقلاب كانت دهشةً للجميع، خاصةً وأن جيش الاحتلال البريطاني كان مُرابطاً على مقربةٍ من القاهرة، وكان من الممكن لدباباته وطائراته إجهاض حركة الجيش في دقائق. وعلم بعدئذٍ أن أمريكا تدخلت لتأييد حركة الجيش المصري ضد فاروق، وشُلَّت يد بريطانيا واختلفت الأسباب في موقف أمريكا. وفسر ـ فيما فسر ـ بأنه خوفها من الاتجاه الاشتراكي عن طريقٍ شعبي لا يمكن السيطرة عليه فيؤدي إلى الشيوعية، ولا بأس عندها من اشتراكيةٍ محكومةٍ بقبضة جيش ...

مهما يكن من أمر فقد قامت حركة الجيش بعد طرد فاروق بإصدار القرارات لتحقيق الأماني التي سبق للأمة أن فكرت فيها وعملت لها. ورحبنا جميعاً بهذه الحركة. وأسميناها: «الحركة المباركة». ثم أطلق عليها وصف الثورة. وتعلقت الآمال بثورة يوليه ١٩٥٢م. ونشطت هذه الثورة لمحاسبة العهد السابق ومحاكمة رجاله، فأنشأت محاكم الثورة ولجان التطهير ونحو ذلك. ولم تُسفِر هذه المحاكمات عن مخالفات جسيمة



عَرَّضت البلاد لخسائر ماحقة أو هزائم قاصمة. إلا أننا كنا نحن قبل الثورة قد اعتبرنا ما كان يحدث من انحرافٍ وتزييف للديموقراطية أمراً لا يمكن السكوت عليه طويلاً، ولابد له من التصحيح والتوجيه إلى الطريق الاشتراكي.

فلما جاءت ثورة يوليه ١٩٥٢م، ووضعنا فيها أملنا في هذا التصحيح والتوجيه، وجدنا أن هذا يحدث في إطار الحكم المطلق. ومع ذلك، رضينا بهذه الاشتراكية بدلاً عن الديموقراطية، أي: عن الحرية الليبرالية ...

ولكن مع مرور الوقت اتَّضح لنا ـ شيئاً فشيئاً ـ أن تطبيق الاشتراكية عندنا أصبح متماثلاً لتطبيق الديموقراطية، وأن ما وضعناه قبل الثورة من انحرافٍ وزيفٍ للديموقراطية بدأ يقابله انحرافٌ وزيفٌ للاشتراكية. إذ لا يمكن التطبيق السليم للاشتراكية مؤدياً إلى هذا المستوى الاجتماعي السيّئ للشعب، وإلا كانت الاشتراكية نفسها مخيبةً لآمال الشعوب. وإذا كانت الديموقراطية عندنا قد انحرفت إلى نوعٍ من الانتهازية السياسية، فإن الاشتراكية عندنا قد انحرفت هي الأخرى إلى نوع من اللصوصيةِ والبيروقراطية.

لهذا كتبت هذه الصورة في كتاب «الحمير» التي قد تماثل من حيث التناول الفني الكاريكاتوري تلك الصور السابقة في كتاب «شجرة الحكم».

ولعلم أولئك الذين قد يسألون: لماذا لم تظهر هذه الصور كلها من كتاب «الحمير» في عهدٍ سابق؟ أقول لهم مؤكداً: إنها أُرسِلت بالفعل للنشر في جريدة «الأهرام» في ذلك العهد السابق أمام شهودٍ قُرِئت عليهم، ولكن رئيس التحرير المسئول عن «الأهرام» وقتذاك وجد حرجاً شديداً في النشر، وحبس المسرحيتَيْن الأولى والثانية، أي: «الحمار يفكر» و«الحمار يؤلف» حبساً طويلاً في مكتبه دون أن يرى من الممكن نشرهما على الإطلاق. إذن فالوعي قد وُجِد، والقلم قد كتب، ولكن النشر قد مُنِع، وهذا ما لم يكن يحدث في مصر من قبل، فلقد نشرت صور «شجرة الحكم» بما فيها من سخريةٍ بحكامٍ في كراسي السلطة، دون أن يجرؤ أحدٌ منهم على منع النشر.



وبعد،

فما الذي يريده مثلي الآن من نشر هذا الكتاب؟

كل ما أريده هو أن يظل نبض الحياة في أمتنا قائماً بوظيفته الحيوية، ولا قيمة لحياةٍ بغير وعي. وكما أن الوعي عندنا قبل الثورة قد جعلنا نفحص الديموقراطية لنتبين فيها مواضع الزيف، كذلك يجب علينا ـ إذا كان نبض الحياة فينا لم يقف ـ أن نفحص الاشتراكية لنتبين فيها مواضع الزيف ....

وإذا كانت الاشتراكية عندنا قد انحرفت أو زُيِّفت كما انحرفت الديموقراطية من قبل أو زُيِّفت. فلماذا قبلنا محاكمة الديموقراطية المنحرفة ولم نقبل فكرة المحاكمة للاشتراكية المنحرفة؟ ..

وإذا كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ قد حاكمت الديموقراطية المنحرفة؛ لأنها أدت إلى هزيمة حرب ١٩٤٨، فلماذا لا تحاكم الاشتراكية المنحرفة التي أدَّت إلى هزيمة حرب ١٩٦٧؟

وشتَّان بين نتائج الهزيمتين وخسائر الهزيمتين!؟

من حسن الحظ أن جوهر شعبنا ـ على الدوام ـ سليمٌ لم يمس، وأن معدنه نفيس. والجوهر الخالد والمعدن النفيس ضد الزيف. وإنه ليتعين أن نبدأ صفحةً جديدة تكون فاصلةً بين الزيف والصدق، وبين المرض والصحة. وكما أنه لا يمكن الدفاع عن الصحة بالتستر على المرض، كذلك يجب الدفاع عن سلامة المستقبل بالكشف عن كل ما قبله.

والدوام لمصر،،،



٥ ـ تولب نافع[١]

ـ حوار بين إنسان وحيوان: ولننقل منه مجريات الأسبوع السابع عشر (٢٦٩-٢٨٤):

بعد أن حكم ملك الجان، وبغموضٍ لم يعجب نافعاً، عاوده القلق والحزن، لمصير حوار الإنس والمجيَّر بالتالي لمصير حواره مع الضيف المراوغ ... وقلق وحزن لطرح التولب لهجةً جديدة، وهي أن هناك فوارق حيوانية يتمنى البعض من البشر أنها آدمية.

تضجَّر نافع مما يعانيه، فالحال تزداد سوءاً، وموازين المنطق تنقلب، فقال محدثاً نفسه:

ـ لقد حاول التولب في حواراته السابقة أن يساوي بين البشر والحيوان، والآن ينشِّن على التفوق الحيواني، إنَّ ما يقوم به لهو عين البهتان، فلا حول ولا قوة إلا بالله! ما هذه البلوى التي ابتُلِيت بها؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، كنت آتي بالفوارق فيرد علي التولب مُنطلقاً من مبدإ (الناقد بصير) سلاح به أطاح بطروحاتي.

تدارك خاطرته قائلاً:

ـ عفواً لم يهزمني التولب في أي حوارٍ دار بيننا، لكنه يختطف مني النصر بحرب عصابات لا قِبَل لي بها، لم يجابهني، ولكنه بمبدأ (الناقد بصير) ينهك فكري، فيخرج متوهماً تفوُّقَه، مما جرأه على أربابه وأسياده.

هنا برِقَت فكرةٌ حواريةٌ جديرةٌ بأن تعيد الموازين لوضعها، فلاحت على مُحيَّاه الفرحة، فقال:

---

(١) صالح عبد الله العيبري، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.



ـ لماذا لا أكون أنا الناقد البصير؟ لمَ لا أستخدم سلاحه الذي أنهكني، خصوصاً وأنه في آخر لقاءٍ عرض عليّ أن يأتي هو بالفوارق.

اطمأن نافعٌ بمبدأ الحيطة، وحذر نفسه من مَغبَّة قبول (طُعْم السمكة)، فلا موافقة لأي طرح، قائلاً لنفسه: إنه محاورٌ لا ترضية الموافقة على طروحاته، أذكر أنني وافقته في صدق الرجل الغربي، فرد علي: إنه تولبٌ لا يستحق التأييد في أي طرحٍ من طروحاته.

وجاء عصر الاثنين.

جلس نافعٌ متحفزاً واثقاً من سلاح استخدمه التولب وانتصر، سلاح سكّت به نبرات نافعٍ كثيراً، وآن الأوان أن يرد نافع الصاع صاعين .. سلاح سيعاد لصدر راميه.

تفاؤل نافع أعطاه دفعةً من الثقة .. وما هي إلا دقائق وإذا بالضيف يدخل.

تبادلا التحية فجلسا، فقال نافع:

ـ في آخر لقاءٍ لم يسعك الوقت لتتحدث عن فوارق تميزكم عنا، ولأثبت لك حلمي وشجاعتي أقول لك: هات ما عندك، وسترى علماً يفوق ما كنت تعرفه.

قصد نافع بهذا التهويل إربـاك الخصم، لكن التولب لم يأبه ولم يهتم بالتهويل، فقال التولب:

ـ كأنك واثق.

ـ الحمد لله.

ـ وهل معرفتك تفوق معرفة الحمار؟

ـ كن واضحاً يا تولب، فلا نريد رموزاً.

ـ حسناً طلبت ... في زمن ازدهار المكاريّة تظهر جماعة لصوص الحمير، ولهم مهارات في إخفاء شكله السابق، فيباع بسوق الحمير، وربما يمر صاحبه فلا يعرفه، ربما



يتماس كرش الصاحب ببطن الحمار، دون أن يكتشف أنه حماره المسروق، هذه الظاهرة تحدث كثيراً في ذلك الزمن.

هزَّ نافع كتفيه، وقال:

ـ وما ميزة الحيوان في ذلك؟ لا يعدو الأمر مهارة لص.

ـ ميزتنا أن الحمار هو الذي يعرف صاحبه، أمَا سمعت حكاية عبد العال محمود؟

ـ وما حكايته؟

ـ كان المزارع عبد العال محمود من قريةٍ في مركز منفلوط بمصر يسير في ميدان باب الخلق، فاقترب منه حمارٌ يجر عربة، وسحبه من جلبابه، ثار الفلاح على الحمار، وتذكر الفلاح حماره المسروق منه من سنةٍ مضت، وقد بحث عنه كثيراً ولكنه يئس من العثور عليه، وأخذ يتفرَّسُ فيه ويراجع تقاطيعه ومعالمه، مع اختفاء بعض معالمه، والحمار ماضٍ في التمسح بالفلاح، رغم سحب المكاري له، وأخيراً صاح الفلاح:

ـ إنه حماري، ولا شك عندي.

فتعالت أصواتهما كلٌّ يدعي ملكيته، فذهبا إلى مركز البوليس، وقرر المكاري أنه اشترى الحمار من سوق إمبابة العمومية بورقة مبايعة، وعند البحث عن البائع في عنوانه وجد أنه عنوان مزيف، وأصر الفلاح على أنه حماره، وقرر لو أن حضرة الضابط صحبهم إلى قريته وترك الحمار خارجها طليقاً، فإنه سيذهب إلى بيته، واقتنع الضابط، فسافروا إلى القرية، وتُرِك الحمار طليقاً، فتتبعوه، فسار قُدُماً إلى بيت الفلاح، ودخله مُجلجِلاً بصوته.

ثم أردف قائلاً:

ـ ومعرفتنا لا تخفى على القرويين الذين يدركون أننا ذوو ذاكرةٍ قوية في معرفة أصحابنا، بل ونحن أقدر منهم في معرفة الطريق والبلد، والمجال لا يتسع لذكر حكايات



التائهين الذين هديناهم السبيل، بعكس بعضكم الذين أحياناً لا يتعرفون على أنفسهم، كحكاية الخواجة والفلاح

ـ وما حكايتهما؟

ـ قيل: إن خواجة وفلاحاً ذهبا يطحنان غلالهما، وكان المطحن مزدحماً، وناما حتى يأتي دورهما، فتناثر عليهما الدقيق فغطى وجهيهما، فأعجب منظرهما صبي الطحان، فوضع عمامة الفلاح على رأس الخواجة، ووضع برنيطة الخواجة على رأس الفلاح، وأيقظهما ليأخذا غلالهما، فذهب كلٌّ منهما إلى منزله.

ولما دخل الفلاح إلى منزله، صرخت زوجته عند رؤيته، ودُهِش الرجل من صراخ زوجته فقالت: إنك الخواجة، كيف تبيح لنفسك أن تدخل بيتنا؟ فقال لها: إنه زوجها وليس الخواجة، ولكي تحسم الأمر جاءت بمرآة، فلما رأى وجهه صاح ضارباً كفاً بكف وقال: إن صبي الطحان أيقظ الخواجة وتركني.

ـ أتسخر يا تولب ..؟

ـ أنقل ذلك على ذمة عبد اللطيف بدوي الذي ذكر الحكاية في كتابه (حماري).

استهتار التولب جعل نافعاً يفقد توازنه النفسي، وبحركاتٍ انفعالية قال نافع وهو يلوح بقبضته:

ـ لم أكن جاداً مثل اليوم، وأراك تستهتر، وما بقي إلا أن تقول: إن الحمار يقرأ ويكتب.

ليس بالضبط وإن كان هناك علم (الحمرنة).

جحظت عينا نافع للفظة (الحمرنة) متسائلاً في نفسه: تُرى ماذا يخبىء هذا النذل؟ وما هذا العلم؟ غير أن التولب قطع حيرة نافعٍ بقوله:

لا أزعم كالبشر، وأعتبر الخيال حقيقة، فحكاية الشيخ سرحان وتعليمه للحمار القراءة من باب الحيلة.



ـ إنني أجهل قصة الشيخ سرحان، فحبذا لو أوردتها.

ـ في بلاط الحاكم بأمر الله، الخليفة الفاطمي المعروف، خليطٌ من الشطار والنصابين، أراد أحدهم، والمسمى بالشيخ سرحان، أن يتفوق على الجميع ولو بمهارةٍ مزيفة، وكان ينتهز الفرصة في أحد الأيام حيث دار الحديث عن المهارات، فقال الشيخ سرحان: عندي حمارٌ علمته القراءة.

دهش الملك وحاشيته، وطلبوا منه أن يعرض عليهم هذه المهارة في حفلٍ عام.

وأمر الملك بإعداد مؤتمرٍ عامٍ في ساحة واسعة، وفي وسط الساحة وضع الشيخ سرحان مائدةً عاليةً عليها كتاب ضخم، وأمام الجمع الكبير بدأ الحمار يقلب الكتاب الضخم، فتعجب المتفرجون كيف يقرأ الحمار!

مع أن الحمار في الحقيقة لا يقرأ، كل ما في الأمر أن الشيخ سرحان قد عوَّد الحمار على التقاط الشعير الذي يضعه بين صفحات الكتاب، فكان الحمار يقلب الصفحة من أجل أكل حبات الشعير.

لم يفهم نافع المغزى من هذه الحكاية، فاستمر واضعاً ذقنه على راحته، فأردف التولب قائلاً:

ـ وأكثر كذباً من هذا الشيخ البيجرمي الذي قال للملك: أنا مستعد أن أعلم الحمار القراءة والكتابة، فقال الملك: وهل أنت جادٌّ في عرضك؟ فقال الشيخ البيجرمي: إني جادٌّ كل الجد ومستعدٌ لشرطٍ جزائي، وهو أن يأمر مولاي بضرب عنقي إذا لم أنفذ هذا الوعد.

فأراد الشيخ سرحان أن يورط البيجرمي، فعرض على الملك عقد اتفاقٍ كتابي.

ووافق البيجرمي، وقدّم إقراراً نصه: (يتعهد الشيخ البيجرمي لمولاه الحاكم أن يقوم بتعليم الحمار في مدة عشرين سنة القراءة والكتابة، وإن لم يفعل ذلك في نهاية المدة يكون للملك ضرب عنقه غير آثمٍ ولا ظالم).



وأخذ الشيخ مقدم أتعاب التعليم.

فِقدمَ صديقٌ للشيخ وسأله: كيف يقبل على نفسه هذا التعهد؟ فقال الشيخ: لا تنس شرطِي العشرينَ سنة، خلالها أموت فيها أو يموت الحمار أو الملك، أو يعقل الحاكم.

وأكذب منهما الألماني الذي ادَّعى أن حصانه يعرف الرياضيات، وأخيراً اكتشف العلماء أن لدى الحصان قوة إحساس، فعندما يطلب منه شخص نتيجة ٦ مع٥ فإن الحصان يستمر يضرب بيده الأرض إلى أن تتغير ملامح الشخص، هنا يتوقف.

نافع احتار في فهم محاوره، فعلى غير عادة التولب يأتي بأمثلةٍ لا تدعم مواقفه في زعم التميز الحيواني، حيرة نافع ارتسمت على محياه ومن اهتزاز رجله، فقال التولب:

ـ هل وصلت لحيرة (حمار بوريدان)؟

وكالموقظ من نوم، قال نافع:

ـ نعم.

حمار مشهور في أوروبا خلال القرون الوسطى، ظل حائراً حتى مات، وهو عندهم يمثل الحيرة ،هل يأكل البرسيم أولاً أو يشرب الماء؟ فلم يستطع أن يتخذ قراراً، فنفق من الجوع والعطش، لا تكن يا نافع كحمار بوريدان تخاف التعقيب.

وتحتار في سؤالٍ فتنفق من جهل.

ـ ....

ضاعت قدم نافع في مداخل الحديث فظل ساكتاً، وهنا واصل التولب حديثه مذكراً نافعاً حديثهما السابق.

ـ حتى علم (الحمرنة) الذي نسبتموه إلى بلاهة وغباء الحمار، نحن براءٌ منه.

زادت حيرة نافع، فما هذا العلم أولاً؟ وباستغراب قال:

ـ ما العلم الذي نسبناه إليكم؟



ـ هو علمٌ يتعلمه الفيلسوف فيتحول ـ بالتكرار ـ إلى حمار!

كتم نافع ابتسامته متذكراً الحكمة القائلة: (بالتكرار يتعلم الحمار)، لكن كلام التولب معكوس، هنا اختفت الابتسامة لظنه أن في الأمر مكيدة، فلم يطلب منه الإيضاح خوفاً من العاقبة، لكن التولب أردف قائلاً:

ـ يقال: إن ملكاً طلب من وزيره أن يعلم الحمار ليفتخر به على حكام البلدان الأخرى، فانصاع الوزير للأمر وطلب مهلة خمس سنين.

فرح الملك وأخبر زوجته الملكة قائلاً لها: بعد خمس سنين سيكون عندنا حمارٌ متعلم، غير أن الملكة لم تفرح وقالت للملك: سامحك الله أيها الملك الحكيم، أخطأت على غير عادتك، ليس من المصلحة العامة أن يتعلم الحمار، بل أن يتحمّر الفيلسوف، فضرر الفلاسفة على العامة أمرٌ ظاهر.

وهنا قبل الملك نصيحة الملكة، يجب عليه أن يتحمر الفيلسوف، فاستدعى الوزير ليعلمه القرار الجديد، وقال له: أيها الوزير، يجب عليك أن تعلم الفلاسفة علم (الحمرنة).

احتار الوزير، كيف يحول الفيلسوف إلى حمار؟ وإلى أن يجد حلاً لهذه المعضلة سجن الوزير أحد الفلاسفة.

وبعد شهرٍ ذهب الوزير إلى السجن، لعل الفيلسوف يبحث له عن حلٍ في تحويله إلى حمار، وعندما وصل إلى السجن وجد الفيلسوف قد تحول إلى حمار، فقد سمعه يردد: سبعة مع سبعة تساوي عشرين، فاستغرب الوزير، فسأل الحراس: ما الذي جرى للفيلسوف؟ قالوا: احتُجِز معه تاجرٌ مفلس، وكان يهذي أن سبعة مع سبعة هي عشرون، ونتيجة التكرار، وعلى مر الليالي والأيام، تعلم الفيلسوف أن سبعة مع سبعة تساوي عشرين.

لم يفهم نافع المغزى من هذه الحكاية، أما الذي أغاظ نافعاً فهو فشل استراتيجيته، وهي: أن ينقد التولب حين يفتخر أو يتميز بفارقٍ ما، ودار بخاطره: لم لا يمكنني أن



أكون الناقد البصير، وهل تسأله عن التميز الذي كان يدعيه؟ وهل أنكر رواية علم الحمرنة، فالرواية خيالية؟ أترى التولب يقصد بهذه الحكاية تقليص الفارق بيننا وبينهم في القضاء على منابرنا الفكرية؟ لا أدري بماذا أرد، وماذا أقول؟

دارت أسئلةٌ متنافرة في عقل نافع عكست اضطرابه، ولم يستمر الصمت بين الاثنين، إذ قال التولب:

ـ علم الحمرنة يثبت جهل فصيلتي؛ ولهذا أرفض نسبته، رغم أنه محض خيال، إلا أنه يرمز لواقعٍ بشريٍّ مُعاش.

ـ تتهم قممنا في تجهيل فلاسفتنا؟

ـ قبل أن أرد عليك، قل لي: ماذا جنيتم من فلاسفتكم؟ يشككون في العبادة ولا يهذبون العادة، يقلب الذات والماهية والجوهر ثم ماذا؟

الفيلسوف لم يزرع شبراً ولم يصنع تبراً، قلَّ منهم من يقدم نظريةً تطبّق، أو يُحسن ما طبّق، أمثال جون لوك الذي ساهم فكره في أسس الدستور الأمريكي، وآدم سميث الذي ساهم في بناء مفاهيم العمل والرأسمالية، وماركس في صياغة المفاهيم الاشتراكية.

لقد اتفقوا على أن يطلقوا لفظ (ميتافيزيقيا) على ما وراء الطبيعة، فمنذ القدم لهم محاولات، فالفيلسوف طاليس يرى (أن العالم لا يمكن أن يكون مخلوقاً من العدم المحض) ولهذا افترض المادة الأولية لأصل الموجودات أن تكون مادة الماء، لكن الكسيمندر قال: إنها الهواء، فجاء فيثاغورس ففسر الوجود رياضياً فقال: إن العدد واحد أصل الكون، أما الفيلسوف بارمنيدس فقال: إن الوجود أزليٌّ لا يتغير ولا يفنى، وما نحسه عبارةٌ عن مظاهر وهمية؛ لأنها فانيةٌ والوجود خالد. ثم جاءت الفلسفة السوفسطائية، فقال أشهرهم (بروتاغوراس): إن الإنسان مقياس كل شيء، وبهذا فقد أنكر المعرفة بالعقل، ففنَّد قوله وقول أضرابه وأتباعه الفيلسوف (سقراط)، بطرح نظرية المعرفة، وهي: أن معارفنا تنطوي



على إدراكاتٍ جزئية تأتينا عن طريق الحواس، وإدراكاتٍ كلية عامة ليس لها وجودٌ في الخارج. ثم جاءت الفلسفة الرِّواقية، فشكّوا بقدرة العقل على التمييز بين الحق والباطل، وقالوا: إن الحقيقة تعرف عن طريق الشعور، وبهذا ظهر مذهب الشك، وظهر الغلو الفلسفي، فأنكرت المبادئ العقلية الأولية، فزعموا أنها ما هي إلا فروضٌ غير مبرهنة، وقال البعض: إن المعرفة مستحيلة، فسخر منهم الآخرون وقالوا: كيف عرفتم أنها مستحيلة؟ فالمعرفة أنها مستحيلة معرفة. ولكل واحدٍ تلاميذ مضيفون، ومعارضون مسفهون إلى يومنا هذا.

تناول التولب كوباً، ثم تساءل وأجاب قائلاً:

ـ أتدري ما الذي يقتل جدوى البحث الفلسفي ميتافيزيقياً؟ وجود عقبتَيْن، وهما: الخلق من العدم، وسيطرة الحواس، يعترف الفيلسوف هنري برغسون بهذه السيطرة فيقول: إن جزءاً من عقولنا نشأ لكي يمارس إدراك الأجسام المادية، فاكتسب من هذا المحيط المادي أكثر تصوراته.

ويؤكد الفيلسوف اكزنوفنس استحالة (الميتافيزيقا) بالطرق الفلسفية بقوله: ما من إنسانٍ يستطيع أن يعرف الله معرفةً دقيقة، حتى لو شاءت المصادفة لإنسانٍ أن يقول في وصف الله الحق كل الحق، فهو في نفسه لن يعرف أنه يقول الحق.

بما أنكم أيها الفلاسفة عاجزون عن إدراك الذات العليا، فلِمَ تُصدِّعون رؤوس قارئيكم؟ ألا يسعكم ما وسع غيركم من تلقي ما وراء الطبيعة من رسل الحق؟

وهناك من يرى غربة الفلسفة مع الزمن، يقول جونز: «إذا كان القول: إن الفلسفة القديمة اليونانية قد أزيحت بالاكتشاف المسيحي لله، فإنه ليصح كذلك القول: إن الفلسفة الوسيطة قد أزيحت باكتشاف العلماء للطبيعة».

للفيلسوف تعريفٌ لأحد الظرفاء ..تعريفٌ ينطبق على التخبط النظري والحسي



كمقاييسَ فكرية قاصرة عن الوصول إلى الحقائق بطرقٍ غير مؤدبة. يقول التعريف: الفيلسوف رجلٌ أعمى يبحث في غرفة مظلمة عن قطة سوداء لا وجود لها.

ـ يظهر لي أنك تغار من وجود فكر فلسفيٍّ يميز بني آدم.

ـ أيشرفكم خيالٌ في تعريف الفلسفة يقول: «هي البحث الخاص عن الحقيقة المجردة»؟ وهذا التعريف نظري أكثر منه واقعياً، إذ لا توجد حقيقةٌ مجردة، بل توجد حاجاتٌ ومطالب وأهداف وبواعث، هذه فلسفتكم، سبق واستعرضنا سلبيات فلاسفتكم في المجتمع، ثم عرفناها «كاريكاتيرياً» وعلمياً تمتُّ للخيال بصلة، واستعرضنا النظريات القديمة والتي هي أسس للنظريات الفلسفية الحديثة، فوجدناها عاجزةً قاصرة، فممن أغار؟

لقد وجد نافع مجالاً لبصيرته التي أبطل مفعولها التولب، فقال مُثبِتاً وجوده الحواري، ناسياً حذره من (طُعم السمكة):

ـ أنا معك، فالفلسفة أَوْلى أن تسمى (سفسطة)، وللملك الحق في تحمير الفلاسفة.

ـ لكني لست معك، لا تجعل جهلك يحدد أعداءك، فالفلسفة الحقة تلتقي مع الإيمان، وجل بحثهم من أجل الإيمان، ولكن التيمم يَبْطل إن وُجد الماء، فرسل الحق ـ من نوحٍ حتى محمد عليه السلام ـ قالوا كلمات الحق عن الحق.

الفلسفة بحرٌ عميق وشاطئه المقابل بعيد، من يخوضه يُصاب بدوار، يندر من يصل سالماً، ويتبلل من يرجع نادماً.

قال أبو بكرٍ ابن العربي، تلميذ الفيلسوف الغزالي: أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع.

فقال نافع بسرِّه: أنا الذي لم استطع مجاراة محاورتك أيها النذل، كأنك تعلم أيها



التولب بخطة (الناقد بصير) فأوردت هذا البحر الذي أصابني بالدوار، وبحركةٍ لا شعوريةٍ ضرب نافع كفاً بكف، فقال التولب:

ـ لم يعجبك قول التلميذ أو لم يعجبك رجوع الفيلسوف؟

ـ أفكر في علم الحمرنة ومصلحة القمة في ذلك.

ـ ما تزال غير نافعٍ في فك الرموز.

احمرّ وجه نافع، لكنه تمالك نفسه وظل صامتاً، فقال التولب:

ـ أنتم بشر متحمّرون من القاعدة أساساً، وذلك في مصلحتكم، وإلا فمن يتولى المهن المتواضعة؟ فلو حوَّلَتكم قممُكم إلى فلاسفة، فمن يا ترى ينظف الأحياء، من يسبك الماء، من يدهن بالطلاء؟

ـ علم الحمرنة يا نافع ليس علماً يدرس، لكنه واقعٌ بشري نصيبنا منه الاسم، وقممكم تنادي بالتوازن المهني، فتطالب بشرها لملء الشواغر العلمية، فيتصامّون وينصبون على الأكاديميات النظرية غير المرغوبة ... قممكم لا تحمّركم؛ لأنكم متحمرون بدوافع ذاتية، تقصر عقول بعضكم عن استطلاع النتائج المستقبلية، فالشباب الذي يقتات الكسل والتواني، هل يستلم قوت رجولته إلا حنظلاً وأماني، قصر عقله عن الاستطلاع المستقبلي سلَّمه شهادةً حنظلية.

شيءٌ محزنٌ أن نُتَّهم بالبلادة والغباء، والإنسان يفوقنا في علم الحمرنة.

أدرك نافع مغزى التولب مما جعله ينفلت من طوره فقال:

ـ أتقصد بهذا العلم تفوقكم؟ لا أستبعد أن تسول لك نفسك، وتدعي الذكاء.

ـ ذكَّرتني يا نافع بمؤتمر الحمير.

وباستغرابٍ تساءل نافع:

ـ مؤتمرٌ للحمير!



ـ نعم، عقد الحمير مؤتمراً للنظر في تمادي ظلم الإنسان على الحمار، وتداول المؤتمر جدول الأعمال، وخرجوا بنتائج منها:

أن القرويين يعترفون بذكاء الحمار، وأن المتحضرين جهلة، فنادت أصواتٌ من المؤتمرين بالاتصال بهؤلاء الجهلة ليعلموا ويكفوا عن تجريح شعور الحمير، واعترضت أصواتٌ أخرى فلا فائدة ترجى من بشرٍ واقعهم حمرنة.

غضب نافع، فعكس غضبه من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ فقال:

ـ أتصوتون مثل البشر؟ إن أنكر الأصوات..

سكت نافع مكتفياً بهذا اللمز، فقال التولب:

ـ لن أدافع عن صوتنا المنكر من خلال الذين يعشقوننا كالشاعر ابن عنين الذي قال قصيدةً يرثي بها حماراً، ومنها:

يرجّع النهق مقروناً ويطربني ... لحناً كما يطرب المزموم والرَّمَلُ

ولن أدافع عن صوتنا المنكر من خلال الذين يستظرفوننا، كالأديب حمزة شحاتة الذي يقول: (وقد يخطر لحمارٍ أن يرفع عقيرته مغنياً؛ ليطرب أمثاله من الحمير، فيضحك الناس ويمطرونه وابلاً من الشتائم والازدراء، وفي هذا حجرٌ لا شك فيه على الحرية الشخصية، كان من الواجب أن يتنزه عنه الإنسان تسامياً بذوقه، وماذا يبقى للحمار إن حُرِم من استعمال هذا الحق؟) ثم يقول الأديب: (والناس أليس فيهم من إذا قيس صوت الحمار بصوته كان أخسر القرينَيْن وأخلاهما يداً من أدلة الفوز؟).

ولن أدافع من خلال المقارنة بين النشاز من أغانيكم وبين صوت الحمار، فمن أغانيكم ما لو قارنتَ نشازَ لحنها أو نشاز كلماتها لفضلت عليها نهيق الحمار.

نعم يا نافع ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.. لا يختلف اثنان على ذلك، يلي الحمار في قوة الصوت نباح الكلب، لكن أتدري لماذا؟



أدرك نافع أن هناك تعليلاً ليس بصالحه فقال:

ـ ليس مهماً التعليل.

ـ لا يمنع أن ألغي شيئاً من جهلك فأقول: الحمار والكلب قدما للبشرية خدماتٍ جليلة. يقول ابن كلاس:

من سب كلباً أو حماراً ... يـا ليتَني لـم أسمَعُـهْ
الكلبُ يحفَـظُ سيِّـدَهْ ... أمّـا الحمـارُ فينفَعُــهْ

وبالمقابل نالا الكثير من الإهانة والتجريح والشتم، مما جعلهما يعبران بصوتٍ مرتفعٍ احتجاجاً، وهناك دولٌ في العالم الثالث والرابع تُهان وتثقل بالديون ويباع تبرها بسعر التراب، ومع هذا لا صوت لها، ولو صوتت لأُنكر صوتها، ويقول: (الحمار الميت).

قاطعه نافع مستغرباً ومستاءً من استهتار التولب الذي لم يكتفِ بكلام حمارٍ حي حتى يورد كلام الموتى، فقال نافع:

ـ ميت!

ـ نعم، يقول: (الحمار الميت) في الرسالة الثالثة عشرة للكاتب عزيز نسين: هناك الكثير من البشر يصيحون ويولولون ولا أحد يسمعهم؛ لأنهم غير معروفين إن كانوا أحياءً أم أمواتاً، ولا يفرقونهم عنا، ولا يُحْسَبون على معشر البشر في تلك الدنيا المظلمة إلا في الإحصاء.

ولهذا فنحن ..

قاطعه نافع، وقال بصوتٍ مرتفع:

ـ كفى مقارنة .. كفى مقارنة!



وبهدوءٍ قال التولب:

ـ ارتفاع صوتك يا نافع ينفي قبولك الإهانة تماماً كأنكر الأصوات التي تحتج، وضجتك هذه ذكَّرتني في الضجة التي حصلت في المحاكمة الكبرى.

ـ وما هذه المحاكمة؟

ـ كتب يوسف السباعي حكاية (المحاكمة الكبرى)، وفيها ضجت الحيوانات لأن الثعلب في المحاكمة قال للإنسان (يا أخي)، ولم تسكت القاعة إلا عندما اعتذر الثعلب للحيوانات وتأسَّف من لفظ كلمة (أخي).

ـ في هذه المحاكمة هل الإنسان متهم؟

ـ تساؤلك هذا يا نافع نفسه قاله الإنسان الذي هو في قفص الاتهام، فالقرد بين يدي الأسد رئيس المحكمة قال للإنسان وهو يدعوه للمحاكمة: أنت متهم، فقال الإنسان: متهمٌ بماذا؟ قال القرد: متهمٌ كإنسان.

ندم نافع لاستثارة التولب عندما قال له: (إن أنكر الأصوات)، وعرف أن ضيفه الثقيل قال بلسان حاله: (فكلك عوراتٌ وللناس ألسنُ)، وخاف أن يرد فيفتح موضوع تعريف كلمة (إنسانية)، هنا قال نافع:

ـ أزِفَ الوقت يا تولب.

فاستدار التولب للخروج قائلاً:

إلى اللقاء..



٦ ـ جحا وحميره[١]

٧ ـ جحا وحماره السمين[٢]

٨ ـ حمار الحكيم[٣]

٩ ـ خواطر حمار[٤]

وهي مذكراتٌ فلسفية وأخلاقيةٌ على لسان حمار.

١٠ ـ حمار في المنفى[٥]

من فصولها: مُكرهٌ أخاك لا حمار، دار الحمير المعذبة، اكتئاب حموري.

١١ ـ أخبار الحمير في الأدب العربي[٦]

وهو كتابٌ مهمٌّ في بابه، كدت أترك الاشتغال في الموضوع بسببه، غير أنه عزَّ علي جهدي، وحاولت أن أتجنب التكرار ما استطعت، كما لم أمنع نفسي من الانتفاع به

(١) مكتبة العبيكان بالرياض، ١٤١٥هـ للأطفال.

(٢) مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ ط١، للأطفال.

(٣) أحمد رضا حوحو.

(٤) تأليف: الكونتيسة دي سيفور، نقلها من الفرنسية إلى العربية حسين الجمل، دار ابن حزم، سنة ١٤٢٦، من فصوله: سباق الحمير، والحمار العالم.

(٥) روايةٌ للأديب أنس زاهد، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(٦) بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ.



والإفادة منه، وما ستجده من بعض أوجه التشابه، جاء نتيجة اتحاد المراجع، وفيما عدا ذلك تميز كتابنا بسمته الخاصة، إذ حاولت فيه أن يكون ما كتبته بعيداً عن التشابه، ونشدت فيه الاستقلال، فإن حصل التشابه مع هذا الحرص فلا ضير، إن تداخلت أصوات الحمير، وتحيةٌ مني صادقة لمؤلف هذا الكتاب الذي عاش مثلي قريباً من الحمير الأهلية والبشرية، وأغفل الحديث عن النوع الثالث من الحمير، وهو: الحمر الوحشية.

١٢ ـ حمار حمزة شحاتة(١)

ولد الشاعر الكبير حمزة شحاتة سنة ١٣٢٨هـ بمكة المكرمة، وتلقى تعليمه بمدرسة الفلاح بجدة، وتوفي بالقاهرة في ١٢ / ١٢/ ١٣٩٠هـ.

١٣ ـ سلسلة مقالات قصيرة تحمل عنوان (حماريات)

كان يكتبها عزت الأمير على التوالي في جريدة «الأهرام» المصرية، مستعيراً لفظ الحمار للحالات السيئة التي تتقمص حمير البشر، ويبرطعون في الساحات والميادين، وهو يعالج في مقالاته أدق التفاصيل لموضوعاته على لسان حماره دون خوفٍ أو وجل.

ونختار منها مقالاً بعنوان (حتى البردعة .. صيني !!):

وجدت الحمار يمشي عرياناً بدون بردعة، ولما سألته عن السبب قال:

ـ هل أنتم عاجزون عن إنتاج مفتاح كهرباء بلاستيك؟

ـ طبعاً لا.

ـ وهل أنتم عاجزون عن إنتاج ولاعة بوتجاز؟

---

(١) دار المريخ، الرياض، عام ١٣٩٧هـ (٩٣ صفحة).



ـ طبعاً لا .. ولكن ما علاقة هذا بأنك تمشي عرياناً بدون بردعة؟

ـ الحكاية وما فيها أني كلما ذهبت أشتري شيئاً وجدته صناعةً صينية ... فقلت لنفسي: يا حمار، الظاهر إنك سافرت الصين ومش واخد بالك .. ولكنني دققت النظر في لافتات المحلات فوجدتها مكتوبةً باللغة العربية لا الصينية .. وكذلك دققت النظر في وجوه البائعين فوجدتها مصريةً لا صينية .. وعندئذٍ سألتهم: لماذا معظم السلع التي عندهم صينية وليست مصرية؟

ـ وماذا قالوا؟

ـ لم يقولوا شيئاً، بل نظروا إلي بطريقةٍ فهمت منها أنهم يستحمرونني ... وعندها شرحت لهم أن غمر الأسواق بالسلع الصينية التي يوجد لها مثيلٌ مصري يضر بالصناعة المصرية والاقتصاد المصري.

ـ وماذا قالوا؟

ـ لم يقولوا شيئاً، بل نظروا إلي بطريقةٍ فهمت منها أنهم يستحمرونني .. وعندها تذكرت ما نشرته «الوفد» ٢٧ نوفمبر، من أن الفارق بين قيمة الصادرات والواردات بلغ ١٦,٥ مليار جنيه وواجهتهم بهذه الحقيقة، حتى يدركوا فداحة الأمر.

ـ وكالمعتاد نظروا إليك بطريقةٍ فهمت منها أنهم يستحمرونك.

ـ بل فهمت منها أنهم مجرد تجارٍ لا شأن لهم بالتصدير والاستيراد .. وعندها قلت لنفسي: يا حمار، إذا كان الأمر كذلك فلتبدأ بنفسك، ولتقاطع السلع غير المصرية .. ولأن بردعتي قد بليت تماماً فقد قررت أن اشتري غيرها بشرط .. وعندها دخت السبع دوخات دون أن أعثر على بردعةٍ مصرية، فقد أغرقت البرادع الصينية كل الأسواق .. وبصفتي حماراً صاحب مبدأ فضلت أن أمشي عرياناً بدون بردعة إلى حين العثور على بردعةٍ صناعة مصرية.



ـ أُحييك على هذا الموقف يا حمار.

ـ المهم أن تفعل مثلي وتخلع بنطلونك المصنوع في الصين وتمشي ...

وجاء الزبال؛ فسكت الحمار عن الكلام ..

١٤ ـ وفي جريدة «الشرق الأوسط، الثلاثاء ٣/ ٧/ ٢٠٠٠م» قصة قصيرة بعنوان: (حمار اللجنة) للقاص عبد الله محمد الناصر:

يُحكى أن رجلاً اشترى حماراً، فقيل له: إن حمارك هذا به غفلة، والغفلة تعتبر غباء، والغباء في الحمير عيبٌ مردود، وإن البائع قد غشك .. فذهب الرجل إلى القاضي شاكياً، واستدعى البائع ليتأكد من دعوى المشتري حول غباء الحمار .. فقال البائع: يا سيادة القاضي، إن خبرتي في الحمير لا تتعدى معرفة القوي منها أو الضعيف، وقدرته على التحمل، أما في ما يتعلق بقدراتها العقلية وفطنتها، فإنني ـ يشهد الله ـ من أشد الناس جهلاً بذلك، ولكنني سأترك الأمر لحكمتك، وحكمك .. فقال القاضي: حسناً، سوف أنظر في الأمر .... وفكر القاضي في الأمر كثيراً ولكنه لم يهتد إلى مخرج، وأخيراً رأى أنه من الأفضل تشكيل لجنةٍ لتعطي رأيها في الحمار!!

(ورفع الأمر إلى الجهات المختصة والتي بدورها شكلت لجنةً لهذا الغرض) .. وفعلاً، ذهب ملف الحمار إلى اللجنة، حيث درست وضع الحمار دراسةً طويلة، وعقدت جلساتٍ متعددةً، وثار بين أعضاء اللجنة لغطٌ وجدلٌ طويل، وتعاقبت الجلسات التي صرف عليها الكثير من المال والوقت .. ورأى رئيس اللجنة أنه من الضروري استدعاء «البائع» لأخذ أقواله، فاستحسنت اللجنة الرأي، وقد تم استدعاؤه، وسجلت أقواله حول سلالة الحمار وسلوكه، ورغباته، وتاريخ ميلاده .. لكن اللجنة رغم هذا لم تصل إلى رأي موحد، وظل الخلاف قائماً بين أعضائها!! وتعب المشتري من كثرة ما يقود حماره



إلى مقر اللجنة صباح مساء. وأخيراً، اتفقت اللجنة على رأي موحد استحسنه جميع الأعضاء، وهو: عرض الحمار على طبيب بيطري!!

ورفعت اللجنة محضراً بالرأي المقترح للجهة المسؤولة، والتي استحسنت بدورها رأي اللجنة !!

لكن المشتري اعترض على ذلك مدعياً: أن رأي طبيبٍ واحد قد لا يكون في صالحه، وطلب تشكيل لجنةٍ من البياطرة لدراسة وضع الحمار، وفعلاً شُكِّلت لجنةٌ من البياطرة المختصين، حيث تم فحص الحمار فحصاً مخبرياً، وأُخِذت صورٌ مقطعيةٌ لمخه، ورغم ذلك ثار جدلٌ طويل بين الأطباء البياطرة حول النتائج، واختلفوا اختلافاً بيِّناً في قراراتهم !!

ورأوا إعادة الفحوصات مرةً أخرى، فأعيدت ولكن الاختلاف ظل قائماً. وتسرب الخبر إلى وكالات الأنباء ووسائل الإعلام، فتسابقت الصحف في نشر الموضوع مع صور الحمار على صفحاتها الأولى، وصارت تنقل قصة الحمار وتتابعها أولاً بأول، فذاع الأمر وشاع بين الناس .. وانبرى كثيرٌ من الكُتَّاب إلى الوقوف بجانب المشتري المسكين! وأبدوا معه تعاطفاً ظاهراً، وشنُّوا حملاتٍ مركزةً على ظاهرة الغش في بيع الحمير! بل اعتبروا أن الظاهرة في حد ذاتها نوعٌ من أنواع الفساد والخطر، وأن عواقبه ستكون وخيمةً على المجتمع وسلوكه !! فسوف تختل الأمانة وتهتز النزاهة، وتُفقَد الثقة .. وقد لمع أحد الصحافيين الصغار الجدد وأثبت مقدرةً فائقةً في تغطية أخبار الحمار، فكوفئ على ذلك بأن عُيِّن مديراً لتحرير إحدى الصحف السيارة!!

أما عامة الناس، فقد انشغلوا بقضية الحمار، وما أُثِير حولها من جدل، وراحوا يتابعون ويترقبون بلهفةٍ وحماسةٍ عما ستنتهي إليه؟ بل قضيتهم الأولى، وانقسم الناس إلى قسمين، بل موقفين: موقفٍ في جانب المشتري المغبون .. وموقفٍ إلى جانب البائع،



حيث يرون أنه لا ذنب له في غفلة الحمار! وبسبب الضجة الإعلامية فقد راجت الصحف، فصار من النادر أن تعثر على صحيفةٍ بعد الساعة التاسعة صباحاً!! كما أن بعض القنوات الفضائية استضافت متخصصين وأجرت حواراتٍ مطولةً ونقاشاتٍ حادةً معهم حول عقليات الحمير !!

أما المثقفون فقد انهمكوا في قراءة ما كُتِب عن الحمير قديماً وحديثاً، فقرأوا كتب التراث المعنية وبالذات كتاب «الحيوان» للجاحظ، أما رواية توفيق الحكيم «حمار الحكيم» فلم تبق منها نسخةٌ واحدة. بل إن الناس صاروا يصورونها ويبيعونها في السوق السوداء، وقد كتبت أيضاً قصائد حديثة حول قضية الحمار، ولكن لم يفهمها أحد!

أما المشتري المسكين فقد تعب كثيراً، ولحق به أذىً عظيم، حيث صار يحمل الحمار من مستشفى البهائم ثم يعيده إلى حظيرته كل يوم. واضطر للاقتراض من أجل نفقات الفحوصات، والغذاء، وأجور النقل اليومي .. وعندما أرهقه التعب ذهب إلى القاضي مستجيراً طالباً البحث عن حلٍّ لقضيته التي طالت وتعقدت، ورأى القاضي أنه من الأفضل أن تتدخل الشرطة، وفعلاً أحيلت إليها الأوراق كاملةً بما فيها تقارير اللجان، فاطّلعت الشرطة على المحاضر والتقارير والآراء، ثم طلبت أن يُؤتى بالبائع مخفوراً، وحين داهمته الشرطة ارتبك وحاول أن يمتنع، غير أن الشرطي نهره وقال: اركب يا حمار!! نظر إلى الشرطي وقال: أظن أن الحمار يا سيدي في حظيرة المشتري، فلو ذهبتم وأحضرتموه!! دفعه الشرطي بعنفٍ إلى صندوق السيارة، وحينما ضبط كل أقواله أفرج عنه. وبعد دراسةٍ مستفيضة، رفعت الأوراق إلى القاضي بمقترحَيْن أو رأيَيْن لا ثالث لهما، أولهما: أن تُبعث التقارير الطبية إلى أحد المستشفيات المتخصصة في الغرب لمعرفة رأيها النهائي والقطعي في ذلك، على أن يسجن الجميع على ذمة القضية إلى أن تصل النتائج! أما ثانيهما: فأن يطلب القاضي من أحد الاثنين التنازل.. فسر القاضي وابتهج بذلك، وقال: هذا والله نِعْم الرأي.



طلب القاضي إحضار الخصمين للجلسة النهائية، وكانت الصحف قد علمت بذلك .. فاجتمعت حشودٌ من الصحافيين والمثقفين وعامة الناس عند باب المحكمة؛ انتظاراً للنتيجة.

وعندما جلس الخصمان أطلعهما القاضي على رأي لجنة الشرطة، وأنَّ عليهما ان يختارا أحد الأمرين ... وجم الاثنان قليلاً، وظل القاضي ينظر إليهما في لهفةٍ ليسمع رأيهما، فرفع البائع رأسه إلى القاضي وقال: هل يمكن أن أرى حماري يا سيدي القاضي؟! قال القاضي: بكلِّ تأكيد، وأُدخِل الحمار فإذا به قد امتلأ صحةً وعافية، وازداد بياضاً، وصار أكثر حيويةً ونشاطاً .. وأخذ الحمار يُحدِّق في المكان والوجوه في طمأنينةٍ وثقة، يرفع أذناً ويرخي أخرى، وكأنه يستغرب وجوده في هذه القاعة التي تختلف عن حظيرته!! قال البائع: سيادة القاضي، إنني أقدر جهدكم وجهد اللجان المُوقَّرة على كل ما بذلتموه وتبذلونه من أجل معرفة الحقيقة وتطبيق العدالة، وتقديراً مني لهذه الجهود العظيمة فإنني أقبل أن أستعيد حماري وأعيد المبلغ للمشتري .. تهلل وجه القاضي مستبشراً وقفز هو والمشتري وتعانقا فرحاً!

وحينما خرج صاحب الحمار يقود حماره وأطل من بوابة المحكمة، اشتعل بريق كاميرات التصوير وتعالى الهاتف والتهليل من الجماهير الغفيرة لعدالة الحكم، أما صاحب الحمار فقد همس في أذن حماره قائلاً: يا حماري العزيز، أرجو ألا تكون أيضاً أنت قد صدَّقت هذه «المسألة»؛ لأنني لا أزال أراك أذكى وأعقل فردٍ في هذه المدينة.

* * *



من أسمـاء الحميـر

غير ما تقدم:

١ـ الأقدري: الحمار الوحشي، والخدري: الحمار الأسود.

٢ـ الأدلص: الحمار إذا نبت له شعر جديد.

٣ـ الأعرّ: الحمار السمين الصدر والعنق.

٤ـ الأشخم: الحمار الأسود الأنف، ويقال له أيضاً: الأدغم.

٥ـ البُهصُل: الحمار الغليظ.

٦ـ التّاب: الحمار قد دبر ظهره وتقرح.

٧ـ التِّلو: الجحش الذي يتلو أمه ويتبعها.

٨ـ الجأب: الحمار الغليظ، وهو من الحمر الوحشية.

٩ـ الجادر: حمار الوحش.

١٠ـ الجعمرة: أن يجمع الحمار قوائمه وبطنه، ثم يحمل على الأتان ونحوها لكدمها أو عضِّها.

١١ـ الجلعد: الحمار القصير، والغليظ، ويقال له: الحلزاب.

١٢ـ الجلَنْفَقُ: الأتان السمينة.

١٣ـ الجمّاز: الوثّاب، وهي صفة سيئة.



١٤ـ الحيدى: الذي يحيد عن ظله لوفرة نشاطه، فهي صفة مدح.

١٥ـ الخذوف: السمينة من الأتن.

١٦ـ الدَّوبل: الحمار الصغير.

١٧ـ الدَّيْدَب: حمار الوحش.

١٨ـ الذِّفِرُ: الحمار الصلب الشديد.

١٩ـ الزامل: الحمار الذي كأنه يظلع من نشاطه.

٢٠ـ الزِّمْلق: السمين المستوي الظهر.

٢١ـ السَّحّاج: الحمار العضاض.

٢٢ـ السَّمحج، والسِّمحاج: الأتان الطويلة الظهر.

٢٣ـ الصِّنْدَل والصُّنادل: الحمار ضخم رأسه وصلب.

٢٤ـ الصُّنتُع: الحمار الصغير الرأس.

٢٥ـ الضمعَج: الأتان الضخمة التامة.

٢٦ـ العانة: الأتان، والقطيع من حمر الوحش.

٢٧ـ السحاب: حمار الوحش، أو فتيّه.

٢٨ـ العَضْرس: حمار الوحش.

٢٩ـ الخذي: من ألقاب الحمير.

٣٠ـ الدّموقة: الدوائس من البقر والحمير، والدوائس: التي يتبع بعضها بعضاً.

٣١ـ ذو النجمة: من أسماء الحمار.

٣٢ـ وحمار مسحج، معضض، ومثله المدَّر.



٣٣ـ الجورق: الحمار.

٣٤ـ الجنزاب: الحمار المقتدر الخالص، أو القصير القوي، أو العريض الغليظ.

٣٥ـ العفو: الجحش، والأنثى عفوة، والجمع أعفاء، وعِفاء، وعِفْوة.

٣٦ـ العُسكوم: اسم الحمار بالحميرية. وكذا الكسعوم والكعسم.

٣٧ـ العُكموس والعَمكوس.

٣٨ـ العلج: حمار الوحش، وقد يراد منه الوحشي السمين القوي.

٣٩ـ العيثمي: حمار الوحش.

٤٠ـ العلجوم: الأتان الكثيرة اللحم، جمعها: علاجيم.

٤١ـ العَيْر: الحمار الوحشي والأهلي.

٤٢ـ الغَيْذار: الحمار الأهلي.

٤٣ـ الفَرَا، أو الفَرَاء: حمار الوحش أو فتيه، وكذا العَضْرَس، والنَّوص، والمِصَكّ، والمسحل، والفنان، والوزى.

٤٤ـ القلح: الحمار المسن، وكذا الفلح.

٤٥ـ القِلو: الفتي الخفيف.

٤٦ـ القَندل والقُنادل، والقَنْدَويل: الحمار الصلب الطويل العظيم الرأس.

٤٧ـ القِنفِج: الأتان العريضة السمينة.

٤٨ـ القهبسة: الأتان الغليظة.

٤٩ـ القَهبَلة: أتان الوحش الغليظة.

٥٠ـ القيصور: الحمار النشيط.



٥١ـ الكُدُر: الحمار الغليظ.

٥٢ـ اللُّكع: الجحش، والأنثى لُكَعَة.

٥٣ـ الكُنْدُر، والكُنَادِر، والكندور، والكندر: الحمار الغليظ.

٥٤ـ المجدَّع: حمار مقطوع الأذنين.

٥٥ـ المِشَلّ: الحمار كثير الطرد.

٥٦ـ المُشلِّل: الحمار الكثير العناية بأتنه.

٥٧ـ المِشحل: من أسماء حمار الوحش.

٥٨ـ المضبوع: ما أكلته الضبع من الحمير.

٥٩ـ المعضض: حمار عضضته الحمر وكدمته.

٦٠ـ المُهصُل: الحمار الغليظ.

٦١ـ المراغة: الأتان التي لا تمنع الفحل.

٦٢ـ المكراف: الحمار يشم بول أتانه، ثم يرفع رأسه ويقلب شفتيه.

٦٣ـ المُلامِل: الحمار السريع.

٦٤ـ الناعل: حمار الوحش.

٦٥ـ النَّجود: الأتان التي لا تحمل.

٦٦ـ النَّحَص: الأتان الوحشية الحائل، وكذا الناحص والنحوص.

٦٧ـ النهاز: الحمار الذي بنهز بصدره للسير.

٦٨ـ الهبع: الحمار.



٦٩ـ الهمهيم: الحمار الذي يردد نهيقه في صدره.

٧٠ـ الهِنْبَرَ: الجحش، والهنبير.

٧١ـ القيهور ـ كقيصوم ـ: الحمار النشيط.

٧٢ـ الصلصل، والصلاصل، والصلصال، والمصلصل: الحمار المصوت.

* * *

أعـلام حـمـارية

١ـ عبد الله بن جحش الأسدي:

حليف بني عبد شمس وأحد السابقين، آخى النبي ﷺ بينه وبين عاصم بن ثابت. وروى السراج من طريق زر بن حبيش قال: أول رايةٍ عُقِدت في الإسلام لعبد الله بن جحش، ومن ألقابه: (العرجون)، وذلك أن سيفه انكسر يوم أحد، فأعطاه النبي ﷺ عرجوناً فصار في يده سيفاً. ودُفِن هو وحمزة في قبرٍ واحد، وكان له يوم قتل اثنتان وأربعون سنة(١).

٢ـ عبد الله بن جحش، آخر:

وهو غير الأول، وكان أعمى، وفيه وفي ابن أم مكتوم نزل قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥](٢).

٣ـ عياض بن حمار بن أبي حمار المجاشعي التميمي:

روى عنه الترمذي أنه أهدى إلى النبي ﷺ قبل أن يُسلِم، فلم يقبل منه(٣).

٤ـ محمد بن عبد الله بن جحش الأسدي:

كان مولده قبل الهجرة إلى المدينة بخمس سنين.

---

(١) الإصابة (٤: ٣٥).

(٢) الإصابة (رقم ٤٥٨٧).

(٣) الإصابة (٤: ٧٥٢).



٥ ـ النمر بن تولب بن زهير العكلي:

قال المرزباني: كان شاعراً فصيحاً، وفد على النبي ﷺ، وكتب له النبي ﷺ كتاباً، وكان عمرو بن العلاء يسميه (الكيّس)؛ لجودة شعره، وكثرة أمثاله، وعمِّر طويلاً حتى أنكر عقله[1] .

* * *

(١) الإصابة (٨: ٨٨).



من الأمثـال الحمـاريـة

ـ ١ ـ

استثمر الكتّاب عشرتهم للحمير ومعرفتهم لأحوالها فيما يكتبون، وتوسلوا بذلك للتعبير عن المعاني الدقيقة، والخلجات الشفافة، فضربوا بها الأمثال، وقد جمعتُ في هذا الباب ما أمكنني جمعه من الأمثال الفصيحة، ثم العامية، مما استحسنته، وقد جاءت بنيتها مختلفة الأشكال، وتراوحت بين الجملة الاسمية، والفعلية، وشبه الجملة، وأنصاف أبياتٍ شعرية، وهي قائمةٌ في عمومها على الإيجاز، مرتكزةٌ على التشبيه التمثيلي، إذ المثل لفظ يؤدي معنىً من المعاني بوساطة إلحاق المضرب بالمورد، وقد ضرب الله الأمثال في القرآن الكريم، كما استعملته الأحاديث النبوية الشريفة، وجاء في الشعر والنثر منذ العصر الجاهلي.

وفيما يلي مجموعةٌ من الأمثال الحمارية التي اقتضتها مواقف المبدعين. وربما كان علي أن أؤخر الحديث عن الأمثال إلى ما بعد استكمال الحديث عن أنواع الحمير، ولكن الحمر الأهلية هي الأبرز في حياتنا، سهلٌ لي عدم التقيد بالترتيب، كما رأيت المزج بين الأنواع:

١ ـ (العَيْر أوقى لدمه):

مورده: قال الميداني[1]: ويقال: هذا المثل لزرقاء اليمامة لما نظرت إلى الجيش، وكان كل فارسٍ منهم قد تناول غصناً من شجرةٍ يستتر به، فلما نظرت إليه قالت: لقد مشى

---

(١) الميداني (٢: ١٣).



الشجر، ولقد جاءتكم (حِمْيَرُ)، فكذبوها. ونظرت إلى عَيْرٍ قد نفر من الجيش، فقالت: (العَيْر أوقى لدمه، من راع في غنمه) فذَهبت مثلاً.

مضربه: يُضرب للموصوف بالحذر، من حيوانٍ أو إنسان، وذلك أنه ليس شيءٌ من يَحذَر حَذَرَ العيْر إذا طُلب.

٢ـ (عَيْر بعَيْر وزيادة عشرة):

مورده: قال أبو عبيد: هذا مثلٌ لأهل الشام، ليس يتكلم به غيرهم. وأصل هذا أن خلفاءهم من بني أمية، كلما مات واحدٌ منهم، زادهم الذي يَخلُفه منهم عشرةَ في أعطياتهم، فكانوا يقولون عند ذلك هذا القول، ومعنى العير هنا: السيد.

مضربه: يُضرب في كل وضعٍ يعقب وضعاً، أو شخصٍ يخلف شخصاً، فيحصل مع الجديد خيرٌ ونفع.

٣ـ (عَيْرٌ عارَهُ ويدُهُ):

عاره يَعُوره، ويَعيره: ذهب به وأهلكه، ومنه قولهم: ما أدري أيُّ الجراد عارَهُ، أيْ: أيّ الناس ذهب به.

مورده: أصل هذا المثل أن رجلاً أشفق على حماره، فربطه إلى وتد، فهجم عليه السُبع، فلم يمكنه الفرار، فأهلكه ما احترس له به.

مضربه: يُضرب لكل ما يأتيه هلاكه من جهة احتراسه.

٤ـ (عَيْر ركضتْه أمه):

ويروى: ركلته أمه، والمعنى متقارب.

مورده: لابد أن أصله حمارة ركلت ولدها فمات أو تضرر، دون قصدٍ منها، مع أنها التي ترأمه وتحافظ عليه.

مضربه: يُضرب لكل من يظلمه ناصره.



٥ـ (نجّى عيراً سِمنُه):

مورده: قال في «مجمع الأمثال»[1]: قال أبو زيد: زعموا أن حُمُراً كانت هِزالاً، فهلكت في جذْب، ونجا منها حمارٌ كان سميناً، رأوا أنها نجاه سمنه، أي: استعداده لمواجهة الجدب.

مضربه: يُضرب في الحزم قبل وقوع الأمر، ولكل من خلّصه استعداده المسبق من المكروه.

٦ـ (عُيَيْرُ وَحْدِه):

ويُقال أيضاً: (جُحَيْشُ وحدِه)، و(جُحيشُ نفسه).

قال بعضهم: أي: يعاير الناس والأمور، ويقيسها بنفسه من غير أن يشاور «مجمع الأمثال»[2]، وقال في «اللسان»: هو مثلٌ قائمٌ على التشبيه، يشبهون فيه الرجل المستبد برأيه بالجحش والعَيْر، وهو ذمٌّ.

مورده: لابد أن له قصةً مارس فيها أحدهم التفرد برأيه دون استشارة غيره.

مضربه: يضرب للإنسان الذي لا يخالط الناس مغترّاً برأيه.

٧ـ (أصبح فيما دهاه كالحمار الموحول):

مورده: أصله أن الحمار إذا أوحل (وقع في الوحل) غلبه الوحْل، فلم يستطع الخلاص منه.

مضربه: يُضرب لمن وقع في أمرٍ لا يرجى له التخلص منه[3].

---

(١) مجمع الأمثال (٢: ٣٣٥).

(٢) المصدر السابق (٢: ٣١).

(٣) الأمثال للميداني (١: ٤٠٤).



٨ـ (صبراً أتانُ! فالجِحاش حُوّلٌ):

لم يذكر له الميداني[١] مورداً، وقال: والحُوّلُ: جمع حائل، وهي التي لم تحمل عامها، (قلت: وما علاقة ذلك بالجحاش، وإنما تحبل الأتان؟ ولعل المقصود تصبير الأتان ووعدها بالجحاش). وقد يُقال: إن مؤنث جحش: جحشة.

مضربه: يُضرب لمن وَعَد وعداً حسناً، والموعود غير حاضر، وخص الجحاش؛ ليكون التحقيق أبعد.

٩ـ (أصحُّ من عَيْر أبي سيارة)، ويُقال أيضاً:(أصح من عَيْر)، و(أصح من عير الفلاة).

مورده: هو رجلٌ من بني عَدْوان اسمه عُمَيْلة بن خالد بن الأعزل، وكان له حمارٌ أسود أجاز الناسَ عليه من المزدلفة إلى منىً أربعين سنة، وهو أول من سَنَّ في الدِّية مائة من الإبل.

ومن شعره:

لا هُـمَّ إنـي تـابـع تَبـاعَـــهْ
إن كـان إثـــمٌ فعلى قُضاعَـهْ
لا هُمَّ ما لي في الحمار الأسودْ
أصبحتُ بين العالمين أُحسَدْ
هلاّ يُكـادُ ذو البعيـر الجَلْندْ!
فَـــقِ أبـــا سيّـارةَ المحسَّـــدْ

---

(١) الأمثال (١ : ٤٠٦).



مـن شرّ كل حاسد إذا حسدْ

ومـن أذاة النافثات في العُقدْ

اللهم حبّبْ بين أنسائنا، وبغّض بين رعائنا، واجعل المالَ في سمحائنا.

(لا هُمَّ: أصلها: اللهمّ. الجَلَنْد: الشديد).

وقال فيه أحد الشعراء:

خلُّوا الطريق عن أبي سيارَهْ　　وعـن مـواليـه بني فَــزاره

حتى يجيـز سـالـمـاً حمـارَهْ　　مستقبلَ القبلة يدعو جـارَهْ

مضربه: يُقال في الصحة والعافية وطول العمر[١].

* * *

(١) الأمثال للميداني (١: ٤١٠).



من الأمثـال الحمـاريـة

ـ٢ـ

قال الزمخشري: الحمار مثلٌ في الذمِّ الشنيع والشتيمة، ومن استحيائهم لذكر اسمه كانوا يُكنُّون عنه، ويُرغِّبون عن التصريح به، فيقولون: الطويل الأذنين، ونحو ذلك، كما يُكنون عن الشيء المستقذر، كما كانوا يعدّون من سوء الأدب أن يذكر الحمار في مجلس قومٍ ذوي مروءة، ومن العرب من كان لا يركب الحمار استنكافاً، وإن بلغت به الرحلة الجهد.

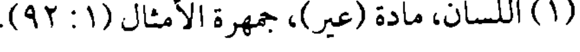
وقد وعدنا بمواصلة إيراد الأمثال فيه، فلنمضِ في ذلك:

١٠ ـ (إن ذهب عَيْرٌ، فعَيْر في الرِّباط):

الرباط: الحبل الذي تربط به الدابةُ، وسميت الخيل رباطاً لأنها تُربَط في الثغر بإزاء العدو، ويربط العدو إزاءها خيله، يُعِدّ كلٌّ لصاحبه، وفي التنزيل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال:٦٠] ولكنه هنا يعني حبالة الصائد.

مورده: أصله أنه قِيل لأحد الصيادين فاته بعض ما كان يريد أن يصيد، وأسف لذلك، فهم يقولون له: إن ذهب بعض صيدك فلم يعلق في الحبالة، فاقتصر على ما علق.

مضربه: يُضرب في الرضا بالحاضر، وترك الغائب[1].


(١) اللسان، مادة (عير)، جمهرة الأمثال (١: ٩٢).



١١ـ (أخلى من جوف حمار)، ويُقال أيضاً: (أخرب من جوف حمار):

مورده: قال الميداني[١]: قال ابن هشام الكلبي: هو رجلٌ من عاد، كان يقال له: حمار بن مويلع، وقيل: هو حمار بن مالك بن نصر الأزدي، كان مسلماً على ديانة هود عليه السلام، وكان يملك وادياً ذو ماءٍ وشجر طوله مسيرة يوم في عرض أربعة فراسخ، لم يكن ببلاد العرب أخصب منه، وفيه من كل الثمار، وكان اسمه الجوف (الجوف: من أسماء الوادي، فكل وادٍ هو جوف)، فخرج بنوه يتصيّدون، فأصابتهم صاعقةٌ فأهلكتهم، فكفر، وقال: لا أعبد ربّاً فعل ذا ببنيّ، ثم دعا قومه إلى الكفر، فمن عصاه قتله، فأهلكه الله وأخرب واديه، فضربت العرب به المثل في الخراب والخلاء، وأكثرت الشعراء ذكره في أشعارهم، كقول بعضهم:

وبشؤم البغْي والغَشْم قديماً ... ما خلا جَوف، ولم يبق حمارُ

وقال غيره: ليس حمارٌ هاهنا اسمَ رجل، بل هو الحمار بعينه، واحتج بقول من يقول: (أخلى من جوف العَير) قال: ومعنى ذلك أن الحمار إذا صيد لم يُنتَفَع بشيء مما في جوفه، بل يُرمى ولا يؤكل، فجوف الحمار عندهم بمنزلة الوادي القفر الذي لا منفعة للناس والبهائم فيه، قال امرؤ القيس:

ووادٍ كجوف العَيْـر، قفـر، مضِلّـةٍ ... قطعتُ بِسام، ساهِم الوجه، حسَّانِ

مضربه: قال في «اللسان»: يُقال للموضع الذي لا خير فيه.

١٢ـ (العَيْر يضرِط والمِكْواةُ في النار):

وفي «مجمع الأمثال»[٢]: قد يضرط العيْر، والرمضاء في النار، فهو شطر بيتٍ من بحر البسيط.

---

(١) مجمع الأمثال (١: ٢٥٧).

(٢) (٢: ٩٥).



مورده: أول من قال ذلك عُرْفُطة بن عَرْفجة الهِزّاني، وكان سيّد بني هِزّان، وكان معاصراً لسّيد بني عُكْل، حصين بن نَبيت العُكْلي، وكانت بين القبيلتين حروبٌ وثارات، وسارت عكلْ ُ ذات مرةٍ تريد غزو بني هِزّان، فنذِرت بها هِزّان واستعدت لها، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى فشت فيهم الجراح، وقُتل رجل من هِزّان، وأُسِر رجلان من عُكْل بعد أن انهزمت. وقال عُرفُطة للأسيرين: أيكما أفضلُ لأقتله بصاحبنا ويفادَى الآخر؟ فجُعِل كلٌّ منهما يخبر أن صاحبه أكرم منه، فأمر بقتلهما جميعاً، فقدَّم أحدهما للقتل، فجعل الآخرُ يضرِط، فقال عُرفطة هذا المثل؛ لأن الحمار من شأنه أن يضرط إذا قدّم للكيّ، والمكواة ما تزال في النار لم تَطُله.

مضربه: يُضرب للرجل يخاف الأمر، فيجزع قبل وقوعه فيه.

١٣ـ (قرِّب الحمار من الرَّدْهة، ولا تقل له: سَأْ):

الرّدْهة: مستنقع الماء. سَأْ: كلمةٌ يُزجر بها الحمار ويُدعى للشرب، يقال: سأسأتُ بالحمار، أي: دعوته ليشرب.

مورده: واقعةٌ حمارية استدعت هذا القول، ومعناه: كِلِ الأمر إليه، ولا تكرهه على فعله إذا أريته ما يصلح له.

مضربه: يُضرب للرجل يعلم ما يصنع[١].

١٤ـ (قبْل عَيْرٍ وما جرى):

مورده: قال الميداني[٢]: قال أبو عبيد: إذا أخبر الرجلُ بالخبر من غير استحقاقٍ ولا ذكْر له، قيل: فعل كذا وكذا، قيل عيْر وما جرى. قالوا: خص العَيْر لأنه أحذر ما يُقنص،

---

(١) مجمع الأمثال للميداني (٢: ٩٤).

(٢) المصدر السابق (٢: ٩٦).



فهو أسرع جرياً من غيره، فضرب به المثل في السرعة. فمعناه ـ كما قال الأصمعي ـ قبل أن يجري العير، وهو الحمار.

مضربه: يُضرب لشدة السرعة.

١٥ـ (وقد حِيل بين العَيْر والنزوانِ):

مورده: قال الميداني[1]: أول من قال ذلك صخر بن عمرو، أخو الخنساء، وذلك أنه طعنه أبو ثورٍ الأسدي في إحدى حروبهم، وهي الطعنة التي مات منها بعد أن لبث حولاً كاملاً مريضاً، حتى ملَّته امرأته سلمى، وكان قبلُ يكرمها، فقال في أبياتٍ مطلعها:

أرى أمّ صخرٍ لا تملُّ عيادتي ... وملّت سُليمى مضجعي ومكاني

فأيّ امرئ ساوَى بأُمٍّ حليلةً ... فلا عاش إلا في شقاً وهوانِ

أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العَيْرِ والنزَوانِ

ثم مات من أثر تلك الطعنة.

مضربه: يُضرب لكل من حيل بينه وبين ما يريد.

* * *

(١) مجمع الأمثال (٢: ٩٦).



من الأمثال الحمارية

ـ ٣ ـ

وهكذا نواصل الرحلة مع هذا النوع من الأمثال:

١٦ـ (أخلف من ولد الحمار):

مورده: يعنون البغل؛ لأنه لا يشبه أباه الحمار، ولا أمه الفرس، فالبغل يأتي نتيجة نزو الحمار على الفرس، قالوا: وليس في الحيوان ما ينزو على غير نفسه ويلقح، إلا الحمارَ والفرس.

ولا تلامح بين البغل والبغلة، ولهذا قال العرب: (أعقمُ من بغلة).

مضربه: يُضرب في مخالفه الفرع للأصل.

١٧ـ (عشَّرَ تعشير الحمار):

مورده: قال الجوهري: تعشير الحمار: نهيقه عشر مرات في طَلْقٍ واحد، قال الشاعر:

لعمري، لإن عشّرت من خيفة الردى ... نُهاق حمار، إنني لجزوعُ

وذلك أنهم كانوا إذا خافوا وباء بلدٍ عشَّروا كتعشير الحمار قبل أن يدخلوه، زاعمين أن ذلك يدفع عنهم الوباء. وقد رفض عروة بن الورد أن يعشّر عند دخوله أرض المدينة في العصر الجاهلي، لئلَّا تصيبه حُمى يثرب (الملاريا)، وشف لهم عن سخف هذه الخرافة، ولم تصبه الحمى.

مضربه: يُضرب في المبالغة في الاحتياط بما يُظن به الحفظ.



١٨ـ (حمارٌ يحمل سفْراً):

مورده: أصله قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥] أي: يثقله حَمْلُها، ولا ينفعه علمها.

مضربه: يُضرب لكل من يعلم ولا يعمل بعلمه.

١٩ـ (هم يتهارجون تهارُجَ الحُمُر):

الهرْج هنا: كثرة النكاح، وقد هرَجَها يهرُجُها ويَهرِجُها هرْجاً: إذا نكحها، وفي حديث صفة أهل الجنة: «إنما هم هَرْجاً مَرْجاً»، دلالة على كثرة نكاحهم للحور العين.

مورده: الأصل فيه حديث أبي الدَّرداء[1]: «يتهارجون تهارُج البهائم»، أي: يتناكحون ويتسافدون.

مضربه: يُضرب لشدة الاختلاط والإقبال على الجنس.

٢٠ـ (بال الحمارُ، فاستبالَ أحمرةٌ):

أي: حملهنّ على البول.

مورده: الأصل فيه أن الحمار إذا بال بين الحمير أثار فيهم شهوة البول، فيقلدونه في ذلك، كأنه يُعديهم بذلك، تماماً كما يعدي أحدنا جلساءه بالتثاؤب.

مضربه: يُضرب في تعاون القوم على ما يُكرَهُ.

٢١ـ (تركته جوف حمار):

أي: لا خير فيه، وانظر المثل الثاني عشر، فإن هذا المثل رديفٌ له.

---

(١) اللسان، مادة (هرج).



٢٢ـ (أصبَرُ من حمار):

قال الدميري في «حياة الحيوان»[١]: من الحمر الأهلية نوعٌ يصلح لحمل الأثقال، ونوعٌ لين الأعطاف، سريع العدْو، يسبق براذين الخيل، وهذا المثل إنما يتجه إلى النوع الأول، ولهذا كانت كنية الحمار: (أبا صابر)، (وأبا زياد)، قال الشاعر في الهجاء:

زيادٌ لستُ أدري من أبوهُ؟ ولكنّ الحمار أبو زيادِ

وما يزال أهل الشام إلى اليوم يكنون الحمار: (أبا صابر)، وقد قدّم الممثل السوري (غوار الطوشي) مسلسلاً تلفازياً بعنوان (أبا صابر)، كان يطل فيه مع حماره على الناس من خلال الشاشة الفضية، ويتحاوران تحاوراً يفضي إلى: (إياك أعني، واسمعي يا جارة). وتأثّراً به كتبتُ مشهداً غنائياً يحمل العنوان نفسه قدمناه خلال الحفل السنوي لثانوية (قباء) بالمدينة المنورة، التي كنت حينها مديراً لها، ولقي ذلك المشهد كثيراً من الاستحسان، وكان مطلعه منسوجاً على غرار أغنيةٍ لطارق عبدالحكيم: (أنا قلت يكفي الهجر ....) مطلعه:

أنا قلتْ يكفي العض يا حماري على لسان كل البقر
كن كويّس، لا تِعَنْفص يا حماري، لابد من ظلم البشر
أنا لي حمارْ أذانيه كبار يا ناس حرامْ تظلموا حماري

مضرب المثل: يُضرب لقوة التحمل.

٢٣ـ (شرُّ المال ما لا يُزَكَّى، ولا يُزكّى):

مورده: الأصل في عدم الزكاة قوله ﷺ: «ليس في الجَبْهة، ولا في الكُسْعة، ولا في النُّخَّة؛ صدقة».

---

(١) حياة الحيوان (١ : ٢٣٨).



(الجبْهة: الخيل. الكُسْعة: الحمير. النُّخَّة: الرقيق، أو البقر العوامل).

والأصل في عدم الذبح ما روى جابر رضي الله عنه وغيره: (أن النبي ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل) متفقٌ عليه.

مضربه: يُقال في امتلاك ما لا خير فيه.

*　　*　　*

من الأمثـال الحمـاريـة

ـ ٤ ـ

٢٤ـ (ما بقي منه إلا قَدْرُ ظمْءِ حمار):

قالوا: وهو أقصر الظّمء؛ وذلك لقلة صبره عن الماء. فهو على عكس الجمل الذي يُعرف بطول صبره على الماء.

مورده: قال الميداني[١]: قال أبو عبيد: وهذا المثل يُروى عن مروان بن الحكم، حيث قال في الفتنة: الآن حين نفِدَ عمري، فلم يبعد إلا قدْر ظِمْء الحمار، صرت أضرب الجيوش بعضها ببعض؟

مضربه: يُضرب لقصر المدة المتاحة.

٢٥ـ (أذل من حمارٍ مقيّد):

مورده: أصله قول الشاعر:

ومـا يقيم على ضيمِ يُـراد بــه ... إلا الأذلاّن: عَيْرُ الحيِّ، والوتِدُ

هذا على الخسْف مربوط برُمّتِه ... وذا يُشَجُّ فـلا يـرثي لـه أحــدُ

(الخسف: الظلم. الرُّمة: قطعة الحبل).

---

(١) مجمع الأمثال (٢: ٢٦٨).

قال في «اللسان»: ومن أمثالهم: (فلان أذلُّ من العَيْر)، قال الشاعر:

لو كنتَ عيـراً كنت عَيْر مَذَلّـةٍ　　　أو كنتَ عظماً، كنتَ كِسْرَ قبيحِ

(كِسْر القبيح: طرف عظم المرفق الذي لا لحم فيه).

مضربه: يُضرب في منتهى تحمل الذل.

٢٦ـ (أدنى حمارَيْكِ ازْجُري):

مورده: أصله ما أنشده ابن الأعرابي:

فأدنى حماريكِ ازْجُري إن أردتِنا　　　ولا تـذهبي في رنْـق لـبٍّ مضلَّلِ

قال في «اللسان»: هو مثَلٌ ضربه، يقول: عليكِ بزوجك، ولا يطمح بصرك إلى آخر، وكان لها حماران، أحدهما قد تأبَّى عنها، يقول: ازجري هذا لئلاً يلحق بذلك. وقال ثعلب: معناه: أقبلي علي، واتركي غيري. وجاء هذا المثل عند الميداني بلفظ: (أحد حمارَيْكِ ازجري)[١].

مضربه: قال الميداني: يُضرب لمن تكلّف ما لا يعنيه.

٢٧ـ (الجحشَ، لمَّا بذَّك الأعيار):

أي: سبقك الأعيارُ فعليك بالجحش، وهو ولد الحمار. فكأن أصله قيام سباق للحصول على الأعيار، فلما فاته الحصول عليها دلّوه على الجحش، خشيةَ أن يفوته أيضاً.

مضربه: يُضرب لمن يطلب الأمر الكبير فيفوته، فيقال له: اطلب دون ذلك. قال الميداني[٢]: يُضرب في قناعة الرجل ببعض حاجته دون بعض.

---

(١) لسان العرب (١: ٥٠).

(٢) مجمع الأمثال (١: ١٦٥).



٢٨ـ (جاء كخاصي العَيْر):

مورده: أصله أن خاصي العَيْر يطرق رأسه عند خِصائه، يتأمل في كيفية ما يصنع، وهيئته في ذلك تشبه هيئة المستحيي يكون مُطرِقاً. قال أبو خِراش:

فجاءت كخاصي العَيْر، لم تحْلُ حاجةٌ ... ولا عـاجـةٌ منهـا تلـوح على وشـمِ

مضربه: يُضرب لمن جاء مستحيياً. كما يُضرب لمن جاء عرياناً ليس معه شيء.

٢٩ـ (جاء بقرنَيْ حمار)[1]:

مورده: أصله أن الحمار لا قرن له، فهو مثلٌ قائم على الإيهام بشيءٍ غير موجود.

مضربه: يُضرب لمن يجيء بالكذب والباطل، فكأنه جاء بما لا يمكن أن يكون.

٣٠ـ (أجهل من حمار):

ويُقال أيضاً: (أكفر من حمار). المقصود: حمارُ بن مالك، رجلٌ من قوم عاد، (انظر المثل الحادي عشر) قال الشاعر:

ألم تـرَ أن حـارثـة بن بدرٍ ... يصلي، وهو أكفر من حمارِ

٣١ـ (جرْيَ المذكّي حسرتْ عنه الحمُر):

حسرت الدابة، تحسُر حُسوراً: أعيتْ وتعبت، وحسرتْ عنه: عجَزَت عنه وعن إدراك شأوه.

مورده: أصله أن الفرس القادح (وهو المذكّي هنا) يسبق الحمير، كأنه قال: يجري فلانٌ جرْيَ المذكّي.

مضربه: يُضرب للسابق أقرانه.

---

(١) مجمع الأمثال (١: ١٦٧).

٣٢ـ (جذَّها جذَّ العَيْر الصِّلِّيانة):

الجذّ: القطع والكسر. الصِّلِّيانُ: بقْل ربما اقتلعه العَيْر من أصله إذا ارتعاه.

مورده: هذه الحالة الموضحة أعلاه، من سلوك العير في الرعي.

مضربه: يُضرب لمن يسرع الحلف من غير ترددٍ ولا تمهّل، والهاء في (جذّها)، عائد إلى اليمين تقديراً.

٣٣ـ (كان حماراً فاستأتن):

السين والتاء هنا للصيرورة، كقولهم: استنوق الجمل، أي: صار جملاً. واستنسر البغاث: أي: صار نسراً، وعلى هذا يكون المعنى: صار الحمار أتاناً.

مورده: أن الحمار هو ذكر الحمير، والأتان أنثاه، والذكر مخصوص بنوع من المعاملة، فإذا امتُهن عومل ببعض ما تعامل به الأنثى.

مضربه: يُضرب للرجل يهون بعد العز.

* * *



من الأمثـال الحمـاريـة

ـ ٥ ـ

٣٤ـ (أودَى العَيْرُ إلا ضَرِطاً)

مورده: لم يذكروا له مورداً.

مضربه: يضرب مثلاً للشيء يذهب إلا أخسُّه. قال أبو هلال العسكري: ومن هذا المثل أخذ الشاعر قوله:

لا تنكحَنّ عجوزاً إن أُتيتَ بها ... واخلع ثيابـك منها ممعناً هربا

فإن أتوك فقالـوا: إنهـا نَصَـفٌ ... فإن أمثَل نصفيْها الـذي ذهبـا

٣٥ـ (أتبع من تَوْلب):

مورده: التولب: ولد الحمار، وولد الفرس. وولد البقرة. يتبع أمه. قال أبو هلال العسكري: ولا أعرف لمَ خُصَّ التولب بذلك.

مضربه: يُضرب لمن هو شديد المتابعة لغيره.

٣٦ـ (أذل من حمار قَبّان):

قال الدَّميري في «حياة الحيوان»[1]: دويبةٌ مستديرةٌ بقدر الدينار، ضامرة البطن،

---

(١) حياة الحيوان (١ : ٢٥٦).



متولدةٌ من الأماكن الندية، على ظهرها شبه المجن، مرتفعةُ الظهر، كأنه قبة، إذا مشت لا يُرى منها سوى أطراف رجليها، إلخ...

والأقبُّ في اللغة هو الضامر البطن من الخيل والناس، وقال الشاعر في حمار قَبّان هذا:

يا عجباً، لقد رأيت عجبا! ... حمارَ قبّان يسوق أرنبا

خاطبها، يمنَعُها أن تذهبا ... فقالت: اردفني، فقال: مرحبا !

٣٧ـ (ذكّرني فوك حمارَيْ أهلي):

مورده: أصله أن رجلاً خرج يطلب حمارَيْن لأهله أضلّهما، فمرّ على امرأةٍ جميلة المنتقب، فقعد يحادثها، ونسي حمارَيْه لشُغل قلبه بها، ثم سفَرت، فإذا لها أسنان منكرة، فتذكر بها أسنان الحمار، فانصرف عنها هارباً وهو يقول: ذكّرني فوك حماري أهلي.

مضربه: يُضرب في الاغترار بالمظهر، ووجوب التأكد من موافقة المخبر له.

٣٨ـ (سواسيةٌ كأسنان الحمار):

أي: مُستوون في الشر، قالوا: لا يقال: سواسيةٌ إلا في الشر، قال ابن أحمر:

سواسٍ كأسنان الحمار، فلا ترى ... لذي شيبةٍ منهم على ناشئٍ فضلا

وقال ذو الرمة:

لهم زمرةٌ شهُبُ السِّبالِ، أذلّةٌ ... سواسيةٌ أحرارُها وعبيدُها

وقال أيضاً:

سبَيْنا منهمُ سبعين خَوْداً ... سواسي، لم يُفَضَّ لها ختامُ



وقالوا: وهي كلمةٌ موضوعة موضعَ سواء، وليست جمعاً لها. وتستعمل (سواء) للخير والشر، ومن ذلك قوله ﷺ: «إنما الناس سواءٌ كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية»، أي: الرحمة. وقال الفرزدق:

شبابُهُمُ وشيبُهُمُ سواءٌ ... وهمْ في اللؤم أسنانُ الحمارِ

مورده: سلوك العرب الجاهلين في التفريق بين أفراد القبيلة الواحدة.

مضربه: يُضرب لوجوب التسوية.

٣٩ـ (أقصر من غبِّ الحمار):

الغب: السقاء يوماً بعد يوم، والحمار لا يصبر أكثر من غبٍّ واحد، (انظر المثل الرابع والعشرين).

٤٠ـ (كل الصيد في جوف الفَرا):

الفَراء، والفَرا: الحمار الوحشي، ويجمع على فِراء، بكسر الفاء، على وزن فِعال.

مورده: قال الميداني[١]: وأصل المثل أن ثلاثة نفرٍ خرجوا للصيد، فاصطاد أحدهم أرنباً، والآخر ظبياً، والثالث حماراً، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا وتطاولا على صاحبهما، فقال لهما: كل الصيد في جوف الفَرا، أي: أن الصيد الذي ظفرتُ به يشتمل على كل ما عندكما، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظمُ من الحمار الوحشي.

وتألف النبي ﷺ أبا سفيان الشاعر بهذا القول، حين استأذن عليه، فحجبه قليلاً، ثم أذن له، فلما دخل قال: ما كدتَ تأذَن لي حتى تأذن لحجارة الجُلْهُمَتَين (مفردها جُلْهمة،

---

(١) مجمع الأمثال (٢: ١٣٦).



وهي ناحية الوادي. قلت: وربما أراد بطرفي الوادي هنا: الحرّتين)، فقال له ﷺ: «يا أبا سفيان، (هو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان من المؤلفة قلوبهم، وممن هجوا النبي ﷺ): أنت كما قيل، كل الصيد في جوف الفَرا»، يتألفه للإسلام.

قال في «اللسان»: ومعناه أنت في الناس كحمار الوحش في الصيد، هو مثلها كلها. وقال أبو العباس: معناه: أنه إذا حجبتك منع كل محجوب، ورضي، لأنَّ كل صيدٍ أقلُّ من الحمار الوحشي، فكلُّ صيدٍ لغيره يدخل في جوف الحمار، وذلك أنه حجبه وأذن لغيره.

مضربه: يُضرب هذا المثل للرجل يكون له حاجات، منها واحدةٌ كبيرةٌ قُضِيت، فهو لا يبالي بعدم قضاء حاجاته الصغيرة.

٤١ـ (كَلاَّ، زعمتَ العِيرَ لا تقاتل):

مورده: هو شطرُ بيت، يصف حالةَ مفاجئة من عِير، وأصل العِير: قافلة الحمير، ثم سُمّيت بها كل قافلة، كأنها جمع عَيْر.(.. اللسان).

مضربه: يُضرب للرجل قد كان أَمِنَ أن يكون عنده شيء، ثم ظهر منه غيرُ ما ظُنَّ به.





من الأمثال الحمارية

ـ ٦ ـ

٤٢ـ (كحماري العِبَادي):

قالوا: العِبَاد من أفناء العرب (أي: من أخلاطهم، لا يدرى من أية قبيلةٍ هم) نزلوا الحيرة، وكانوا نصارى، منهم: الشاعر عديّ بن زيد العِبادي. أما العَبَّادي، بفتح العين وتشديد الباء فشيء آخر.

مورده: قالوا: كان لعِبَاديّ حماران، فقيل له: أيُّ حمارَيْك شر؟ قال: هذا، ثم هذا.

قال الشاعر:

جنسان ما لهما في الناس من مثَلٍ	إلا حمارُ العِباديِّ الذي وُصفا
مجرَّحان الكُلَى، تَدْمى نُحورُهما	قد لازما مُحُرَق الأنساعِ والأُكُفا

(الأنساع: جمع نسع، وهو سيرٌ عريضٌ من الجلد تُشدُّ به الرحال ونحوها. الأكُف: جمع إِكاف، وهو البرذعة).

وتحكم نفرٌ إلى الرِّقاشي في أيهما أسفل: الكنّاس أم الحجّام؟ فأنشد قول الشاعر:

حمار العباديّ الذي سيلَ فيهما	وكانا على حالي من الشر واحدِ

مضربه: يُضرب في كل خلتين، إحداهما شرّ من الأخرى.



٤٣ـ (كذنَبِ الحمار):

مضربه: ذكره الميداني في أمثال المولدين[١] وقال: يُضرب لما لا يزيد ولا ينقص.

٤٤ـ (لأضربنّه ضرب أوابي الحمُر):

حمارُ آبٍ: حرون، يأبى المشي، والجمع: أوابٍ.

مضربه: قال الميداني[٢]: يُضرب مثلاً للتهديد.

٤٥ـ (لأضربنّك غِبَّ الحمار، وظاهرة الفرس):

مورده: غِبّ الحمار: أن يشرب يوماً ويدع يوماً. ظاهرة الفرس: أن يشرب كل يوم، والمعنى: لأضربنّك كلّ وقت[٣].

مضربه: يُضرب مثلاً للتهديد أيضاً. وانظر المثل التاسع والثلاثون.

٤٦ـ (لقيتُه أوّل صَوْكٍ وبَوْك):

مورده: هو: مأخوذٌ من البوْك والصَّيْك. أما البوك، فمن قولهم: باكَ الحمار أتانه، يبوكها بوْكاً، أي: نزا عليها. وأما الصيْك فمن قولهم: صاكَ الطيبُ يصيك صيْكاً، أي: لصق. وصيّر الصّيْك صَوْكاً للمشاكلة.

مضربه: الصوك يدل على السكون، والبوك يدل على الحركة، فكأنه قال: لقيته أولَ متحركٍ وساكن. فيضرب للذي تلقاه أول شيء.

---

(١) مجمع الأمثال (٢: ١٧٢).

(٢) المصدر السابق (٢: ١٨٠).

(٣) المصدر السابق (٢: ١٩٧).



٤٧ـ (لا يأبى الكرامة إلا حمار):

مورده: قال الميداني[١]: قال المفضل: أول من قال ذلك أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه، وذلك أنه دخل عليه رجلان، فرمى لهما بوسادتين، فقعد أحدهما على الوسادة، ولم يقعد الآخر، فقال له علي: اقعُد على الوسادة، لا يأبى الكرامة إلا حمار، فقعد الرجل على الوسادة.

مضربه: يُقال لكل من يرفض التكريم.

٤٨ـ (لا حاء ولا ساء):

أي: لم يأمر ولم ينْه. يقال: حاءِ بضأْنِك، أي: ادعُها. ويقال: سأسأتُ بالحمار، أي: دعوته ليشرب.

مضربه: يُضرب للرجل إذا بلغ النهاية في السن.

٤٩ـ (أنكحنا الفَرا، فسنرى):

مورده: قال الميداني[٢]: قاله رجلٌ لامرأته حين خطب إليه ابنتَه رجلٌ وأبى أن يزوجه، فرضيت أمها بتزويجه، فغلبت الأبَ حتى زوّجها منه بكرْه، ثم أساء الزوجُ العِشْرة فطلقها.

مضربه: يُضرب في التحذير من سوء العاقبة.

٥٠ـ (هو من حمير الحاجات):

أي: ممن يستخدم في قضاء الحاجات.

مضربه: يُضرب للحقير الذليل.

---

(١) مجمع الأمثال (٢: ٢٢٥).

(٢) المصدر السابق (٢: ٣٣٥).



٥١ـ (يَكْرِفُ عُوناً نَجِفٌ مَمْعُول):

العُون: جمع عانة، وهي الجماعة من حمر الوحش. النَّجِف: الفحل عليه النِّجاف، وهو شيءٌ يُشدّ على بطن الفحل حتى يمنعه عن الضّراب. المَمْعُول: الحمار سُلَّتْ خُصيتاه. كرَف الحمارُ بولَ أتانه: شمَّه ثم رفع رأسه وقلب شفته.

مضربه: يُضرب لمن يتقرب إلى من يمنعه خيره، ويقصيه.

٥٢ـ (ما العَيْر من قِماص):

قال أبو هلال العسكري[1]: هكذا رُوي لنا، والصحيح: (أما بالعير من قِماص؟).

مضربه: قال: يُضرب للذليل لا يستقر في موضع، تراه يَقمِص من مكانه من غير صبر.

ويُقال للقلِق: قد أخذ القِماص.

٥٣ـ (ودَق العَيْر إلى الماء):

ودَق إلى الماء: دنا منه، واستأنس له.

مضربه: يُضرب للجبان يفزع، فيستكين.

* * *

---

(١) جمهرة الأمثال (٢: ١٩٤).

من الأمثال الحمارية

ـ ٧ ـ

٥٤ـ (وقعا عِكْمي عَيْر):

العِكْمان: مفردهما عِكْم، وهو الحمل، وإذا وقع العكمان عن ظهر الدابة وصلا إلى الأرض معاً. ويقال أيضاً: (هما عِكْما عَيْر)، أي: هما سواء، كما يقال أيضاً: (ما وقعا عِكْمي عَيْر)، أي: هما ليسا بسواء. ويقولون في هذا المعنى: (وقعا كركبتي البعير)، لأن ركبتي البعير إذا أراد البروك وقعتا معاً. وقالوا أيضاً: (سقط المتصارعان عِدْلَيْ بعير) أي: متساويين.

مضربه: يُضرب للشيئين المستويين.

٥٥ـ (لا تكن أدنى العَيْرين إلى السهم):

معناه: لا تتعرض للشر من بين أصحابك، فتكون أقربهم إلى المكروه. قال أبو هلال العسكري[١]: ونحوه قولهم: (لا تكُنْ كالباحث عن الشَّفْرة).

مضربه: يُقال في التحذير من التعرض للشر.

٥٦ـ (فلان أكفر من حمار):

مورده: هو رجلٌ من عاد ضربت العرب به المثل في الكفر، قال الشاعر:

---

(١) جمهرة الأمثال (٢: ٣١١).



ألم تر أن حارثـةَ بـن بـدرٍ   يُصلي، وهو أكفرُ من حمارِ

مضربه: يُضرب لشدة الكفر. وانظر المثل الحادي عشر، ففيه تفصيل.

٥٧ـ (أكُلُّ شوائكم هذا جُوفان؟)

مورده: أصله أن رجلاً من بني فَزارة، ورجلاً من بني عبس، ورجلاً من بني عبدالله بن غَطفان، صادوا عَيْراً (أي: حماراً وحشيّاً)، فأوقدوا ناراً، وخرج الفزاري لحاجة، فاجتمع رأي العَبْدي، والعبسي على أن يقطعا جوفان الحمار، أي: ذكره، ثم دساه في الشواء، فلما رجع الفزاري جعل العبدي يحرك الجمر بالمِسعَر، ويستخرج القطعة الطيبة، فيأكلها ويطعم منها صاحبه، وإذا وقع في يده شيءٌ من جوفان الحمار دفعه إلى الفزاري، فجعل الفزاري كلما مضغ منه شيئاً امتدَّ في يده، وجعل ينظر فيه فيرى فيه ثقباً، فيقول: ناولني غيرها، فيناوله مثلها، فلما فعل ذلك مراراً قال: (أكلّ شوائكم هذا جُوفان؟)، فذهبت مقولته مثلاً.

مضربه: يُضرب في تساوي الشيء في الشر[١].

٥٨ـ (أجهل من حمار أهله):

ما يزال الناس يشبّهون الجاهل بالحمار، فإذا توغل في الجهل قيل عنه: أجهل من حمار، أو أجهل من حمار أهله.

مضربه: كان ابن تيمية رحمه الله يستعملها فيمن يزيغ ويصر على زيغه رغم قيام الأدلة.

٥٩ـ (أضلّ من حمار أهله):

هو كالمثل السابق.

---

(١) الأمثال للميداني (٢: ١٥١).



٦٠ـ (أسرع من العَيْر):

مورده: قالوا: إن العير هنا هو إنسان العين، سمي عيْراً لنُتّوه، ومن هذا قولهم في المثل الآخر:(جاء فلانٌ قبل عَيْر وما جرى)، يريدون به السرعة، أي: قبل لحظ العين، قال الشاعر تأبَّطَ شرَّاً:

ونار قد حضأتُ بُعيْد وهْنٍ ... بـدارٍ مـا أردت بها مُقـامـا

سوى تحليل راحلةٍ، وعَيْـرٍ ... أكـالئـه مخـافـة أن ينـامـا

(حضأت: أوقدت. الوهْن: نحو منتصف الليل. أكالئه: أراقبه).

مضربه: يُضرب في شدة السرعة.

٦١ـ (سار أُحُدٌ كما سار عَيْر):

جبل عَيْر: هو حدّ حرم المدينة المنورة من ناحية الجنوب، كما أن جبل ثَوْر الموجود شمال أحد بجانب الصرف الصحي هو حدها من ناحية الشمال، ومن الغريب أن أمانة المدينة أو بعض مهندسيها وجدوا أن المسافة بين عيْر والحجرة النبوية المشرفة، مساويةٌ للمسافة التي بينها وبين جبل ثور المشار إليه. وقد جاء في بعض الآثار أن عيْراً يسير في آخر الزمان إلى موضع كذا، ثم يسير أُحُدٌ بعده، فيُراع الناس ويقولون هذه الجملة.

مضربه: يضرب لتوالي الأحداث ذات الدلالة.

٦٢ـ (كل من ضرب العَيْر مَوَالٍ لنا):

مورده: أول من قاله الشاعر الحارث بن حِلِّزة، قال:

زعموا أنّ كل من ضربَ العَيْـــ ... ـــرَ مَـوالٍ لنـا، وأنّـا الــولاءُ



قال الخليل بن أحمد: المراد كل من ضرب بجفنٍ على عين. فالعيْر هو إنسان العين كما أسلفنا. وقال آخرون: المراد بالعير سيّد القوم، وذلك تشبيه السيد بالعيْر، لأن العَيْر الذي هو الحمار، قيّم الأتن وقريعها.

وقال بعضهم: إنه إنما أراد قبيلة إياد؛ لأنهم كانوا أصحاب حمير.

مضربه: يُضرب في ادِّعاء بسط السيادة.

* * *



من الأمثـال الحمـاريـة

ـ ٨ ـ

قد يملّ الكلام إذا كان مكروراً ويُستثقل، وذلك إذا لم يقدم التكرار لطيفةً من اللطائف أو يضيف بعداً فنياً يسهم في تلوين العمل الفني، وقد يمل الكلام أيضاً لفجاجته وخُفوت جرْسه وانطفاء صوره ومعانيه، أو لكونه لم يحقق أهدافه ولم يصل إلى مراميه.

ورغم أن حديثي المتتابع معكم حول أماديح الحمار وأهاجيه، ومناسباته المختلفة التي تحولت إلى أمثالٍ عديدةٍ ضمنها أصحابها معانيَ شتى، وأسبغوا عليها من الإيحاءات والدلالات الكثير، فإنني خشيت أن أكون قد وصلت إلى الإملال والإكلال، لكن عدت لأستميحكم العذر لأشرككم معي في الاستمتاع بالحديث عن الحمير، وبخاصة إذا وجدنا أنفسنا مضطرين لمعايشتهم ومداخلتهم، وزعمت أن من المناسب أن أجمع ما كتبته وأكتبه عنهم في كتابٍ مستقل تحت عنوان (قراءةٌ في ملفات بعض الحمير)، وما كان (حديث الأربعاء) لطه حسين إلا مقالاتٍ مكتوبةً في صحيفةٍ ينظرها الناس كل أسبوع، وما أكثر ما فعله غيره من الكُتّاب، فهُبُّوا معي لمتابعة الكتابة في الموضوع:

٦٣ـ (الحمارُ السُّوءُ دَبَـرُه أحب إليك من مكُّوك شعير):

الدّبَر: اسم جنسٍ جمعي، مفردُه دَبْرة، وهي: قَرحة الدابة. المكّوك: هو هنا عبارةٌ عن مكيالٍ كان يستعمله القدماء، يختلف باختلاف ما يصطلح الناس عليه في البلاد.



ومعناه: أن وقوع الدبَر عليه أمرٌ لا يسيء؛ وذلك لسوئه.

مضربه: يُضرب في التعبير عن عدم الاكتراث بما يصيب المسيئين.

٦٤ـ (الحمير نعتُ الأكّافين):

الأكّاف: صانع الأُكُف، جمع إكاف، وهو البرذعة، ويقال: أَكَّفَ فلان الحمارَ والبغل، إذا شدّ عليها الإكاف. ومعنى المثل: أن الأَكَّافين هم أعلم الناس بالحمير وأوصافها.

مضربه: يُضرب في الدلالة على دقة خبرة المتخصصين.

٦٥ـ (الحمّار على كراه يموت):

معناه: أن أصحاب الحمير حريصون على تحصيل أجرتهم من مستأجري حميرهم.

مضربه: يُضرب في كل حريص.

٦٦ـ (ذهب الحمار يطلب قرنَيْن، فعاد مصلوم الأذنين):

القرنان: مثنّى قرن، وهو المعروف في الحيوانات. **الصَّلْم**: القطع.

مضربه: يُضرب في الدعوة إلى القناعة، وبيان أن الطمع يضر ولا ينفع.

٦٧ـ (زلَق الحمار، وكان من سَهْوة المُكاري):

زلقت القدم: زلَّت ولم تثبت. **المُكاري**: أجير الدواب، ويغلب على الحَمَّار والبغّال، ويجمع على مُكارين.

مضربه: يُضرب في توافق الرغبة مع المصادفة.

٦٨ـ (زلّ حمارك في الطين):

مضربه: يُضرب للعجز وانعدام الوسيلة.



٦٩ـ (دون ذا، ويَنفُق الحمار):

يَنفُق: يَرُوج. وأصله: أن إنساناً أراد بيع حمارٍ له فقال لمشوِّر: أطرِ حماري ولك عليّ جُعْل. فلما دخل به السوق قال له المشوّر: أهذا حمارك الذي كنت تصيد عليه الوحْش؟ قال الرجل: (دون ذا ويَنفُق الحمار) أي: لا تبالغ في ترويجك للحمار، وقل قولاً معقولاً مقبولاً، يباع به الحمار.

والواو في (وينفق) واو الحال.

الجُعْل: ما يُجعل على العمل من أجرٍ أو رشوة. ومثله الجَعالة.

المشوّر: اسم فاعلٍ من قولهم: شوَّر الدابة، أي: اختبرها وجرّبها لينظر كيف مِشْوارُها أي: سَيْرُها. ويسمى المكان الذي تشوَّر فيه الدواب وتعرض: المِشوار، ومن هنا جاء قولهم: (إياك والخطب، فإنها مشوار، كثير العثار)، ومنه جاءت كلمة (مِشوار) المعروفة اليوم.

مضربه: يُضرب عند المبالغة في المدح، إذا كان يقع الاكتفاء بدونه.

٧٠ـ (فِصْفِصةٌ حمارُها لا يقْمُصُ):

الفِصْفِصة: وجمعها فصافص، واسم الجنس الجمعي: الفِصْفِص، وفي لغة أهل الشام: الفِصة: هي نباتٌ عشبي، من الفصيلة القرنية، مُعمَّر، ويسميه بعضهم البرسيم الحجازي، وهو بالفعل: البرسيم المعروف لدينا بالحجاز الآن. يقمُص: ينفر ويضرب برجليه.

مضربه: يُضرب لمن يصنع المعروف في غير أهله.

٧١ـ (أهون من ذنَب الحمار على البيطار):

البيطار: معالج الدواب، ويسمى بَطيراً أيضاً.

يُضرب في التهوين من الشأن، والحطِّ من الأقدار.



٧٢ـ (كذنَب الحمار):

يُضرب لعدم الزيادة والنقص.

٧٣ـ (ليس للحمار الواقع كصاحبه):

يُضرب في بيان الأرأف بمدّ يد المعونة.

٧٤ـ (أندّ من حمار الوحش):

يُضرب في الاستعصاء عن التوادّ والمؤانسة.

٧٥ـ (برئتُ من ربٍّ يركب الحمار):

أصله: أن أحدهم ادعى الألوهية وكان يركب حماراً، فرآه أعرابي، فلم يعجبه ذلك فقال بفطرته: (برئتُ من ربٍّ يركب الحمار).

مضربه: يُضرب في التهوين من شأن المتعاظمين.

* * *



من الأمثـال الحمـاريـة

- ٩ -

٧٦- (بجبهة العَيْر، يُفدى حافر الفرس):

أصله نصف بيتٍ شعري من بحر البسيط. يدل على أن قيمة الشيء الأعلى في الناقص: تساوي أقل شيء في الكامل.

مضربه: يُضرب في بيان قيمة الأشياء والناس.

٧٧- (ابن عمّ النبيّ من اليَعْفُور):

اليعفُور: اسم حمارٍ كان للنبي محمد ﷺ.

مضربه: يُضرب للدّعيّ الذي يّدعي الشرف بالانتساب إلى النبي ﷺ، والمعنى أنه لا قرابة بينهما.

٧٨- (ترافدُوا ترافُدَ الحمُرِ بأموالها):

ترافدوا: تعاونوا. وهو مثلٌ قائمٌ على التشبيه، ورفدتُ فلاناً: أعنته.

مضربه: يُضرب في التعاون في صغارِ الأمور.

٧٩- (تركتُه على مثل عِضْرَطِ العَيْر):

عضْرط العيْر: عِجانُه، وهو الاست، وقيل: هو القضيب الممدود من الخُصْية إلى الدبر، أو ما بين القبل والدبر، وفي الحديث: «إنَّ الشيطان يأتي أحدكم فينقُر عند عجانه» ليوهمه بانتقاض وضوئه.



وقال جرير:

يمدّ الحبلَ معتمداً عليه　　　كأن عِجانَه وتَرٌ جديـدُ

والجمع: أعجنة وعُجُن. والعجان في لغة أهل اليمن: العنق. قال الشاعر:

يا رُبَّ خَوْدٍ ضَلْعةِ العِجانِ　　　عِجانُها أطولُ من سنانِ

مضربه: يُضرب لمن لم تَدَعْ له شيئاً؛ لأنك أخذت منه كل أشيائه.

٨٠ـ (اربط حمارَك، إنه مُستنْفِر):

ربط يربُط ويربِط. واستنفر: بمعنى نَفَر. والمعنى: كُفَّ فقد عِرْتَ في شتم قومك كما يَعير الحمار في مربطه. أي: كما ينطلق الحمار على وجهه لا يثنيه شيء.

مضربه: يُضرب لمن يؤذي قومه.

٨١ـ (الكبش الكرّاز كالحمار في الوقير):

هو في حكم المثل، وإن لم ينصّوا على أنه من الأمثال. ووجه الشبه بينهما أن الراعي يستخدم الكرّاز استخدام الحمار، فيركبه، ويحمل عليه كُرْزه (الخُرْج الكبير، يحمل فيه الراعي زاده ومتاعه)، والكرّاز: الكبش الكبير الحجم، الأجم (أي ليس بذي قرون). قالوا: ويعيش هذا النوع من الكباش إن سلم من الذبح عشرين سنة، والحمار الوقير، أي: الموقور ذو الحمل الثقيل، ومن معانيه أيضاً: الغنم بكلبها وحمارها وراعيها.

مضربه: يُضرب في قوة التحمل، وهو قائمٌ على التشبيه.

٨٢ـ (فلِمَ ربَض العَيْر إذن):

مورده: قاله امرؤ القيس لمّا ألبسه قيصر الثياب المسمومة وخرج من عنده، وتلقاه



عَيْر، فربَضَ، فتفاءل امرؤ القيس (أي: استشعَرَ شراً)، فقيل له: لا بأس عليك، قال: فلمَ ربض العيْر إذن؟ نعَم، أنا ميت.

مضربه: يُضرب للشيء فيه علامةٌ تدل على غير ما يقال لك.

٨٣ـ (قد يُقدم العَيْر من خوفٍ على الأسدِ):

أصله نصف بيتٍ من الشعر من بحر البسيط، يسجل حالة الخوف التي تصيب الحمار حينما يشم رائحة الأسد أو يحس بوجوده، حيث يهرب منه إليه، فيقع بين بَراثنه.

مضربه: يُقال في الإقدام غير المحمود.

٨٤ـ (كذَب العَيْر، وإن كان بَرَحْ)

أصله نصف بيتٍ من شعر لأبي دؤاد، من بحر الرمل، وهو:

قلتُ لَمَّا نَصلاَ من قُنّةٍ ... كذبَ العَيْر وإن كان بَرَحْ
وترى خلْفهما إذ مضَيا ... من غبارٍ ساطع قوسَ قُزَحْ

نصَلَا: خرجا، يعني كلب الصيد والعيْر. والقُنّة: المرتفع من الأرض. كذَب: هي هنا بعض: فَتَر، أي: أمكن صيده وإن كان بارحاً. والبارح من الصيد: الآتي من الجانب الأيسر، قال الميداني: ويجوز أن يكون(كذَبَ) إغراءً، والمعنى: عليكَ العيْرَ فصِدْه وإن كان برح.

مضربه: يُضرب للشيء يُرجى الحصول عليه، وإن كان صعباً.

٨٥ـ (عيْرٌ رعى أنفُه الكلأ):

أي: هدَتْهُ حاسة الشم إلى مواقع العشب.

مضربه: يُضرب لمن يستدِلّ على الشيء بظهور علاماته.



٨٦ـ (من اعتمد على عَيْر جاره أصبح عَيْره في الندى): ويروى (حير غيره):

الـحَيْـرُ: الإصطبل، وهو في الأصل حظيرة الإبل. الندى: المقصود هنا المطر.

مضربه: يُضرب في الدعوة إلى الاعتماد على النفس.

٨٧ـ (إن الأسد ليفترس العيْر، فإذا أعياه صاد الأرنب):

يُضرب في الرضا بالأدنى عند تعذّر الأعلى. ويلاحظ في صياغة هذا المثل شيءٌ من الركاكة، وأنه يفتقد ما عُرِفت به الأمثال من الاعتماد على الإيجاز وتوهجّ العبارة، مما يضمن له سرعة الوصول إلى قلب قارئه وسامعه.

* * *



من الأمثال الحمارية

ـ ١٠ ـ

٨٨ـ (حمارُ عُزَيْر):

أحياهُ الله بعدَ مائة سنة من موته، على قول من يرى أن المعنيَّ في آية البقرة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] هو عُزَيْر.

ونظر الفضل بن عيسى الرَّقاشي إلى حمار فارهٍ تحت سَلْم بن قُتيبة فقال: قعْدة نبي، وبِذْلة جبّار، يشير إلى حمار عُزَيْر وعيسى عليه السلام.

وقال بعض المتعصبينَ للحمار، والقائلين بفضله: وكيف لا أحبُّ شيئاً أحياه الله بعد موته قبل الحشر؟ يعني حمارَ عُزَير.

٨٩ـ (حمارُ أبي الهُذَيل):

مورده: أن أبا الهذيل دخل على المأمون، فاحتبسه ليأكل معه، فلما وُضِعت المائدة وأخذوا في الأكل، قال أبو الهذيل: يا أمير المؤمنين، إن الله لا يستحيي من الحق، غلامي وحمارٌ بالباب. فقال: صدَقْتَ يا أبا الهذيل. ودعا بالحاجب فقال له: اخرج إلى غلام أبي الهذيل وحمارِه، فقدّم لهما ما يصلح لهما من أكل، فخرج وفعل.

وكان محمد بن الجهم إذا تعذّر عليه أمرٌ يقول: إن الذي سخّر المأمون لحمار أبي الهذيل وغلامِه، قادرٌ على أن يسهل لنا هذا الأمر.



وفعل أبو الهذيل مثل ذلك على مائدة المعتصم.

مضربه: يُضرب في الأمر الصغير يتكلم فيه الرجل.

٩٠ـ (سَنة الحمار):

مورده: تقولُ العرب لسنة المائة من التاريخ (سَنة الحمار). وأصلُها من قصّة حمارِ عُزير، وموتِهِ مع صاحبه مائة سنة، ثم أحياهما الله، كما جاء ذلك في الآية (٢٥٩) من سورة البقرة. قال الثعالبي:

وسمعتُ أبا نصر العُتْبي يقول: عُرض على بعض الأدباء حمارٌ أراد ابتياعه، فوجده مسناً، فقال: أرى هذا الحمار وُلد قبل سنة الحمار.

قال: وإنّما قيل لمروان بن محمد: مروان الحمار؛ لأنه جاء على رأس استكمال مُلك بني مروان مائة سنة.

مضربه: فكل مائة سنةٍ يصح تسميتها بسنة الحمار.

٩١ـ (أنكد من صوف الحمار):

أنكد: أعسر، اسم تفضيلٍ من الفعل: نكِدَ ينكَدُ نكَداً أو نكَادا، أي: عَسُرَ، وقلَّ ونزَر. والنَّكِد: الشحيح، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]، ومثله: (أعسر من صوف الكلب)، والحمار والكلب من ذوات الشعر، لا من ذوات الصوف.

مضربه: يُضرب في استحالة الحصول على الشيء.

٩٢ـ (حمار القصّار):

قال الثعالبي في «ثمار القلوب»[(١)]: يُضرب به المثل فيمن يصير إلى الخوف وسوء القِرَى، فيقال: كان يوم فلانٍ كحمار القصّار. إن جاع سَرَب، وإن عطش شرب.

---

(١) ثمار القلوب (ص٢٤١).



سَرَبَ: ذهب على وجهه في الأرض، ورُوي (شرب أيضاً). والقصّار: المبيّض للثياب، والذي يهيئ النسيج بعد نسجه ببلّه ودقِّه بالقَصَرة (قطعةٌ من الخشب) قديماً، ليصبح صالحاً للطي.

٩٣ـ (إنما طعام فلان القَفْعاءُ والتأويل):

القَفعاء: شجرةٌ لها شوك. والتأويل: نبتٌ يعتلفه الحمار.

مضربه: قال الميداني[١]: يضرب لمن يُستبْلد طبعه، أي: أنه بهيمةٌ في ضعف عقله، وقلة فهمه.

* * *

(١) مجمع الأمثال (١: ٧٦).



من الأمثـال الحمـاريـة

ـ ١١ ـ

٩٤ـ (حمار طيّاب):

هو طيّاب السّقّاء. كان له حمارٌ قديم الصحبة[١] ضعيف الحملة، شديد الهزال، ظاهر الانخذال، كاسف البال، يسقي عليه، ويَرْفُق به (أي: يرتفق به ويستعين في قضاء حوائجه) ويرتزق منه، مدةً طويلة من الدهر، وكان عُرضةً لشعر أبي غلالة المخزومي، كما أن شاة سعيد كانت عرضةً لشعر الحمدوني، ولأبي غلالة في وصفه بالضعف، والتوجع له من الخسف، نيّفٌ وعشرون مقطوعةً، أوردها كلها حمزة الأصفهاني في كتابه «مضاحك الأشعار» رتّبه على حروف الهجاء، من ذلك[٢]: مُقِسماً ـ طلباً للاضحاك ـ بغير الله قوله:

أقسمت (بالطاس والمُدام)	وصحبة الفتية الكـــرامِ
أن لست أبكي على رسومٍ	غيّرها هـاطـلُ الغـمـــامِ
لكـنْ بكـائي على حـمـــارٍ	مـوكّـل الجسم بالسَّقــامِ
قد ذابَ ضرّاً، ومات هزْلاً	فصـار جلـداً على عظــامِ

---

(١) ثمار القلوب (ص٣٦٦).

(٢) المصدر السابق (ص٣٦٧).



ومرَّ يـومـاً بـه شعيـرٌ   مقـدار كـفيـن للحمـامِ
وحِمْل قـتٍّ لشـاة قـومٍ   كـلاهـمـا في يـدي غـلامِ
فظـلَّ مـن فـرْحـةٍ يغني   وقال: قـد جـاءني طعـامي
يـا زائـرينـا مـن الخيـامِ   حياكـم اللـه بـالسـلامِ
لم تطـرقـاني وبي حِـرَاكٌ   إلى حـلال، ولا حـرامِ؟

٩٥ـ (ضَرِطٌ ذلك):

مورده: قال في «مجمع الأمثال»[١]: تزعُمُ العرب أن الأسد رأى الحمار، فرأى شدة حوافره، وعظم أذنيه، وعظَم أسنانه وبطنه، فهابه، وقال: إنَّ هذا (الدابة) لمنكر، وإنه لخليقٌ أن يغلبني، فلو زُرته ونظرتُ ما عنده، فدنا منه، فقال: يا حمار، أرأيت حوافرك هذه المنكرة، لأيِّ شيءٍ هي؟ قال: للأكَم. فقال الأسد: قد أمنتُ حوافره، فقال: أرأيتَ أسنانك هذه، لأي شيءٍ هي؟ قال: للحنظل. قال الأسد: قد أمنتُ أسنانه. قال: أرأيتَ أذنيك هاتين المنكرتين، لأي شيءٍ هما؟ قال: للذباب. قال: أرأيتَ بطنك هذا، لأي شيءٍ هو؟ قال: (ضَرِطٌ ذلكَ) فعلم أنه لا غَناءَ عنده، فافترسه.

مضربه: يُضرب لما يهول منظره، ولا معنى وراءه.

٩٦ـ (ضَرطَ وَرْدان بواذِ قِيٍّ):

مورده: قال في «مجمع الأمثال»[٢]: إن وَرْدان اسم حمار. والقِيُّ: الفلاة.

مضربه: يُضرب لمن يخاصم غيره في باطل.

---

(١) مجمع الأمثال (١: ٤٢٠).

(٢) المصدر السابق (١: ٤٢٢).



٩٧ـ (كطالب القَرْن الحمار):

قال في «مجمع الأمثال»(١): قال الشاعر:

كمثل حمارٍ كان للقَرن طالباً ... فـآبَ بلا أُذن، وليس له قَرْنُ

مضربه: يُضرب في طلب الأمر يؤدي صاحبه إلى تلف النفس.

قلت: وجاء هذا المثل الحماري تتمَّةً لمثلٍ آخرَ هو: (كطالب القَرْن جُدعتْ أذنُه).

مضربه: هو ما تقدم من الخسارة عند الطمع.

وهو شبيهٌ بما قالته العرب: (ذهب النعام يطلب قرناً فجُدعتْ أذُنه)، ولذلك يقال له: (مُصَلَّمُ الأذنين) وفيه يقول الشاعر:

مثلُ النعامـة كانت وهي سـائمـةٌ ... أَذْنـاء، حتّى زَهاهـا الحَيْنُ والجُبْنُ

جـاءت لتَشري قَرْنـاً، أو تعوّضـهُ ... والـدهرُ فيه رَباحُ البيْـع، والغَبْـنُ

فقيل: أُذْناك ظلم، ثُمّتَ اصطُلِمتْ ... إلى الصِّمـاخ، فـلا قـرنٌ، ولا أذْنُ

(**أذناء**: طويلة الأذن. **الحَيْن**: عظم القدم. **الجُبن**: ضد الشجاعة. **رَباح البيع**: ربْحه. **الغبَنُ**: خسارته. **اصطُلمت**: جُدعت. **الصِّماخ**: قناة الأذن التي تفضي إلى طبلتها).

٩٨ـ (لأضربنّه ضرب أوابي الحُمُر):

قال الميداني(٢): حمارٌ آب، أي: حرون يأبى المشي، جمعُه: أواب.

مضربه: يُؤتى به في مجال التهديد. فإن الحمار الحرون لا يفارق حَرَنَهُ إلا بعد ضربٍ شديدٍ متوالٍ.

---

(١) مجمع الأمثال (٢: ١٤٠).

(٢) المصدر السابق (٢: ١٨٠).



٩٩ـ (يحمل حالاً، وله حمار):

الحالُ: الكارَةُ، وهي ما يحمله القَصَّار على ظهره من الثياب، والمفترض فيه أن لا يتعب نفسه بحملها، بل يحملها على ظهر حماره، فما يفعله دليل غبائه وضعف تفكيره.

مضربه: يُضرب لمن يرضى بالدون من العبث، على أن له ثروةً ومقدرة.

١٠٠ـ إذا ما حمارُ السوء لم يأت حِمْلَهُ نِفاراً، فأدْنِ الحِمْلَ منه وحَمِّلِ

هذا مثلٌ جاء في بيتٍ كاملٍ من الشعر، أورده صاحب[1]، قال: وأخذ معاوية معنى هذا المثل فقال: لو أنَّ بيني وبين الناس شعرةً ممدودةً ما انقطعَتْ، لأني إذا مدُّوا أرسلت، وإذا أرسلوا مددت.

مضربه: يُضرب في حسن سياسة الناس.

١٠١ـ (يأكل جزرة فوق حمار، خيرٌ من مائة دينار):

أصله كما في «جمهرة الأمثال»[2]: أن رجلاً رأى العَتَّابي على حمار ممتازٍ خيرٍ من مئة دينار وبيده جزرة يأكلها، فقال له: ما هذا يا عتابي؟ فقال: إذا ذهب من ترجوه، فالناس أقل من النقد.

مضربه: يُضرب فيمن يتبذّل لفقدان الواهب إلى مولٍ.

١٠٢ـ قال الشاعر:

لو كان حوضَ حمارٍ ما شربتَ بـه	إلا بـإذن حـمـارٍ آخـرَ الأبـدِ
لكنـه حـوضُ من أودى بإخوتـهِ	ريبُ الزمان، فأضعى بيضة البلدِ

---

(١) جمهرة الأمثال (١: ٦٥).

(٢) المصدر السابق (١: ١٢٩).



قال في جمهرة الأمثال(١): أي: لو كان حوضي حوض حمارٍ من الحمير، لما شربت منه إلا بإذن الحمار الآخر، لقلّتك وذلّتك، ولكن وجدت حوضي حوض رجلٍ منفرد أودى بإخوته الدهرُ، فاجترأتَ عليه. هكذا فسر البيتين، ثم قال: والصحيح أن حماراً هنا: اسم رجلٍ بعينه.

١٠٣ـ قال الشاعر(٢):

فإنك والفخار بأمّ عمرو ... كمن باهَى بثوب مستعارِ
كذات الحذْج تَبْهَجُ أن تراهُ ... وتمشِي أو تسير على حمارِ

قلت: يُساقُ البيتان فيمن تحت يده شيءٌ ولا ينتفع به؛ لأنه لا يملكه.

١٠٤ـ صبر الحمار:

قيل لبزرجمهر: بمَ أدركتَ ما أدركتَ من العلوم؟ قال: ببكورٍ كبكور الغراب، وصبرٍ كصبر الحمار، وحرصٍ كحرص الخنزير.

١٠٥ـ أخلف من ولد الحمار:

يريدون به البغل؛ لأنه لا يشبه أباه ولا أمه.

وعن صاحب كتاب «أخبار الحمير» نقلاً عن كتاب «ابتلاء الأخيار»: أن عيسى عليه السلام لقي إبليس وهو يسوق خمسة أحمرةٍ عليها أحمال، فسأله عن الأحمال، فقال: تجارةٌ أطلب لها مُشترِيْن، قال: وما هي التجارة؟ قال: أحدها الجَوْر. قال: ومن يشتريه؟ قال: السلاطين. قال: والثاني: الكبر. قال: ومن يشتريه؟ قال: الدهاقين. قال:

---

(١) جمهرة الأمثال (١: ٢٣٢).

(٢) المصدر السابق (٢: ١٠١).



والثالث: الحسد. قال: ومن يشتريه؟ قال: العلماء. قال: والرابع: الخيانة. قال: ومن يشتريها؟ قال: عمال التجار. قال: والخامسة: الكيد. قال: ومن يشتريه؟ قال: النساء.

* * *



من الأمثـال الحمـاريـة

ـ ١٢ ـ

إذا كان ما أوردناه من أمثالٍ حتى الآن، باللغة العربية الفصيحة، فإن اللهجة العامية أيضاً تتضمن مجموعةً من الأمثال الحمارية، التي كان الناس وما يزالون يستعملونها في تعاملهم اليومي، ويتبادلونها بينهم في المناسبات المختلفة، وفي شتى الشؤون، جمعت منها ما أمكنني جمعه.

وقبل أن نشرع في إيرادها، ننبه على أن بعضها جاء باسم الدابة أو البهيم، وهي تسمياتٌ شائعةٌ بين العوام شيوعاً يدل على فصاحتها، ونحبّ أن نؤكدها ببعض النقول عن الثعالبي في «فقه اللغة».

قال في (ص١): وكل شيءٍ دبَّ على وجه الأرض فهو دابة. وكل ما امتير عليه من الإبل والخيل والحمير فهو عِير. وكل دابةٍ استُعمِلتْ من إبلٍ وبقرٍ وحمير، ورقيق، فهو نَخَّة، ولا صدقة فيها. (والنَّخَّة: العوامل).

وقال في (ص٩): ولد كل ذات حافر: نَتوج، وعَقُوق.

وقال في (ص١٢): سَنَق الدابة بمنزلة اتِّخام الإنسان، قال الأعشى:

ويأمرُ (لليحمور) في كل ليلةٍ بتبنٍ وتعليق، فقد كـاد يَسْنَقُ

وفي (ص١٣٥): الدواب يقع على كل ماشٍ على الأرض عامةً، وعلى الخيل والبغال والحمير خاصةً.



وقال في «المعجم الوسيط»: البهيمة كل ذات أربع قوائم من دواب البر والبحر، ما عدا السباع، جمعها: بهائم.

قلت: ولكن استعمال العوام خصها في كثيرٍ من البلاد العربية بالحمار، وبخاصة إذا وضعها في مقابل الحيوانات الأخرى، كقولهم في التعبير عن صغر المكان وضيق مساحته: (مربط بهيم وذيلُو برّه).

وهذا يعني أنني سأقبل الأمثال التي ترِدُني بهذه التسميات.

١ـ (مُوتْ يا حمار حتى يجيك العليق):

العليق: العَلف من شعيرٍ ونحوه. قال المتنبي:

فأُمْسِـك، لا يُطالُ لـه فيرعى ... ولا هو في العليق، ولا اللجامِ

مضربه: يُضرب في الضيق بطول الانتظار.

٢ـ (استنَّى يا حمار حتى يجيك الربيع):

هو كالمثل السابق.

٣ـ (اللِّي ما يغار حمار):

مِشتمّ منه أن العَيْر لا يغار على أنثاه، ولكن هذا المعنى يتناقض مع المثل العربي الذي ذكره أبو هلال العسكري في «جمهرة الأمثال»[1]: (أغير من عَيْر).

٤ـ (الشاطرة تغزل برجل حمار):

ومثله قولهم: (الجيّدة تغزل بجريِّدة):

مضربه: يُقال فيمن يحقق أهدافه بوسائل بسيطة، وفي الحث على الإنجاز.

---

(١) جمهرة الأمثال (٢: ٧٦).



٥ـ (فلان زي حمار النُّورة):

هذا مثلٌ مديني. والنّورة: الجص، ويسمى المجصّص عند أهل المدينة: نَوَّاراً. وتُعرَف المناطق الشمالية من المدينة بالجص، يقتطع، ويحرَق في حواريق: جمع حارُوق، وتسمى مناطقه تلك بالمصانع، ثم يُنقَل بوساطة الحمير ذات المواصفات الخاصة إلى المنزل الذي يراد تنويره، وكان من صفات تلك الحمير أنها تحرن أحياناً وتستعصي عن السير، مهما حثثتها أو ضربتها.

مضربه: يُقال في الرجل يتمسك برأيه فلا يتركه أبداً، حين تفشل معه كل المحاولات.

٦ـ (فلان حمار شُغل):

أي: أنه يتحمل في عمله الجهد الكثير، كما يتحمل الحمار الأثقال، لا يكل ولا يمل.

مضربه: يُضرب في شدة التحمل، ولا يقال إلا في المدح. ومن هنا قيل في آخر خلفاء بني أمية، مروان بن محمد: (مروان الحمار)، قالوا: وذلك لشدة تحمله وقوة صبره.





من الأمثـال الحمـاريـة

-١٣-

٧ـ (زيّ حمار السانية):

زيّ: أصلها: سي ـ بكسر السين، وتشديد الياء ـ والسّي: المِثْل، قال الحطيئة مادحاً:

فـإيـاكـم وحيّـةَ بطـــن وادٍ   هموزَ النّاب، ليس لكمْ بسيٍّ

أي: ليس لكم بمثل، بل هو أعظم منكم. والسّيان: المثلان، وكذلك السَّواءان. ويقال: هم سي، كما يقال: هم سواء، قال الشاعر:

وهُـــمُ ســيٌّ إذا مـــا نُسبـــوا   في سناء المجدِ من عبد منافِ

وهذا سِيُّك، وسِيّ فلانٍ: مثْله.

السانية، والجمع السواني: ما يُسقى عليه الزرع من الحيوانات، من بعير وغيره كالثور والحمار والبغال، وتشمل الآلة. وقد سنَت السانيةُ، تَسنُو سُنُوّاً وسناية، وسَنَاوةً: إذا سقت. والساني: المستقي، وجمعه سُناة. قال لبيد :

كـأنّ دمـوعـه غَـرْبـا سُنــاةٍ   يحيلون السِّجال على السّجالِ

جعلَ السُّناة: الرجالَ الذين يسقون بالسواني ويُقبلون بالغَروب (الدلو العظيمة) فيحيلونها (أي: يَدفُقون ماءها). وفي المثَل: (سير السواني سفَرٌ لا ينقطع).



مضربه: يُضرب في الجهد المبذول الدائم دون مردود.

وسيُّه: (مثْله) قولهم: (زي حمار الطاحونة). فالحماران: آتيان ذاهبان، لا ينفكّان عن العمل.

٨ـ (زي حمار العنب شايل ولا طايل):

يُضرب لكل من يكون مطلوبه قريباً، ولكنه لايستطيع أن يناله لسببٍ من الأسباب، فهو محرومٌ منه، وهذا شبيهٌ بقول الشاعر:

كالعيس في الصحراء يقتلها الظَّما والماءُ فوق ظهورها محمولُ

٩ـ (أَخَذْ عَلْقة ولا حمارْ في مطلع):

معناه: أن هذا الإنسان ضرب ضرباً مبرّحاً، كما يضرب الحمار في العقبة حين يتردد أو يتخوف صعودها.

مضربه: يُضرب لكل من نزل به سوءٌ بشكلٍ عنيف.

١٠ـ (سكتنا له، دخل بحمارُه):

تسامحوا معه، فزادهم مضايقة، ولم يكتف بدخوله منفرداً، بل أسكن معهم حماره.

مضربه: يُضرب فيما ينتج عن التسامح مع اللؤماء.

١١ـ (حمارتنا العرجاء ولا فرس اللئيم):

يُضرب في الاستغناء عن مساعدة اللؤماء.

١٢ـ (يموت الحمار ولا يحطُّو على ظهر سرج):

البردعة: للحمار، والسرج: للحصان، ولم تتغير هذه الحال.

يُقال في التيئيس مما ليس هو بحق لك.



١٣ـ (موت الحمير من بخت الكلاب):

تتضايق الكلاب كثيراً من نهيق الحمير، وتنزعج منه، وربما أصابها مغصٌ من ذلك، فلذلك يعدُّ موت الحمير مفيداً للكلاب.

مضربه: يُضرب في إفادة جهةٍ من ضرر الأخرى، على حد قول القائل: (مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ).

١٤ـ (حط الحصان جنب الحمار، إذا لم يتعلم نهيقه، فلا صفر من أن يتعلم شهيقه):

يُقال في شدة تأثير القرين على قرينه. ولهذا قال الشاعر:

عن المرءِ لا تسأل، وسل عن قرينهِ فكـلُّ قـريـنٍ بـالمقـارِنِ يقتـدي

١٥ـ (التكرار يعلّم الحمار):

هذا المثل قائمٌ على أساس التسليم بغباء الحمار وشدة جهله. ويلطِّفها بعضهم فيقول: (التكرار يعلّم الشُّطار).

يُضرب في فائدة التكرار، وذلك على حد قول الآخر: (في الإعادة إفادة).

١٦ـ (كل صغير محبوب إلا صغير الحمير):

يُقال في تكريه ما ينبغي أن يحب.

١٧ـ (ما تلاقي الغُنج إلا عند الحمير العُرج):

يُضرب في الجمع بين شرّين.

١٨ـ (حَرْ لا يكفر):

مورده: هذا المثل سوري، وأصله أن صديقَيْن كانا مشتركين في التجارة، بائِعِيْن



متجولِيْن (دوَّاجين) بين القرى، وكان أحدهما مسيحياً والآخر مسلماً، وذات ليلة، وعند دخول وقت صلاة الفجر، والسكون يملأ المكان، ويصل الأرض بالسماء، انطلق صوت المؤذن لصلاة الفجر، فتخلل بحلاوته ورقّته خوالج الرجل المسيحي، وتسللت معه سَكينة الإيمان إلى قلبه، فأعلن لصديقه إسلامه، وازدادت عُرى الأخوّة بينهما ا ء ةً ووثوقاً، وبعد مرور فترةٍ من الزمن، مرَّا على قريةٍ أخرى، فإذا بالمؤذن يذكّر بسورة لقمان، فقال المسلم للحمار الذي كانا يحملان عليه بضاعتهما: (حَرْ لا يكفر)، يحثه على السير، حتى لا يؤدي هذا الأذان إلى خروج صاحبه من الإسلام، كما كان الأذان الطريّ الحنون سبباً في دخوله له.

وقصة هذا المثل تؤكد علينا أن نتخيَّر المؤذنِيْنَ من أصحاب الأصوات الحسنة المؤثرة، التي تبعث على الخشوع، ولا تكون عامل تنفير، وإذا كان ذلك مطلوباً في المؤذن، فإنَّ من باب أَوْلى أن يكون مطلوباً بشكلٍ أوكد في الإمام.

مضربه: يُضرب في الجذب والتنفير.

١٩ـ (ما قدر على الحمار، قدِرْ على البردعة):

يُضرب فيمن لم يستطع ترويض الصعب والحصول عليه، فيعمد إلى الأدنى والأقل شأناً، ويتحول إليه.

٢٠ـ (اربط الحمار محلّ ما يبغَى صاحبه):

يُقال في الحث على تنفيذ ما يريده صاحب العمل أو مالك الشيء، والحرص على أدائه وفق هواه، إما لأنه أدرى بما يصلح له، وإما لأنه في جميع الأحوال هو صاحب القرار.

٢١ـ (مربط بهيم وذيلُو لَبَـرَّه):

أشرنا إليه في المقدمة.



٢٢ـ (في النهار دابة، وفي الليل شابة):

يضرب في الذي يستثمر الأشياء في جميع أحوالها، ويستنزف ما فيها من ضرورة النفع.

٢٣ـ (وقف حمار الشيخ في العقبة):

كناية عن المرور بموقف حرج.

٢٤ـ (حالة الكرموص في العديله، والبهيّم نكّاس):

(الكرموص: التين. العديلة: العدْل، وهو الخُرج ونحوه، نكّاس: الحمار يخفض رأسه ويضرب برجليه الخلفيتين في الهواء، وينتج على ذلك تعجن التين وخرابه).

* * *



لفظُ الحمـار في القـرآنِ الكريم

وكغيره من مخلوقات الله، لا غرابة أن يرد اسمه في القرآن الكريم، للتعبير عنه أو به، وذلك في خمس آياتٍ مباركاتٍ هي:

١ـ قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] الذيين كُلفوا بالعمل بالتوراة هم اليهود، ولم يَحْملوها، أي: لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وفق ما جاء من وصفه في التوراة، فلما تركوا العمل بها، ولم يؤمنوا بمحمد، ضرب الله لهم مثلاً لعلهم يتّعظون. قال الخازن: وهذا مثلٌ ضربه الله تعالى لليهود الذين أعرضوا عن العمل بالتوارة وبالإيمان بمحمد ﷺ، شبّه اليهود حيث لم ينتفعوا بها في التوراة الدالة على وجوب الإيمان بمحمد ﷺ، بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها. وهذا المثل يلحق كل من لم يفهم معانيَ القرآن ولم يتدبره، ولم يعمل بما فيه، وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه، لذا كان ميمون بن مهران يقول: يا أهل القرآن، اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم!

هو تشبيهُ حالةٍ بحالة، وهو ما يعرف عند البلاغيين بتشبيه التمثيل أو المركّب. ويلاحَظُ أن الحمار اختِير هنا لغبائه وظهور بلادته.

وقد عقَّب القرآن على حال هؤلاء اليهود بما يدل على الذم والتشنيع عليهم، لأنهم يتعمدون إنكار ما حُمّلوه، وذلك قوله تعالى: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥] كما نلحظ أن الحمار هنا للحمل لا للركوب.



٢ـ قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قال العلّامةُ الجمَل(١): القرية هي بيت المقدس، والرجل هو عُزير، وكان مرّ بها راكباً حماره، ومعه سلة تين وقدح عصير، بعد أن خرّبها بختنصر، والعُروش: السقوف، وفي الاستفهام بأنّى اعترافٌ بالقصور عن معرفة طريق الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي، وتعجبٌ منها.

وأورد (الجمل) قصة عزير فقال: إن عزيراً كان من أهل هذه القرية التي هي القدس، من جملة من سباهم بختنصر، فلما خلص من السبي جاء، فرآها على تلك الحالة، وكان راكباً على حمار، فدخلها وطاف بها، فلم يرَ فيها أحداً، وكانت أشجارها مثقلةً بأثمارها، فأكل منها واعتصر لنفسه من العنب، وجعل فضل الفاكهة في سلة، وفضل العصير في زق، ثم ربط حماره بحبلٍ قويٍّ وثيق. وألقى اللهُ عليه النوم، ثم نزع منه الروح، وأمات حماره، وبقي عصيره وتينه عنده، فلما مضت مائة سنة أحيا الله أول ما أحيا منه عينيه، وأبقى سائر جسده ميتاً، ثم أحياه وهو ينظر، ثم نظر إلى حماره وعظامه متفرقةً متناثرةً .. إلى آخر القصة.

فالهدف من قصة الحمار وصاحبه هو التدليل على صحة قضية الخلق والبعث، في صورةٍ تمثيليةٍ واقعية، يصدق بها كل ذي قلبٍ وعقل، فليس الخبر كالمعاينة.

أما محاولة ربط بعض المفسرين موضوع الآية ببني إسرائيل، ففيه نظر! والعبرة على كل حال بالمضمون.

---

(١) في حاشيته على «تفسير الجلالين» (١: ٢١٢).



٣ـ قوله تعالى: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

كان أهـل الجاهليـة يتمدّحـون بـرفـع الصـوت، وذلك أمرٌ يتناسب مع بيئتهم الصحراوية الرعوية، وما نزال نلمسه في البيئات البدوية في كل مكانٍ في العالم، بينما أهل الحواضر يتهامسون.

وجـاء ذكر صـوت الحمـار هنا للتعبير عن رفع الصوت، وبيان نكارته مجسدةً في الحمار. قالوا: ولمَ علل النهي عن رفع الصوت بهذا ولم يعلل النهي عن سرعة المشي المسببة لذهاب الهيبة؟

الجواب:

١ـ أن رفع الصوت يؤذي السامع، ويقرع الصماخ بقوته، وربما يخرق الغشاء الذي في داخل الأذن، وأمّا سرعة المشي فلا تؤذي، وإن آذتْ فلا تؤذي غير من في الطريق، والصوت يبلغ من على اليمين وعلى اليسار.

٢ـ ولأن المشي يؤذي آلة المشي، والصوت يؤذي آلة السمع، وآلةُ السمع على باب القلب، فإن الكلام ينقل من السمع إلى القلب، ولا كذلك المشي.

٣ـ وأيضاً، فلأن قبيح القول أقبح من قبيح الفعل، وحسنَه أحسن، لأن اللسان ترجمان القلب.

ولمّا كان رفع الصوت فوق الحاجة منكراً، كما أن خفضه دونها: تماوتاً وتكبُّراً، وكان قد أشار إلى النهي عن هذا بـ (مِن)، فأفهم أن الطرفَيْن مذمومان، علّل النهي عن الأول بقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ﴾ أي: أفظع وأشنع وأوحش الأصوات برفعها فوق الحاجة: لَصوتُ الحمير، لما له من العلوِّ المفرط من غير حاجة، فإن كل حيوانٍ قد يُفهم من صوته أنه يصيح من ثقل أو تعب، كالبعير، أو لغير ذلك، والحمارُ لو مات تحت الحمل لا يصيح، ولو قُتل لا يصيح، وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق نهيقاً أوّله: زفير، وآخرُه: شهيق.



قال موسى بن أعين: سمعت سفيان الثوري يقول حول هذه الآية: صياح كل شيءٍ تسبيحٌ لله تعالى، إلا الحمار[١].

والحاصل أن المستبشع هو رفع الصوت بغير مصلحة، كما يفعل الحمار، أما إذا كان لمصلحة فذلك أمر حميد. والآية الشريفة قدمت فكرة الاعتدال في الأصوات عن طريق الاستبشاع لهذا المشهد الحماري المنكر، القائم على أساسٍ من التشبيه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةًۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨].

بدأت الآيات بالامتنان على خلقه بأنه خلقهم وسخر لهم مجموعةً من المخلوقات تخدمهم وتوفر لهم المأكل والمشرب والمسكن، كما وفر لهم الخيل والبغال والحمير، للركوب والزينة، فالحمير هنا من نعم الله على الإنسان الواجب شكرها، وهل حدود الانتفاع بالحيوانات الثلاثة المذكورة واحدة، وفي حدود ما ورد به التعليل في الآية وهو الركوب والتزين بها؟

قال في حاشية الجمل: ذهب مالكٌ وأبو حنيفة إلى حصر الانتفاع بهذه الحيوانات في الركوب والزينة، ولهذا حرَّما أكل لحوم الخيل، مشيرَيْنِ إلى أن الله حين أحلَّ أكل الأنعام قال: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، فهو حين خص هذه للأكل خص هذه الحيوانات بمهمة أخرى هي الركوب والزينة[٢].

وذهب جماعةٌ من أهل العلم ـ منهم الشافعي وأحمد ـ إلى إباحة لحوم الخيل بناءً على حديث أسماء بنت أبي بكر، قالت: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً ونحن بالمدينة فأكلناه، أخرجه الشيخان. وروى الشيخان أيضاً عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل.

---

(١) حاشية الجمل (٣: ٤٠٦).

(٢) المصدر السابق (٢: ٥٦٠).



وفي روايةٍ أخرى قال: أكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش، ونهى النبي ﷺ عن الحمار الأهلي.

وقال البغوي: ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم، بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه، وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته. قال: والدليل الصحيح في إباحة لحوم الخيل: أن السُّنة مبينةٌ للكتاب، ولما كان نص الآية يقتضي أن الخيل والبغال والحمير مخلوقةٌ للركوب والزينة، وكان الأكل مسكوتاً عنه، ووردت السنة بإباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير، أخذنا به جمعاً بين النصين.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدَّثر: ٤٩-٥١].

﴿مُعْرِضِينَ﴾: حالٌ من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾، وجملة ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ في محل نصب حال من الضمير المستكن في ﴿مُعْرِضِينَ﴾، فهي حالٌ متداخلة، والمعنى على المشابهة، أي: حال كونهم مشابِهِيْنَ للحمر.

و﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ قُرِئ في السبع بكسر الفاء وفتحها، فالأول بمعنى أنها نافرة، والثاني بمعنى نفّرها الأسد أو الصياد، إذ القسورة تطلق على الأسد وعلى الصيادين، وأصل القسورة من القسر بمعنى القهر، وواضحٌ أن المقصود هنا: الحمر الوحشية، وقد جيءَ بها وسيلةً للتشبيه.





لفظ الحمار في الحديث النبوي

أولاً: في صحيح البخاري:

* عن عبدِ الله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: أقبَلْتُ راكِباً على حمارٍ أتان وأنا يومَئذٍ قد ناهَزْتُ الاحتلام، ورسُولُ الله ﷺ يُصلِّي بمِنىً إلى غيرِ جِدار، فمرَرْتُ بين يدَيْ بعض الصَّف، وأرسلتُ الأتانَ ترتع، فدخَلْتُ في الصَّف، فلم يُنكرْ ذلك عليَّ أحد[١].

* عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «أما يَخْشَى أحَدُكم، أو: لا يَخْشَى أحدُكُم، إذا رفعَ رأْسَهُ قبلَ الإمامِ، أن يجعلَ الله رأسَهُ رأسَ حمار، أو يجعلَ الله صُورتَهُ صُورةَ حمار؟»[٢].

* عن أنسِ بنِ سِيرينَ قال: استقبَلْنا أنس بنَ مالكٍ رضي الله عنه حينَ قَدِمَ من الشأم، فلقيناهُ بعَيْنِ التَّمر، فرأيته يصلِّي على حمار ووجهُهُ من ذا الجانب، يعني عن يسار القبلة، فقلت: رأيتُكَ تُصلِّي لغيرِ القِبلة، فقال: لولا أنِّي رأيتُ رسُولَ الله ﷺ فَعَلَه، لم أفعلْهُ[٣].

* عن عبدِ العزيز بنِ صُهَيبٍ قال: خرَجْتُ إلى مِنىً يومَ التَّرْوِيَة، فلَقِيتُ أنساً

---

(١) صحيح البخاري، الحديث رقم ٧٤.

(٢) صحيح البخاري، الحديث رقم ٦٥٠.

(٣) صحيح البخاري، الحديث رقم ١٠٣٦.



رضيَ الله عنهُ ذاهباً على حمار، فقلت: أينَ صلَّى النَّبيُّ ﷺ هذا اليومَ الظهر؟ فقال: انظُرْ حيثُ يصلِّي أُمَراؤُك فصَلِّ[(١)].

* عن عبدِ الله بنِ أبي قتادة، قال: انطلقَ أبي عامَ الحُديبيَة فأحرَمَ أصحَابُهُ ولم يُحرِم، وحُدِّثَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ عدوّاً يغزُوه، فانطلَقَ النَّبيُّ ﷺ، فبينما أنا معَ أصحابه تَضَحَكَ بَعضُهم إلى بعض، فنظرت فإذا أنا بحمارِ وحش، فحملْتُ عليه، فطعنتُهُ، فأثْبَتُّهُ واستعنتُ بهم، فأبَوْا أن يُعينُوني، فأكلْنا من لَحمِه وخشِينا أن نُقْتَطَع، فطلبتُ النَّبِيَّ ﷺ أرْفَعُ فرسي شَأْواً وأسيرُ شأْواً، فلقِيتُ رجلاً مِن بني غِفَارٍ في جَوْفِ اللَّيْل، قلت: أينَ تركْتَ النَّبيَّ ﷺ؟ قال: تركتُهُ بِتَعْهَن، وهُو قائِلٌ السُّقْيَا، فقلت: يا رسُولَ الله، إنّ أهلَكَ يقرءُونَ عليكَ السَّلَامَ ورحمَةَ الله، إنَّهم قد خشُوا أن يُقتطعُوا دونَك فانتظِرْهم، قلت: يا رسُولَ الله، أصَبْتُ حمار وحْشٍ، وعندي مْنهُ فاضلة. فقال للقوم: كُلُوا وهم مُحْرِمون[(٢)].

* عن الزُّهري، قال: أخبرني عُبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ عُتبة: أنَّ عبدَ الله بنَ عبَّاس رضيَ الله عنهُما، أخبره: أنَّهُ سمعَ الصَّعبَ بنَ جَثَّامةَ اللَّيثيَّ، وكان مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ، يُخبرُ أنَّهُ أهدَى لرسولِ الله ﷺ حِمَارَ وحْشٍ وهُو بالأَبواءِ أو بوَدَّان وهُو محرِم فردَّه، قال صَعب: فلما عَرَف في وجهي ردَّه هديتي قال: «ليس بنا ردٌّ عليك، ولكنَّا حُرُم»[(٣)].

* عن معاذٍ رضيَ الله عنهُ قال: كنتُ رِدْفَ النبيِّ ﷺ على حِمَارٍ يقالُ لهُ: عُفَير. فقال: «يا معاذ، هل تدري حقَّ الله على عبادِه، وما حقُّ العبادِ على الله؟» قلت: اللهُ ورسُولُه أعلم. قال: «فإنَّ حقَّ الله على العباد: أن يعبُدوه ولا يُشركوا بِهِ شيئاً، وحقَّ العبادِ على الله أنْ لا يُعذِّبَ مَنْ لا يُشركُ به شيئاً»، فقلت: يا رسولَ الله، أفلا أُبَشِّرُ بِهِ الناس؟ قال: «لا تبشِّرهم فيتَّكِلُوا»[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري، الحديث رقم ١٥٤٤.

(٢) صحيح البخاري، الحديث رقم ١٦٩٢.

(٣) صحيح البخاري، الحديث رقم ٢٤٠٦.

(٤) صحيح البخاري، الحديث رقم ٢٦٤٤.



* عن أُسامةَ بنِ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُما، أنَّ رسُولَ الله ﷺ ركِبَ على حمار على إكَافٍ عليه قَطِيفة، وأردَفَ أُسامةَ وراءَه[1].

* عن أَبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ الله عنه، قال: لما نزَلَتْ بنُو قُريظةَ على حكم سعدٍ، هو ابن معاذ، بعَثَ رسُولُ الله ﷺ، وكان قريباً منه، فجاء على حمار، فلمَّا دنَا، قال رسُولُ الله ﷺ: «قوموا إلى سيِّدكم»، فجاء، فجلسَ إلى رسُولِ الله ﷺ فقال له: «إنَّ هؤلاءِ نزَلوا على حُكمِك». قال: فإنِّي أَحكُمُ أَنْ تُقتَلَ المُقاتلةُ، وأن تُسبَى الذُّرِّية. قال: «لقد حكَمتَ فيهم بحُكم الله»[2].

واكتَرى الحسنُ مِن عبدِ الله بنِ مِرداسٍ حماراً. فقال: بكَم؟ قال: بدانَقَين، فرَكِبَه، ثم جاء مرةً أخرى فقال: الحمارَ الحمار، فركبَه ولم يشارِطْه، فبعَثَ إليه بنصفِ درهم[3].

* عن البَراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما قال: بعَثَ رسُولُ الله ﷺ رهطاً من الأَنصارِ إلى أبي رافعٍ اليهودي ليقتلوه، فانطلق رجلٌ منهم، فدخَلَ حصنَهم، قال: فدخلتُ في مَربطِ دوابَّ لهم، قال: وأغلَقوا بابَ الحِصن، ثُم إنَّهم فقَدوا حماراً لهم فخرجوا يطلبونه، فخرجتُ فيمن خرج أُريهم أَنَّني أطلبه معهم، فوجدوا الحمار، فدخلوا ودخلت، وأغلقوا باب الحصن ليلاً، فوضعوا المفاتيحَ في كُوةٍ حيث أَراها، فلما ناموا أخذتُ المفاتيحَ ففتحتُ بابَ الحصن ثم دخلتُ عليه، فقلت: يا أَبا رافع، فأَجابني، فتعمَّدتُ الصوتَ فضربته فصاحَ فخرجت، ثم جئت ثم رجعت كأَنِّي مُغِيث فقلتُ: يا أَبا رافع! وغيَّرتُ صوتي، فقال: مالك لأُمِّك الويل، قلت: ما شأْنُك؟ قال: لا أدري من دخل علي فضربني، قال: فوضعتُ سيفي في بطنه ثم تحاملتُ عليه حتى قرعَ العظمَ، ثم

---

(١) صحيح البخاري، الحديث رقم ٢٧٦٥.

(٢) صحيح البخاري، الحديث رقم ٢٨١٦.

(٣) صحيح البخاري، الحديث رقم ٢٨١٦.



خرجتُ وأنا دهِش، فأتيتُ سُلَّماً لهم لأنزلَ منه، فوقعتُ فوُثِئَتْ رجلي، فخرجتُ إلى أَصحابي فقلت: ما أنا ببارحٍ حتى أسمعَ الناعيةَ، فما برحتُ حتى سمعتُ نَعَايا أبي رافعٍ تاجرِ أهلِ الحجاز، قال: فقمتُ وما بي قَلَبَةٌ حتى أتينا النبيَّ ﷺ فأخبَرْناه[1].

* عن عمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه أَنَّ رجلاً على عهدِ النبيِّ ﷺ كان اسمُه عبد الله، وكان يلقَّبُ حماراً، وكان يُضحكُ رسُولَ الله ﷺ، وكان النبيُّ ﷺ قد جلَدَه في الشراب، فأُتيَ به يوماً فأَمَرَ بهِ فجُلد، فقال رجلٌ من القوم: اللَّهمَّ العنْهُ، ما أكثرَ ما يُؤتَى به! فقال النبيُّ ﷺ: «لا تلعَنوه، فو الله ما علمتُ إِنَّه يحبُّ اللهَ ورسُولَه»[2].

* حدَّثنا أبو اليمان، أخبرنا شُعيبٌ، عن الزُّهريِّ قال: أخبرني عُروةُ بنُ الزبير، أنَّ أسامةَ بنَ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُما أخبرهُ، أن رسُولَ الله ﷺ ركِبَ على حمار على قَطِيفةٍ فدَكيَّةٍ، وأردَفَ أُسامةَ بنَ زيد وراءه يعودُ سعدَ بنَ عبادة ... إلى آخر الحديث[3].

ثانياً: في صحيح مسلم:

* عن أَنسِ بنِ مالك رضي الله عنه قال: قيل للنبيِّ ﷺ: لو أتيتَ عبدَ الله بن أُبيٍّ، قال: فانطلق إِليه وركب حماراً، وانطلق المسلمونَ، وهي أَرض سَبَخة، فلما أتاه النبيُّ ﷺ قال: إِليكَ عنِّي، فو الله لقد آذاني نَتْنُ حمارك، قال: فقال رجل من الأَنصار: والله لحمار رسُولِ الله ﷺ أَطيبُ ريحاً منك، قال: فغضِبَ لعبدِ الله رجل من قومه، قال: فغضب لكلِّ واحدٍ منهما أَصحابُهُ، قال: فكان بينَهم ضرْبٌ بالجَرِيدِ وبالأيدي وبالنِّعال، قال: فبلغَنَا أَنَّها نزلتْ فيهم ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩][4].

---

(١) صحيح البخاري، الحديث رقم ٢٧٩٩.

(٢) صحيح البخاري، الحديث رقم ٦٢٨٢.

(٣) صحيح البخاري، الحديث رقم ٤٢٠٠.

(٤) صحيح مسلم، الحديث رقم ٣٣٥٧.



* عن أُبَيِّ بنِ كعب رضي الله عنه، قال: كان رجلٌ من الأَنصار بيتُهُ أَقصى بيتٍ في المدينة، فكان لا تُخطئُهُ الصلاةُ معَ رسُولِ الله ﷺ، قال: فتوجَّعنا له، فقلت له: يا فلان، لو أنَّك اشتريتَ حماراً يقيك من الرمضاء ويقيك من هوامِّ الأرض، قال: أَمَ والله ما أُحبُّ أنَّ بيتي مُطنَّب ببيتِ محمدٍ ﷺ، قال: فحملتُ به حِملاً حتى أتيتُ نبيَّ الله ﷺ فأخبرته، قال: فدعاه، فقال له مثل ذلك، وذكر له أنَّه يرجو في أَثرِهِ الأَجر، فقال له النبيُّ ﷺ: «إنَّ لكَ ما احتسَبْت»[١].

* عن أنَسِ بنِ مالك رضي الله عنه، أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «أُتيتُ بالبُراق، وهُو دابَّةٌ أبيضُ طويل فوقَ الحمار ودونَ البغل، يضَعُ حافرَه عندَ منتهى طرفِه»[٢].

* عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: يا آدم، فيقول: لبَّيْكَ وسَعدَيْك» .. إلخ .. وفي آخرِ الحديث: «والذي نفسي بيده، إنِّي لأَطمعُ أن تكونوا ثلُثَ أَهلِ الجنة»، فحمِدنا اللهَ وكبَّرنا، ثم قال: «والذي نفسي بيده، إنِّي لأَطمعُ أن تكونوا شَطرَ أَهلِ الجنة، إنَّ مثلَكم في الأَمم كمثلِ الشَّعرة البيضاءِ في جلدِ الثورِ الأَسود أو كالرقْمةِ في ذراع الحمار»[٣].

* عن عَوْن بن أَبي جُحَيفة، عن أَبيه رضي الله عنه قال: أَتيتُ النبيَّ ﷺ بمكةَ وهُوَ بالأَبطح في قبةٍ له حمراء من أَدَم، قال: فخرج بلال بوضوئِه فمِن نائلٍ وناضح، قال: فخرج النبيُّ ﷺ عليه حُلة حمراءُ كأنِّي أنظرُ إلى بياض ساقيه، قال: فتوضأَ، وأَذَّن بلال، قال: فجعلتُ أتتبَّعُ فَاه ها هُنا وها هنا يقول يميناً وشمالاً، يقول: حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح، قال: ثم رُكزت لهُ عنزةٌ، فتقدَّم فصلَّى الظُّهر ركعتينِ يمر بين

---

(١) صحيح مسلم، الحديث رقم ١٠٦٦.

(٢) صحيح مسلم، الحديث رقم ٢٣٤.

(٣) صحيح مسلم، الحديث رقم ٣٢٧.



يديهِ الحمارُ والكلبُ لا يمنَعُ، ثم صلى العصر ركعتينِ، ثُم لم يزَلْ يصلِّي ركعتينِ حتى رجَعَ إلى المدينة.

قال شُعبة: وزاد فيه عونٌ عن أبيه أبي جُحيفة: وكان يمُرُّ مِن ورائها المرأةُ والحمار(١).

* عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رسُولَ الله ﷺ نهى عن أكل لحومِ الحُمُرِ الأَهليّة(٢).

* عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا سَمِعتُم صِياحَ الدِّيكة فاسأَلوا اللهَ من فضله، فإِنَّها رأَت ملَكاً، وإِذا سَمِعتم نهيقَ الحمار فتعوَّذوا بالله من الشَّيطان، فإِنَّها رأَت شيطاناً»(٣).

* عن أُسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنهما قال: قيل له: ألا تدخل على عثمانَ فتكلِّمَه؟ فقال: أَترَوْنَ أَنِّي لا أُكلِّمُهُ إِلَّا أُسمِعُكم؟ والله لقد كلَّمتُهُ فيما بيني وبينه ما دون أَن أَفْتتحَ أَمْراً لا أُحبُّ أَنْ أَكونَ أَوَّل من فتحه، ولا أقول لأحد يكونُ عليَّ أَميراً: إِنَّه خيرُ الناس، بعدما سمعتُ رسُولَ الله ﷺ يقول: «يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقَى في النار فتندَلِقُ أَقتابُ بطنه فيدور بها كما يدور الحمارُ بالرَّحى، فيجتمعُ إليه أَهْلُ النار فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأْمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمُرُ بالمعروف ولا آتيه، وأَنهى عن المنكرِ وآتيه»(٤).

* عن جابر رضي الله عنه، أَنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ عليه حمار قد وُسِم في وجهه، فقال: «لعنَ الله الذي وسَمَه»(٥).

---

(١) صحيح مسلم، الحديث رقم ٧٧٧.

(٢) صحيح مسلم، الحديث رقم ٣٥٨٣.

(٣) صحيح مسلم، الحديث رقم ٤٩٠٨.

(٤) صحيح مسلم، الحديث رقم ٥٣٠٥.

(٥) صحيح مسلم، الحديث رقم ٣٩٥٣.



ثالثاً: «جامع الترمذي»:

* عن أَبي قَتادة رضي الله عنه، أَنَّه كان معَ النبيِّ ﷺ، حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلَّف معَ أَصحابٍ له مُحرِمين وهُو غيرُ مُحرِم، فرأى حماراً وَحْشيّاً فاستوى على فرسِه، فسأَل أَصحابَه أَن يناولوهُ سَوْطَه فأَبَوا، فسأَلهم رُمحَه فأَبوا عليه، فأَخذه ثم شدَّ على الحمارِ فقتله، فأَكل منه بعضُ أصحاب النبيِّ ﷺ وأَبى بعضُهم، فأَدركوا النبيَّ ﷺ فسأَلوه عن ذلك فقال: «إِنَّما هي طُعمةٌ أطعمَكُموها الله»[1].

* عن ابنِ مسعود رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «كان على موسى يومَ كلَّمَه ربُّه كِساءُ صُوفٍ وجُبَّةُ صوف وكُمَّةُ صوف وسراويلُ صوف، وكانت نعلاهُ من جلدِ حمار ميت»[2].

رابعاً: صحيح ابن حِبّان:

* عن أَبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «إنّ اللهَ يُبغضُ كلَّ جَعْظريٍّ جَوّاظٍ سَخّابٍ بالأسواق، جِيفةٍ بالليل، حمارٍ بالنهار، عالمٍ بأمر الدنيا، جاهلٍ بأمر الآخرة»[3].

* قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: لقد جئتُ أنا وغلامٌ من بني عبدِ المطّلب مرتَدِفَيْنِ على حمار، ورسُولُ الله ﷺ يصلّي بالناس في أرضٍ خَلاء، فترَكْنا الحمارَ بين أيديهم، ثم جئنا حتى دخلنا بينَهم، فما بالَى بذلك[4].

---

(١) الجامع الكبير للترمذي، الحديث رقم ٧٧٦.

(٢) الجامع الكبير للترمذي، الحديث رقم ١٦٥٦.

(٣) صحيح ابن حبان، الحديث رقم ٧٢.

(٤) صحيح ابن حبان، الحديث رقم ٢٤٢٢.



* عن ابنِ عبّاس رضي الله عنهما، أنّ الصَّعْبَ بنَ جُثَامة أهدى لرسُولِ الله ﷺ عَجُزَ حمار وحشٍ بقَديدٍ وكان مُحرماً، فرَدَّهُ رسُولُ الله ﷺ[١].

خامساً: سُنَن الدارَقُطْني:

* عن أنسِ بنِ مالك رضي الله عنه، أنَّ رسُولَ الله ﷺ صلَّى بالناس، فمرَّ بينَ أيديهم حمار، فقال عيَّاشُ بنُ أَبي ربيعة: سبحانَ الله سبحانَ الله سبحانَ الله، فلما سلَّم رسُولُ الله ﷺ قال: «من المسبِّحُ آنفاً؟ سبحانَ الله وبحمدِه»، قال: أَنا يا رسُولَ الله، إِني سمعتُ أَنَّ الحمار يقطَعُ الصلاة، قال: «لا يقطعُ الصلاةَ شيءٌ»[٢].

* عن أَبي هُريرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا تقطعُ صلاةَ المرءِ امرأَةٌ ولا كلبٌ ولا حمار، وادرَأْ ما بين يديك ما استطعت»[٣].

* عن أَبي هريرةَ رضي الله عنه، يقول: جاء الأَسلميُّ نبيَّ الله ﷺ، فشهِدَ على نفسِه أَنَّه أَصابَ امرأَةً حراماً أربع مرات، وفيه قولُ الأسلميِّ للنبي ﷺ: أُريد أن تطهِّرني، فأَمرَ به النبيُّ ﷺ فرُجم، فسمع النبيُّ ﷺ رجلينِ من أَصحابه يقول أَحدُهما لصاحبه: انظرْ إِلى هذا الذي ستَرَ اللهُ عليه فلم تدعْه نفسُه حتى رجم رجمَ الكلب، فسكت النبيُّ ﷺ، ثم سار ساعةً حتى مرَّ بجيفةِ حمار شائل برِجله فقال: «أَين فلانٌ وفلان؟». قالا: نحن ذا يا رسُولَ الله، فقال: «انزِلا فكُلا من جيفةِ هذا الحمارِ سهماً»، فقالا: يا نبيَّ الله، غفرَ اللهُ لك، من يأْكل من هذا؟ قال: «فما نِلتُما مِن عِرض أَخيكما آنفاً أَشدُّ من أَكل الميتة. والذي نفسي بيده، إِنه الآنَ لفي أَنهارِ الجنةِ ينغمسُ فيها»[٤].

---

(١) صحيح ابن حبان، الحديث رقم ٤٠٤٦.

(٢) سنن الدارقطني، الحديث رقم ١٣٩٦.

(٣) سنن الدارقطني، الحديث رقم ١٤٠١.

(٤) سنن الدارقطني، الحديث رقم ٣٤٩١.



سادساً: سننُ البيهقيِّ الكبرى:

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جئتُ أنا وغلامٌ من بني هاشم أو بني عبد المطلب مرتدفَيْنِ على حمار ورسُولُ الله ﷺ يصلي بالناس في خلاء، فنزلنا عن الحمار وتركناه بين أيديهم فما بالاه، قال: وجاءت جاريتانِ من بني هاشمٍ تشتدان ورسول الله ﷺ يصلي بالناس، فاقتتلتا فأخذهما، فنزع إحداهما من الأخرى فما بالاه(١).

* عن أبي المليح الهذلي: أنه كتب إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود يسأله عن المحرم يصيب حمار وحشٍ أو نعامةً أو بيضَ نعامة، وعن الجرادة يصيبها المحرم، فكتب إليه: أما المحرم يصيب حمار وحشٍ ففيه بدنة، وفي النعامة بدنة، وفي بيض النعامة صيامُ يومٍ أو إطعامُ مسكين(٢).

* عن عبد الله بن بُريدة قال: سمعت أبا بريدة يقول: بينما رسُولُ الله ﷺ يمشي، إذ جاءه رجلٌ معه حمار، فقال: يا رسول الله، اركب وأتأخر، فقال رسول الله ﷺ: «لا، أنت أحق بصدر دابتك مني، ترى أن تجعله لي؟» قال: فإني قد جعلتُه لك(٣).

* جاء في حديث الرجم: (فخرج عبد الله بن أنيسٍ من باديته، فرماه بوظيف حمار فصرعه، ورماه الناس حتى قتلوه، فذكر للنبي ﷺ فراره، فقال: «هلَّا تركتموه؟ فلعله يتوب»)(٤).

* عن عليٍ رضي الله عنه قال: إنكم سألتموني عن الرجل يقول للرجل: يا كافر، يا فاسق، يا حمار. وليس فيه حدّ؛ وإنما فيه عقوبةٌ من السلطان، فلا تعودوا فتقولوا(٥).

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٢: ٢٧٧).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٥: ١٨٢).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٥: ٢٨٥).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (٨: ٢١٩).

(٥) السنن الكبرى للبيهقي (٨: ٢٥٣).



سابعاً: مجمع الزوائد للحافظ الهَيْثَمي:

* عن عبد الله بن عَمْرِو بن العاص رضي الله عنهما قال: بينما نحن معَ رسُولِ الله ﷺ بأعلى الوادي نريد أن نصلِّي قد قام وقمنا، إذ خرج علينا حمار من شِعب أبي دب، شعب أبي موسى، فأمسك النبيُّ ﷺ فلم يكبِّر، وأجرى إليه يعقوبُ بنُ زَمْعة حتى رَدَّه[١].

* وعن شقرانَ رضي الله عنه مولى رسُولِ الله ﷺ قال: رأيت بعينيَّ النبيَّ ﷺ متوجِّهاً إلى خيبر على حمار يصلِّي عليه[٢].

* وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «إنّ كلَّ جاريةٍ بها حَبَلٌ حرامٌ على صاحبها حتى تضع ما في بطنها، وإن كلَّ حمار يُعتَمَلُ عليه حرامٌ لحمُه، وإنَّ الثوم حرام»[٣].

* وعن علي رضي الله عنه قال: كنتُ قاعداً عند النبيِّ ﷺ عند البقيع، يعني: بقيع الغرقد، في يوم مطر، فمرَّت امرأةٌ على حمار ومعها مكار، فمرَّت في وهدةٍ من الأرض فسقطت، فأعرض عنها بوجهه، فقالوا: يا رسُول الله، إنها متَسرولِة، فقال: «اللهمَّ اغفِرْ للمتسَرولِاتِ من أمتي»[٤].

* وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: كان لرسول الله ﷺ سيفٌ قائمتُه من فضةٍ وقبيعتُه من فضة، وكان يسمَّى ذا الفقار ... ثم قال: وكانت له ناقةٌ تسمى القصواء، وكان له حمار يسمى يعفور[٥].

---

(١) مجمع الزوائد (٢: ٦٠).

(٢) مجمع الزوائد (٢: ١٦٢).

(٣) مجمع الزوائد (٥: ٤٦).

(٤) مجمع الزوائد (٥: ١٢٢).

(٥) مجمع الزوائد (٥: ٢٧٢).



* عن عبدِ الله بن عامرِ بن ربيعة، عن أُمه ليلى قالت: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشدِّ الناس علينا في إسلامنا، فلما تهيّأنا للخروج إلى أرض الحبشة، أتى عمرُ بن الخطاب وأنا على بعيري، وأنا أريد أن أتوجَّه، فقال: أين يا أمَّ عبد الله؟ فقلت: آذَيتُمونا في ديننا، فنذهب في أرض الله حيث لا نُؤذَى، فقال: صَحِبَكم الله. ثم ذهب، فجاء زوجي عامرُ بن ربيعة فأخبرته بما رأيتُ من رِقّة عمر، فقال: تَرجينَ أن يسلم؛ والله لا يُسلم حتى يسلم حمار الخطاب[١].

* جزءٌ من حديث غزوة الخندق: ... وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ، فأتى به على حمارٍ عليه إكافٌ من ليفٍ قد حُمِل عليه، وجفَّ به قومه ...[٢].

* وعن محمد بن سيرين، قال: لقي البراءُ بنُ مالكٍ يومَ مُسَيلِمةَ رجلاً يقال له: حمار اليمامة، والرجل طوال، في يده سيفٌ أبيض، قال: وكان البراءُ رجلاً قصيراً، فضرب البراء رِجليه بالسيف فكأنما أخطأه، فوقع على قفاه، قال: فأخذت سيفه، فأغمدت سيفي فيما ضربت به إلا ضربةً واحدةً حتى انقطع، فألقيته وأخذت سيفي[٣].

وعن ابن شهابٍ في تسمية من استُشهد يوم اليمامة من المسلمين الأنصار ثم من بني ساعدة: أسيد بن يربوع، ومن الأنصار ثم من بني ساعدة: سعد بن حمار، حليفٌ لهم[٤].

* وعن أبي تميمةَ الهجيميَّ قال: بينما أنا على حمار لي، فلقيتُ رسولَ الله ﷺ، فتأخرت على عَجُزِ الحمار، فقلت: بأبي وأمي يا رسُولَ الله اركب، قال: «أنت أحقُّ بصدر حمارك». قلت: يا رسول الله، الحمار لك. فركب رسول الله ﷺ على مقدمه، وركبت أنا على عجزه[٥].

---

(١) مجمع الزوائد (٦: ٢٤).

(٢) مجمع الزوائد (٦: ١٣٧).

(٣) مجمع الزوائد (٦: ٢٢٣).

(٤) مجمع الزوائد (٦: ٢٢٢٤).

(٥) مجمع الزوائد (٨: ١٠٨).



* وعن شهاب بن عباد، أنه سمع بعض وفد عبدِ القَيْس وهم يقولون: قَدِمنا على رسول الله ﷺ فاشتد فرحهم بنا، فلما انتهينا إلى القوم، أوسعوا لنا فقعدنا، فرحَّب بنا النبي ﷺ ودعا لنا، ثم نظر إلينا فقال: «من سيِّدُكم وزعيمُكم؟» فأشرنا جميعاً إلى المنذر بن عائذ، فقال النبي ﷺ: «أهذا الأشجّ؟» فكان أولَ يومٍ وُضِع عليه هذا الاسم لضربةٍ بحافرِ حمار .. إلخ الحديث[١].

* وعن عُبيدِ الله بن زيادٍ الحضرميِّ قال: لقي مالكُ بن دينارٍ سالمَ بنَ عبدِ الله بن عمرَ بن الخطاب وهو راكبٌ على حمار ساقطةٍ أذناه، رثَّ السرج والثياب، فقال له سالم: ممنِ الرجل؟ فقال له: منكَ وإليك ومن بعض مواليك. فقال: حدَّثني أبي عن رسُولِ الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يَخذُلُه ولا يخونُه»[٢].

* عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً من بني عبس يُقال له: خالدُ بن سنان، قال لقومه: أنا أطفيءُ عنكم نار الحرَّتَيْن. فقال له عُمارةُ بن زياد، رجلٌ من قومه: والله ما قلت لنا يا خالدُ قطُّ إلا حقاً، فما شأنك وشأنُ نار الحرَّتَيْن، تزعم أنك تطفئها؟ قال: فانطلق معه عمارةُ بن زياد في ناسٍ من قومه حتى أتَوْها وهي تخرج من شِقِّ جبلٍ في حرةٍ يُقال لها: حرة أشجع، فخطَّ لهم خالد خطةً فأجلسهم فيها وقال: إن أبطأت عنكم فلا تدْعوني باسمي، فخرجَتْ كأنها خيلٌ شُقرٌ يتبع بعضها بعضاً، فاستقبلها خالد يضربها بعصاه ويقول: بدا بدا كل مها مردا زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى، حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم، قال: فقال عمارة بن زياد: والله لو كان صاحبكم حياً لقد خرج إليكم بعد، فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوَه باسمه، قال: فادعوه باسمه، فخرج إليهم آخذاً برأسه، قال: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي؟ فقد والله

---

(١) مجمع الزوائد (٨: ١٧٧).

(٢) مجمع الزوائد (٨: ١٨٥).



قتلتموني، فادفنوني، فإذا مرت بكم الحُمُرُ فيها حمار أبترُ فانبشوني، فإنكم ستجدوني حياً، قال: فمرت بهم الحمر فيها حمارٌ أبتر، فقال: انبشوه، فإنه أمرنا أن ننبشه، فقال عمارة بن زياد: لا تحدِّث مُضرُ عنا أنا ننبش موتانا، والله لا تنبشوه أبداً ... إلخ الخبر(١).

* وعن زيد بن أرقمَ رضي الله عنه قال: بعثني رسُولُ الله ﷺ فقال: «انطلق حتى تأتي أبا بكر فتجده في بيته جالساً محتبياً، فقل له: إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: أبشر بالجنة»، ثم انطلق حتى تأتي الثنية، فتلقى عمر فيها على حمار تلوح صلعته فقل له: إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: أبشر بالجنة» .. إلخ الحديث(٢).

* عن أبي تميمةَ الهجيمي، عمَّن كان رِدْفَ رسُولِ الله ﷺ قال: كنت رِدفَه على حمار، فعثر الحمار فقلت: تعِسَ الشيطان، فقال النبي ﷺ: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان تعاظَمَ في نفسه وقال: صرعتُهُ بقوتي، وإذا قلت: بسم الله، تصاغرَتْ إليه نفسُه حتى يكونَ أصغر من ذباب»(٣).

* * *

---

(١) مجمع الزوائد (٨: ٢١٣)، باب ما جاء في خالد بن سنانٍ.

(٢) مجمع الزوائد (٩: ٥٥).

(٣) مجمع الزوائد (١٠: ١٣١).



مقاطعُ قصيـرةٌ في الحميـر

قال أبو حُزابة الوليد بن حنيفة يمدح طلحة الطلحات:

يا طلحَ يأبى مجدُك الإخلافا والبخـلُ يعـترف اعـترافـا
إن لنـا أحـمـرةً عجـافــا يأكلـن كـل ليلـة إكــافــا

(الأحمرة: جمع حمار. والعجاف: الهزيلة، جمع عجفاء على غير قياس. والإكاف: البردعة، أُطلِق على العلف للمجاورة، من باب المجاز المرسل، لأنه يُحمل عليه).

وفي استعارة التَّوْلب للصبي قال أحد الشعراء:

وذات هِدْم عارٍ نَواشِرُها تُصمتُ بالماء تَوْلباً جَدَعا

وقال شاعرٌ عربيٌّ عن محمد شهاب الدين:

من كـان ذا لـومِ مسيء الطبعِ فلـن يحيـد عن قبيـح الصُّنْـعِ
ما انفكَّ يوماً عقرب عن لسعِ ما لم تذقه النعلُ طعم الصفـعِ
والخير لا يرجى منَ الأشرارِ
أتـرتـجي نصيحـة مـن فــظٍّ يبـدو غليـظُ طبعـه في اللفــظِ
ليـس لـــه في آدمِ مــن حــظٍّ بل طولُ أذْنيه لدى ذي اللحظِ
نشهد أنه قد جاء من حمارِ



وفي اللسان (مادة صَحَم):

الأصحم: الأسود المخالط بغيره، وأنشد يصف حماراً:

كـأني ورَحْـلي إذا زُعتُهـا	على جَمَزى: جازئٌ بالرمالْ
أو اصحمَ حامِ جـرا ميـزَه	حـزابِيَةٍ حيَدَى بالـرحـالْ

قال ابن بري: أو أصحم، في موضع خفض معطوفٍ على ما تقدم.

قال الأصمعي: لم أسمع فعَلَى (يعني جَمَزى) في مذكرٍ إلا في هذا الحرف فقط.

قال ابن بري: وقد جاء في حرفين آخرين، وهما: حيَدَى المذكور، ودَلَظَى: للشديد الدفع.

مخ الحمار: تحت هذا العنوان كتب الأديب السعودي محمد صادق ذياب، في مجلة (الجديدة) ٢٥/ ١/ ١٤٢٣هـ ما يلي:

يظل الحمار دائماً في قفص الاتهام، رغم أنه كائنٌ وديعٌ ومسالمٌ وحمّالُ أسِيّة، ولم تنفع محاولات إعادة اعتباره من قبل بعض الكُتّاب، أمثال: توفيق الحكيم وحمزة شحاتة، وغيرهما، فقد ظل اسم الحمار يتكرر في شوارعنا العربية، رغم أنها توشك أن تكون خاليةً من الحمير، إذ لا يزال اسم الحمار سُبَّةً تستوجب أن تسيل على إثرها الدماء، وتحتدم المعارك.

ومع أن الحمارة زوجة الحمار، تمتلك عيوناً واسعة مكحّلةً يُضرب بجمالها المثل في بعض المجتمعات، إلا أن إحدى الأديبات الخليجيات، جعلت منها قضيةَ كرامة، حينما وصف عيونَها أحدُ المثقفين العرب بأنها جميلة، وتشبه عيون الجحشة، واضطر جمعٌ من الكتاب والمفكرين أن يفتشوا ليلتها في دروب عُكاظ، المدينة العتيقة بحثاً عن جحشة، ليتأكدوا من براءة وحسن نية ذلك الـمُغازل الغبي.



لكن أهمية الحمير جاءت هذه المرة على يد مشعوذٍ في الكويت ـ كما ذكرت وكالات الأنباء ـ ببيع مخ الحمير للنساء، ويدَّعي أن لها أسرارَها (اليانعة) في ترويض الرجال، ورغم إلقاء القبض على ذلك المشعوذ، إلا أنه من المؤكد أن كل الرجال الآن يبحثون في ذاكراتهم عن المرة الأخيرة التي قدمت لهم زوجاتهم طبقاً شهياً من المخ صنعة وجبة الغذاء، وبالنسبة لي فأنا لا أتذكر المرة الأخيرة التي أكلت فيها مخاً، ولكنني أشعر أنَّ ثمَّةَ تغيراتٍ قد طرأت على سلوكي، فقد تحولتُ إلى كائنٍ مطيعٍ يعود إلى بيته مبكراً كما يعود كل الأزواج الطيبين.

قال الشاعر:

إذا نهق الحمار وقال شعْراً ‏ ‏ ‏ ‏ فسمِّ الشعر حينئذٍ شعيرا

وقال أحدهم وهو في لحظات ضيقٍ بالحمر البشرية:

وكل ذنبي أنني

آمنت بالشعر

وما آمنت بالشعير

في زمن الحمير ..!!

* ومن أشهر الحمير في تاريخ النجف: حمارة المُلَّا وحيدة، وهي امرأةٌ شاعرةٌ عدادة، وكانت ـ لكثرة مجالسها ـ قد اضطرت لاتخاذ حمارةٍ تحملها إلى تلك المجالس، وكان يقوم على خدمة الحمارة عبدٌ مملوك، كان يمسك رسن الحمارة في انتظار سيدته حتى تخرج من مجالس العزاء.

* وذكر الجبرتي في «تاريخه»: أن العسكر العثماني بالقاهرة، باشروا في سنة ١٢١٧هـ بخطف حمير الناس من أولاد البلد (مثل ما يفعله الآن بعض الناس من خطف السيارات)،



فأخفى الناس حميرهم، فكان بعضُ أولئكَ العسكر يُنصتُ بأُذُنه على أبواب الدور، ويصيح: (زر) ويكررها، فينهق الحمار فيؤخذ[١].

* ولا ننسى أن الحزب الديموقراطي الأمريكاني، جعل شعاره: الحمار.

كما أن الحزب الجمهوري الأمريكي هو: الفيل.

* ومن كتاب «جمهرة الأمثال» قال الشاعر[٢]:

فإنـك والفخـار بأم عمـرو كمن بـاهى بثـوبٍ مستعارِ

كذات الحَدْج تبتهج ان تراه وتـمشي أو تسير على حمـارِ

* وقال الفرزدق يشبِّه ناقته بحمار الوحش، ثم يسترسل في وصف الحمار، بما يؤكد قوته ونشاطه، لينقل كل تلك الصفات إلى ناقته، فيقول[٣]:

صيـداءَ شـاميـةٍ حـرفٍ كمُشْتَـرِفٍ إلى الشِّخاص من النَّضغان محجومِ

(الصيداء: الرافعة رأسها كبراً. الحرف: الناقة الضامرة، أو العظيمة. المشترف: الفرس المشرف الخَلْق. النضغان: الضغن. المحجوم: من حجم البعير، أي: جعل على فمه حجاماً، وذلك إذا هاج، خوفاً من أن يعضَّ أحداً).

أو أخـدَريٍّ فـلاة ظـل مرتبئـاً على صريمـة أمرٍ غيـر مقسـومِ

جون يؤجـل عانـات ويجمعها حول الخدادة أمثال الأنـاعيـمِ

رعى بها أشهراً يقرو الخلاء بها معانقاً للهوادي غير كمظلـومِ

---

(١) عجائب الآثار للجبرتي (٣: ١٥٥).

(٢) جمهرة الأمثال (٢: ١٠١).

(٣) المصدر السابق (٢: ١٣٨).



* وقال يهجو أبا عبيدة بن محمد بن عمار ياسر، حين استشفعه في حاجةٍ له عند عمر بن عبد العزيز قبل خلافته، فأبى أبوعبيدة أن يشفع له، وأراد الله أن تُقضى حاجته دون شفاعة:

أمر الأمير بحاجتي وقضائها ... وأبو عبيدة عندنا مذمومُ
مثل الحمار، إذا شددت بسرجه ... والى الضراط، وعضه الإبزيمُ
أبت الموالي أن تكون صميمة ... ونفتك عن أحسابها مخزومُ

* وقال يهجو رجلاً من بلعنبر[1]:

تمنى هجائي العنبري وخلتني ... شديداً شكيمي، عُرضة للمراجمِ
طراز بلادٍ عن عريج بن جندب ... وعن حيٍّ جُنجود حمار القصائمِ

(القصائم: جمع قصيمة، وهي الرملة تنبت الغضا).

* وقال يهجو قيسا وجريراً:

فلا وأبيك الكلب، إني لعالمٌ ... بهم فهم الأدنون يوم التزاحمِ
فقرِّب إلى أشياخنا إذ دعوتَهمْ ... أباك ودعدع بالجِداء التمائمِ
فلو كنتَ منهم لم تعبْ مدحتي لهم ... ولكن حمار وشيُهُ بالقوائمِ

(الدعدعة: الجري في بطء والتواء).

* ومر حمارٌ ينهق، فزاحم الفرزدق، فقال[2]:

ولولا أن تغار بنو كليب ... لأشركنا غدانة في الأتانِ

---

(١) جمهرة الأمثال (٢: ٢٩٩).

(٢) ديوان الفرزدق (٢: ٣٣٤).



ولا ينفكُّ ينهق في طريق		كليبـي عليـه مـزادتـانِ

وقال يهجو بني كليب قوم جرير[١]:

ألا إن اللئـام بنـو كليـبٍ		شرار الناس من حضر وبادِ
بأرباق الحمير مقـوّدوهـا		وما يدرون ما قـود الجيـاد

(الأرباق: جمع رَبْق، وهو العروة في الحبل).

وقال في جو النقائض يبادر جريراً أيضاً، مفاخراً وحاطّاً من شأن جريرٍ وقومه[٢]:

أُولاكَ وعير أمـك لـو تـراهـم		بعينك ما استطعت لهم خطابا
رأيـت مهـابـة وأسـود غـاب		وتـاج الملـك يلتهـب التهـابـا
أتطلب يـا حـمـار بنـي كليـب		بعـانتـك اللهـاميـم الـرغـابـا
وطاح ابن المراغة حيـن مـدت		أعنتنـا إلى الحسـب النسـابـا

(العير: الحمار، ولعله هنا أراد بها والد جرير. العانة: القطيع من حمر الوحش. اللهاميم: جمع لهميم، وهو السيد العظيم. الرغاب: جمع رغبيب، وهو الواسع الخطو، أو الواسع الجوف).

* وقال في إحدى مناقضاته[٣]:

حمارٌ لهم من بنات الكداد		يُدَهمج بالـوطب والمزودِ
فهذا سبابي لكم فاصبروا		على الناخرات، ولم أعتـدِ

---

(١) ديوان الفرزدق (١ : ١٤٢).

(٢) المصدر السابق (١ : ١١٠).

(٣) المصدر السابق (١ : ١٧٥).



(الكداد: فحل الحمير. يدهمج: يمشي كأنه مقيد. الناخرات: المصيبات)

* وقال يهجو الكلبيين أيضاً بأنهم أهل حمير، لا أصحابُ خيولٍ وحروب[١]:

أعد نظراً يا عبد قيسٍ لعلَّما أضاءت لك النار الحمار المقيدا

حمار كليبيين لم يشهدوا به رهاناً ولم يلفوا عن الخيل رودا

لئن عبت نارين المراعة إنها لَأَلْأَمُ نار مصطلين وموقدا

إذا أثقبوها بالكُدادة لم تُضئ رئيساً ولا عن المنيخينَ مَرفدا

(عبد قيس: رجل من عديّ. روّد: جمع رائد، وهو من يرتادُ الكلأ والماء. أثقبوها: أوقدوها، ومنها الثقاب. الكدادة: تغل القدر من سمنٍ ومرق، ونحوهما).

* وقال ضمن علاقته بيزيد بن المهلب بعدد تصالحه معهم[٢]:

سآبى وتأبى لي تميم وربّما أبيتُ فلم يقدر عليّ أميرُ

كأني ورحْلي والمنَاقُّ ترتمي بنا، بجُنوب الشيِّطَينِ: حميرُ

(ترتمي بنا: تسير بنا. والشَّيِّطانِ: واديان لبني دوم في ديار بني تميم).

* وقال يهجو رجلاً اسمه أُسيِّد[٣]:

سعَاها اللهُ بالأشراط حتى تَحَنَّى نَبْتُ عَاريةٍ وسارِي

ولو بعنا أسيِّدَ لم تزدنا أسيِّدُ قُتَّتَينِ على حمارِ

---

(١) ديوان الفرزدق (١: ١٨٠).

(٢) المصدر السابق (١: ١٩٩).

(٣) المصدر السابق (١: ٣١٢).

* وفي سفالة بعض قبائل قيس عيلان عن بعض قال[١]:

رفعتُ سناني من هوازنَ إذ دنتْ ... وأسلمَها من كل رامٍ محاشرُهْ
لقد علمتْ عيلانُ أن الذي رَسَتْ ... لئيمٌ وأن العَيْر قد فُلَّ حافرُهْ

(المحاشر: السهام المبرية).

* وقال مخاطباً أحدهم، ولم يعينوه[٢]:

يا ابن الحمارة للحمار وإنما ... تلد الحمارةُ والحمارُ حمارا
ولو أنّ ألأمَ من مشى يكسَى إذاً ... ثوباً لرحتَ وقد كُسيتَ إزارا

* وقال يردُّ على جرير ويناقضه في إحدى مطوّلاته[٣]:

رأيتُ ابن المراغة حين ذكّى ... تحوَّلَ ـ غيرَ لحيته ـ حمارا

(ذكّى: أسنَّ. تحوّل ... إلخ، أي: صار حماراً ولكن له لحية. بخلاف الحمار المعروف).

إلاَّ أنه يقول في آخرها:

هجوتُ صغارَ يربوعٍ بيوتاً ... وأعظمَهمْ من المخزاةِ عارا
فإنك والرهانَ على كليبٍ ... لكالمُجْري مع الفرس الحمارا

---

(١) ديوان الفرزدق (١: ٣٢٢).

(٢) المصدر السابق (١: ٣٥٢).

(٣) المصدر السابق (١: ٣٥٧).



* ويقول في هجائه أيضاً من قصيدةٍ أخرى[1]:

يا ابن المراغة إنما جاريتني ... بمُسبَّقين لدى الفَعال قصارِ

يا ابن المراغة كيف تطلب دارماً ... وأبوك بين حمارة وحمارِ

وإذ الكلاب بني المراغة رَبَّضتْ ... خطرتْ ورائي دارمي وجِمَاري

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكمُ ... وأوابدي، بتنحُّل الأشعارِ

هلاّ غداةَ حبَستُمُ أعياركمْ ... بجَدُودَ والخيْلانِ في إعصارِ

(دارم وجمار: قبيلتان من تميم قوم الفرزدق. الأوابد: أراد بها هنا قصائده. التنحل: السرقة. جدود والخيلان: موضعان).

ثم يقول:

فاسأل هوازن إن عند سَراتهم ... علماً ومجتمعاً من الأخبارِ

فلتخبرنّكَ أن عـزّةَ دارم ... سبقتْك يا ابن مسوِّق الأعيارِ

* ويقول في إحدى نقائضه مع جرير أيضاً[2]:

يا ابن المراغة أنت ألأمُ من مشى ... وأذلُّ مَنْ لبَنانِهِ أظفارُ

إن المراغة مرّغت يربوعَها ... في اللؤم حيث تجاهدَ المضمارُ

ثم يقول:

أبكى الإلهُ على بليّةَ من بكى ... جدثاً ينوح على صداه حمارُ

(١) ديوان الفرزدق (١ : ٣٥٨).

(٢) المصدر السابق (١ : ٣٧٢).



كانت منافقةُ الحياةِ، وموتُها   خزي علانيةُ عليك وعارُ
فلئن بكيتَ على الأثان، لقد بكى   جزعا، غداةَ فراقها الأعيارُ

(بليّة: المراد نصف بلية، وهو الموضع الذي دُفِنت فيه زوجة جرير، واسمها خالدة. والتي رثاها جرير).

* وقال في رثاء الشاعر الأخطل[1]:

زار القبور أبو مالكٍ   برغم العُداة وأوتارِها
وأوصى الفرزدق عند المما   تِ بأم جريرٍ وأعيارِها

* وقال داعياً ضد السَّمَيْدَعُ الزهراني الذي رفضته شيوخ بني تميم أيضاً[2]:

فدى لرؤوسي من تميمٍ تتابعوا   إلى الشام، لم يرضَوْا بحكم السميْدعِ
أحكْمُ حروريّ، من الدين مارقٍ   أضلُّ وأغوَى من حمارٍ مجدَّعِ

* وقال يهجو بني منقر[3]:

تنابلةٌ سودُ الوجوه كأنهمْ   حميرُ بني غيلان إذ ثار صِيقُها

(تنابلة: مفردها تنبل، وهو القصير القامة. والصِّيق: الغبار).

* وقال في محمد بن منظور الأسدي البصري[4]:

أتته مالكُ وكُماة عمرو   على القُبِّ المسوّمة العتاقِ

---

(١) ديوان الفرزدق (١ : ٣٨٢).

(٢) المصدر السابق (١ : ٤٠٩).

(٣) المصدر السابق (٢ : ٣٥).

(٤) المصدر السابق (٢ : ٤٧).

بضربٍ تَندُر القَصَراتُ فيه وطعنٍ مثل أفـواه النِّهـاقِ

(تندر: تسقط. القصَرات: الأعناق. أفواه النهاق: أفواه الحمير، أي: أن جراح طعنهم واسعةٌ كأفواه الحمير).

* وفي جرير وحماره يقول(١):

رأيت جريراً لم يضَع عن حماره عليه من الثّقْل الذي هو حاملُهْ

أَتى الشامَ يرجو أن يبيع حمـارَهُ وفارسَـهُ إذ لم يجد من يبـادلُـهْ

وجاء بعِذْليْه اللـذين هـمـا لـه من اللؤم كانت أورثتـه أوائلُـهْ

* وفي لاميَّته الشهيرة يقولُ مناقضاً جريراً:

هلاّ سألتَ بني غُدانـة مـا رأوا حيث الأثان إلى عمودك تُرحلُ

كسرتْ ثنيتك الأتـانُ فشـاهـدٌ منهـا بفِيـكَ مـبيَّـنٌ مستَقبَـلُ

وقال في لاميّـةٍ أخرى ينال من جريرٍ وقومه:

لا يُنعتُـون فيستثيبـوا نعمـةً لهـمُ، ولا يَجزُونَ بالإفضـالِ

يتراهنون على جياد حـميرهـم من غاية الغَدَوان والصَّلصـالِ

وكأنما مسحوا بوجه حمارهـم ذي الرَّقْمتين جبين ذي العُقّالِ

* وممّا قاله أيضاً في الحمير:

حسبتُ أبا قيـسٍ حـمـار شريعـةٍ قعدت له والصبح قد لاحَ حاجبُهْ

* * *

---

(١) ديوان الفرزدق (٢: ١٠٨).

ألا كـلُّ بيـتٍ بـأهلـي إمـامـه ... حمارٌ وعدلا نحي سمن ونايبِ

* * *

أُحكم حروريٍّ من الدين مارقٌ ... أضـل وأغـوى من حـمارٍ مجدعِ

* * *

ولكنهم يلهدون الحميـر ... ردافى على الظهر والقرددِ

* * *

تبع الحمار مكلماً فأصابه ... بنهيقـه من خلفه بنكالِ

* * *

فقلت له رد الحمـار فإنـه ... أبوكَ لئيمٌ رأسه وجحافلُهْ

* * *

يستيقظون إلى نهاق حمارهم ... وتنام أعينهـم عن الأوتـارِ

* * *

بني جارم كفوا عنان حـماركم ... ولا تبعثوه في الضلال المضللِ

* نظر أبو نواسٍ إلى الحمار الوحشي، فرآه صلباً، فظّاً سريعاً، فقال من قصيدةٍ له[١]:

وأخدريٍّ صلب النواحـق صلـ ... صال، أمين الفصوص والوظفِ

منفـــردٌ في الفــلاة تـوسِعُـــهُ ... ريَّـا ومـا يـختليـه مـن علـفِ

مـا تـرك المـوت بعــده شبحـــاً ... بـادٍ بمثـل الغـلال والشعـــفِ

* وقال أيضاً[٢]:

---

(١) الديوان (ص٥٧٥).

(٢) المصدر السابق (ص١٥٣).

ومكدم يزجي نمائص كالقنا | أهدى لها لهب الهجير فحولا
بزرود أو بمتالع أو ملهم | يسقي مزارع بينها ونخيلا
وقد استعد لوردها ذو فترة | متبوئا نحو الشرائع جولا
في لكنةٍ صفراءَ تحسب رزها | أوثان أنواح بكين فتيلا

* قالوا: وكان لبشار بن برد حمارٌ يزعم أنه يقول الشعر، وأنه بعد موته رآه في منامه، وروى عنه أبياتاً غزليةً في أتانٍ أبصرها في طريقه عند باب الأصبهاني، وهي(١):

سيدي مل بعناني | نحو باب الأصبهاني
إنَّ بالباب أتاناً | فضلت كل أتانِ
تيَّمتني يوم رحنا | بثناياها الحسانِ
وبغنج ودلال | سل جسمي وبراني
ولها خدٌّ أسيل | مثل خد الشيقرانِ
فبها متُّ ولو عشـ | ـت إذاً طال هواني

فقال له رجلٌ من القوم: يا أبا معاذ. ما الشيقران؟ قال: هذا من غريب الحمير. فإذا لقيتم حماراً فسلوه.

* وقال بشار:

أمقُّ غريريٌّ كأن قتوده | على مثلثٍ يدمى من الحقب حاجبُهْ
غيورٌ على أصحابه لا يرومه | خليطٌ ولا يرجو سواه صواحبُهْ
إذا ما رعى سنين حاول مسحلاً | يجد به تعذابه ويحاولُهْ
أقبُّ نفى أبناء عن بناته | بذي الرضم حتى ما تحس ثوالبُهْ

(١) العقد الفريد (٦: ٤٤٢).



* وقال أيضاً:

رعى ورعين الـرطب تسعيـن ليلـةً ... على أبـق والـروض تجـري مذاهبُـهْ
فلمـا تـولى الحـر واعتصـر الثـرى ... لظى الصيف من نجدٍ توقـد لاهبُـهْ
وطارت عصافير الشقائـق واكتسى ... مـن الآل أمثـال المـلاء مساربُـهْ
وصدَّ عن الشول القريـع وأقفـرت ... ذرى الصمـد مما استودعته مواهبُهْ
ولاذ المها بالظل واستوفـض السَّفـا ... مـن الصيـف نتـاج تخـب مـواكبُـهْ
غدت عانةٌ تشكو بأبصارها الصدى ... إلى الجأب، إلا أنـهـا لا تـخـاطبُـهْ

* وقال جرير:

تغطي نميـرٌ بالعمـائـم لؤمَهـا ... وكيف يغطي اللؤم طي العمائمِ
فإن تضـربـونـا بالسيـاط فإننـا ... ضربناكم بالمرهفات الصـوارمِ
وإن تحلقوا منـا رؤوسـا فـإننـا ... حلقنا رؤوسا بالقنا والغلاصمِ

* وقال حصين بن معاوية:

إذا خالطن هـامـةَ تغلبيٍّ ... فلقن الرأس منه والجبينا
ألم نترك نساء بيـن زهيـر ... على الآسي يحلقن القرونا

* وقال الشماخ[1] يريد تشبيه راحلته بحمار وحشٍ يطلب ماءً في شدة القيظ:

كأنَّ قتودي فـوق جـأب مطـرد ... من الحقب لاحته الجداد الغوارزُ

(الجداد بالفتح والكسر، وهي التي قلَّت ألبانها)

---

(١) الديوان (ص١٧٥).



* واستعار أحدهم من الشاعر شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري حمارته فأعجبته، وأبى أن يردها إليه، فكتب البوصيري على لسان الحمارة يقول:

يا أيـها السّيـدُ الـذي شهـدت	ألفـاظـه لـي بـأنــه فـاضـلْ
حـاشـاك أن أجـوع في بلـــدٍ	وأنت بالـرزق فيــه لي كـافـلْ
ألم تكـن قـد أخـذت عـاريـةً	من شرطها أن تردَّ في العـاجـلْ
وَكانَ عَزْمِي عندَ الوصولِ بكُمْ	أجْمَلَ مِـنْ أنْ أُسـاقَ لِلْحاصِـلْ
مــا كـانَ مِثْلـي يعِيـرُهُ أَحَــدٌ	قَــطُّ وَلكـن سَيِّدِي جاهِـــلْ
لو جـرَّسُـوهُ علـسَّ مِـنْ سَفَـهٍ	لَقُلْـتُ غَيْظـاً عليـه بِسْتـاهِــلْ
طـالَ بِـي شَــوْقٌ إِلَى وَطَنِــي	والشَّــوْقُ داءٌ لا ذُقْتَــهُ قـاتِـل
وَبُغْيَتِـــي أنْ أَكُـــونَ سائِبَــةً	مِنْ بَلَدِي في جَوانِبِ السَّاحِـلْ
لا تَطْمَعُوا أنْ أَكـونَ عِنْدَكُــمُ	فـذاكَ مـا لا يَـرُومُـهُ العـاقِـلْ
وبَعْــدَ هـذا فمـا يَحِـلُّ لكُـــمْ	مِلْكِي فإنيَ مِن سَيِّـدي حـامِـلْ

فردَّها ولم يأخذ الدراهم منه[١].

* وقال أبو غلالة في (حمار طياب) على سبيل المزاح، وقد نظم فيه نيِّفاً وعشرين مقطوعةً أوردها حمزة الأصبهاني في كتابه (مضاحك الأشعار) مرتبةً على حروف الهجاء، فذهب هذا الحمار مثلاً كبغلة أبي دلامة، وسيارة أبي علي، وطيلسان ابن حرب.

---

(١) ديوان البوصيري (ص٢٣٧).



* وفي كتاب «التشبيهات» و« أخبار الحمير» المقطوعات التالية[١]:

ـ ١ ـ

يا سائلي عن حمارٍ طيابِ ذاك حمار حليف أوصابِ
كأنه والذباب يأخذه من كل وجه، نفار دوشابِ

ـ ٢ ـ

وحمارٌ بكت عليه الحميرُ دق حتى به الذباب يطيرُ
كان فيما مضى يقوم بضعف فهو اليوم واقفٌ لا يسيرُ
كيف يمشي وليس يعلف شيئاً وهو شيخٌ من الحمير كبيرُ
يأكل التبن في الزمان ولكن أبعد الأبعدين عنه الشعيرُ
عاينَ القَتَّ مرةً من بعيدٍ فتغنى وفي الفؤاد سعيرُ
ليس لي منك يا ظلومُ نصيرٌ أنا عبد الهوى وأنت الأميرُ

ـ ٣ ـ

أقسمت بالكاس والمدامِ وصحبة الفتية الكرامِ
أنْ لست أبكي على رسوم عيرها هاطل الغمامِ
لكن بكائي على حمارٍ موكل الجسم بالسقامِ
قد ذاب ضراً، ومات هزلاً فصار جلداً على عظامِ
ومر يوماً على شعير مقدار كفينِ للحمامِ
وحيل زُفَّت لشاة قومٍ كلاهما في يدي غلامِ

---

(١) التشبيهات (ص٣٧١)، وأخبار الحمير (ص١١٤).

فظــل مــن قُـــرَّةٍ يغنـي وقال: قد جاءني طعامـي
يـا زائـرينـا مـن الـخيام حيـاكـم اللـــه بالسـلامِ
لم تطرقانـي ولـي حـراك إلى حــلال ولا حـــرامِ

ـ ٤ ـ

حـمــارٌ أنـاخ بــه ضــره ودار عليـه بــذاك الفلــكْ
يميل من الضعف في مشيـه ويسقط في كل دربٍ سلـكْ
فـأمـا الشعيـر فمـا ذاقـه كما لا يـذوق الطعام الملَكْ
يغنـي على ألقـت لمـا يـراه وقد هزه الجوع حتى هلـكْ
أخـذت فـؤادي فعـذبتـــه وأسهرت عيني فما حل لكْ

ـ ٥ ـ

لم أبكِ شجواً لفقـد حبي قــد ابتـلاني بـذاك ربـي
لكنني قـد بكيـت حـزنـاً على حــمارِ لجـارِ جنبـي
لو شُمَّ ريح الشعير شمَّـاً من غير أكلٍ لقال: حسبي
أو عاين القت مـن بعيـد يوماً لغنى بصوت صـبٍّ
ليس يزول الـذي بقلبـي يا من جفـاني بغيـر ذنـبِ

ـ ٦ ـ

حـمارُ طيّـابَ لا تخفى مساويـهِ مـا فيــه أكثـر مـمـا قلتــه فيــهِ
مـدّوهُ حتى رأيـت الخـط يشبهـه من الهزال، وعيـن الضـر تبكيـهِ
أقسمت بالله لـولا التين يأكلـه في كل شهـرٍ لكـان الجـوع يفتيـهِ



ما زال يطلب وصلَ القَتِّ مجتهداً　　والقـت يقتلـه بالصـدِّ والتيـهِ
النجـم يـرحـمني مـمـا أراعيـه　　وأنـت في غفلـةٍ مـمـا أقـاسيـهِ

* وقال الشاعر حيص بيص[1]:

وأحمق زانَ ذا عقـلٍ بحمـقٍ　　فقلـت له رويدك يا حمارُ..!
يرى الخفاش أن الصبح ليلٌ　　وأن الليـل دهـمتـه نهـارُ

* * *

(١) الديوان (٣: ٢٧٢).

حـمـاريـة لابن عنيـن

ومن ملح ابن عنين (٥٤٩-٦٣٠هـ) قوله يرثي حماراً له مات بالموصل[١]:

لَيـلٌ بِأَوَّلِ يَـومِ الحَشـرِ متصـل وَمُقلَـةٌ أَبـداً إِنسـانُهـا خَضِـلُ
وَهَـل أُلامُ وَقَـد لاقَيـتُ داهِيَةً يَنهَدُّ لَـو حَمَلَتها بَعضهـا الجبُـلُ
ثَوى المِصَكُّ الَّذي قَد كُنتُ آملُهُ عَـونـاً وَخُيِّبَ فيـهِ ذلِكَ الأَمَـلُ

(الجبل: الجماعة من الناس. المصك: القوي، وكذلك الأصك).

لا تَبعُـدَنْ تُـربَـةٌ ضَمَّـت شَمـائِلَـهُ وَلا عَـدا جـانِبَيها العـارِضُ الهَطِـلُ
لَقَـد حَـوَت غَيـرَ مِكسـالٍ وَلا رَعِـشٍ إِن قَيَّدَ القُودَ مِـن دونِ السُرى الكَسلُ
قَد كـانَ إِن سـابَقَتـهُ الـريحُ غـادَرَهـا كَـأَنَّ أَخـمَصَهـا بِـالشَـوكِ يَنتَعِـلُ
لا عـاجِـزاً عِنـدَ حَـمـلِ المُثقِـلاتِ وَلا (يَمشي الهُوَينى كَما يَمشي الوَجى الوَجِلُ)
مُكَمَّلُ الخَلقِ، رَحبُ الصَدر، مُنتَفِخُ الـ ـجَنبَينِ، لا ضـامِـرٌ طـاوٍ، وَلا سَغِـلُ

(لا تبعدن: لا تهلكن. القود: الخيل والإبل. السغل: من معانيه: المهزول).

يَطوي عَلى ظَمَـإٍ خـمسـاً أَضالِعَـهُ في بيضةِ الصَيفِ وَالرَمضاءُ تَشتَعِلُ
وَيَقطَعُ المُقفِـراتِ المـوحِشـاتِ إِذا عَن قَطعِهـا كَلَّـتِ المَهـرِيَّـةُ البُـزُلُ
فَفي الأَبـاطِـحِ هَيـقٌ راعَـهُ قَنَـصٌ وَفي الجِبـالِ المُنيفـاتِ الذُرى وَعِلُ

---

(١) الديوان (ص١٤٠).



يُرَجِّعُ النَهـقَ مَقـرونـاً، وَيُطرِبُنـي ... لَحناً، كَما يُطرَبُ المَزمـومُ وَالـرَمَـلُ

(المهرية: نوعٌ معروفٌ بشدة السرعة. البزل: القوي البالغ ثماني سنوات. الهيق: الظليم، وهو ذكر النعام. المزموم والرمل: لحنان).

لَو كانَ يُفدى بِمالٍ ما ضَنَنتُ بِـهِ ... وَلَم تُصَـن دونَهُ خَيلٌ وَلا خَوَلُ

لكِنَّهـا خُطَّـةٌ لا بُـدَّ يَبلُغُها ... هَذا الوَرى كُلُّ مَخلوقٍ لَـهُ أَجَـلُ

وَإِنَّ لي بِنِظـامِ الـديـنِ تَعـزِيَـةً ... عَنهُ وَفي النَجبِ مِن أَبنائِـهِ بَـدَلُ

ولا ندري من يريد بنظام الدين؟

* ولابن دانيال الموصلي في هجاءٍ له:

وَقَد أَبدَيْتَ لي أُذُنَي حِمارٍ ... وَعَيْنَي كلبـةٍ وَسَبـالَ هِرٍّ

وَلَمّا أَنْ فَرَرتَ قَتَلْتَ كُـرّاً ... وَعُدتَ فَكُنْتَ ذا كرٍّ وَفَرِّ

* قال الصفي الحلي يعاتب أحد الأعيان على ترك عيادته[1]:

أعود حـماركـم في كـل يـومٍ ... إذا مـا ضـره مـرطُ الشعيـرِ

ويُمرضني التألم من جفـاكـم ... فلم أر عـائـداً لي مـن زفيـري

فإن يكُ ذاك حقُّ جزاي منكم ... لإفراط المحبـة مـن ضميـري

فشكـراً للمحبـة إذ حططتـم ... بها الأصحابَ عن قَدرِ الحميرِ

* * *

---

(١) الديوان (ص٥٧٨).

حـمـاريـات

* وفي العصر الحديث لفت الحمار نظر بعض الشعراء، فكتبوا فيه جملةً من القصائد، وبقليلٍ من التأمل فيها ندرك أنهم يريدون الحمر الإنسية، ومن ذلك: ما كتبه الشاعر سعود عواد الحجيلي(١) في «الأربعاء»(٢) بعنوان (الحمار الجريء):

الحمار الجريء

أن تكون القيادة للجِمال فهو أمرٌ طبيعي، لكن أن يقود الحمار الجمال فهي كارثة، وهذا ما حصل أثناء متابعتي للأخبار في أفغانستان على القنوات الفضائية، فقد شاهدت ذلك حيث رُبِطت مجموعةٌ من الجمال (سفن الصحراء) بحمارٍ يقودها وهي تسير بأعناقها الطويلة، رمز الشجاعة والقوة والصبر، خلف هذا الجحش، فتمثلت بهذه الأبيات:

تقـود الجمـال وأنـت حـمـارٌ ... فكـم هي من سخـريـات القدَرْ
تقود الجمال أيـا ابـن الجحـوش ... كـأنَّ الـزمـان مضى وانـدحَرْ
وتـمشي سـريعـاً أمـام الجمـالِ ... تبـاهـي بوضعـك بيـن البشـرْ
ومن خلف ذيلك تمشي الركابُ ... تقـود الجيـوش وأنـت الأغـرْ

---

(١) محامٍ شرعي وقانوني.

(٢) ص٦١ بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٤٢٢هـ.



تقود الـجميـع لأرض الهلاك | تـخـونـك عينـاك عنـد النظـرْ
وتـرفـع صـوتـك عنـد النهيـق | وعند الـمـراغـة وقـت السفـرْ
أحقــا أتيـت لنشــر الســـلام | وهل جئت فعــلاً لـدرء الخطـرْ
أتفخــر أنــك خير الـحميـــر | تــود الـمقـام وحســن المقـرْ
تدوس بأقدامك الـمكـرمــاتِ | وحتـى المـآذن وقـت السحـــرْ
فـلا ديـن عنـد سليـل الأتـانِ | ولا ذنـب يغفـر بعــد الكفـــرْ
يظـل الحـمــار أسيــر هــواه | يـحـب التَّمَـرُّغَ بـيـن الحفـــرْ
فـإتــرُكْ قيـادة هـذي الجمـالِ | فمـا حاز جحشٌ نصيب الظفـرْ
ألا تخش يـومـاً تهيـج الفحـول | وترميك بـالـزبـد مثـل الشـرزْ
يعـم الكسـاد بيـوع الـحميـــر | ويلعــن شـارون سـوق الحمـرْ
فإرجِعْ لوضعك بين الجحـوش | بـوسـط الحقـول ومـاء النهـرْ
وإلا حـيـاتـك سـوف تبـوش | لهيب الصحاري يـزيـغ البصـرْ
فمتِّــع حـيـاتـك في غــابـــةٍ | لهـا فـي بقـائـك أحلى الأثــرْ
وخـلِّ الصحــاري لعشـاقهـا | وروادها حيـن يـحلــو السمـرْ
فـإنِّ الفيـافـي لعـوج الـرقـاب | وليـس لجحشٍ بـهـا مستـقـــرْ

*   *   *

الحمار الجنرال(*)

طالعت قصيدة (الحمار الجريء) المنشورة في عدد الأربعاء للشاعر سعود بن عداد الحجيلي التي جادت بها قريحته بعد أن رأى تلك الصورة المقلوبة للحمار الذي تصدَّى لقيادة الجمال وهي تسير خلفه بكل صغارٍ وبلا وقار، وقد تفاعلت معها وعارضتُها بهذه الأبيات[(١)]:

حمارٌ يقود بكل افتخارٍ	ورمز الشموخ إلى المنحدرْ
يقود الجمال بكل اقتدارٍ	ويشرب صفواً وتسقى كدرْ
يباهي بمركزه من يغار	ويحظى بسؤدد مجد الدهرْ
ليبقى الزمان له شاهد	وحكم الزمان هو المنتظرْ
يسطر بالنور أحلى وسام	ويلبسه الدهر أحلى الدررْ
وذيل الحمار كوقع الحسام	إذا جدّ جدّ وحم القدرْ
يذُود به دون مد العتاق	إذا اشتد كربٌ بأهل المدرْ
ويصرم بالذيل صرم السيوف	إذا الموت حاق بأهل الوبرْ
يقود الجميع إلى المكرمات	وطيب الإقامة والمستقرْ
يعم السلام بأقصى البلاد	ويرسم للعدل أحلى الصورْ
يحقق أمناً بعيد المنال	ويخسأ أهل الخنا والغجرْ
يسوس الجيوش بعقلٍ حكيم	وبالرشد طوراً وبعد النظرْ

(*) لعبد الرحمن بن بركة البلوي، متوسطة ابن البيطار ـ ينبع الصناعية.

(١) عدد الأربعاء الموافق ١١/ ١٠/ ١٤٢٢هـ.



سليلُ الأتان له غايتان ... يعم السلام ويهنأ البشرْ
وينعم بالأمن كل الأنام ... وشر الظلوم مضى واندثرْ
ومن قال إن الجحوش الكرام ... تخاف الفحول وتخشى القهرْ
ومن رام خزياً بمجد الجيوش ... تثور وتغضب غضبة مُضرْ
وتسحق بالشك كل الجيوش ... وبالموت تُمنى وكأسِ الثبرْ
وإن أمَّةً رفعت أنفها ... ستأكل من رَوثِها والبعرْ
ومن لم يعظم سلام الجحوش ... يذق من هوان ويصلى سقرْ
ويبقى ذليلاً بمر العصور ... وفيه الدروس وفيه العبرْ

* وقال أحمد الشدياق في كتابه «الفارياق» يرثي حماره[1]:

رثاء حمار

قد فُجِعت بالأمس بحمارٍ لي، وسألت عنه الجيران فلم يقل أحدٌ منهم: إنه سرقه، فاكتريتُ منادياً بدرهمٍ فجعل ينادي في الأسواق: ألا قد فرّ اليوم حمار الفارياق وخلَّى قيده في الوتد، فهل منكم من رآه؟ فلم يجبه أحد إلاّ بقوله: ما أكثر الحمير الآبقةَ اليوم من بيوت مواليها! فلما عاد إليّ بهذه البشرى بلغ مني الغيظ كل مبلغ، وآليت أن لا أنظر بعدها في وجه حمارٍ، سواء كان حقيقياً أو مجازياً. فقد قال بعض أئمة اللغة: إن من خصائص لغتنا هذه الشريفة دون غيرها أن يُقال للرجل الجاهل: حمار..!، ثم أخذتُ أرثيه فقُلت:

راح الحمار وخلَّى القيد في الوتدِ ... وما رأى أثره في الناس من أحدِ

---

(١) أخبار الحمير، بسام الجابي، ص١٥٢-١٥٦.



فهل أنا راكبٌ من بعده وتداً   أم مجزئي قيده لو كان من مسدِ
أم كيف أدخل داراً كان لي سكناً   فيها وأنزل عندي مُنْزل الولدِ
سَرْهَدْتُهُ بيدي كالطفل من شفَقٍ   كالطفل من شفق سرهَدْتُه بيدي
وجئته بشعيرٍ لا يخالطه   ماسٌ ولا عسجدٌ خوفاً من البردِ
وكان يوقظني منه النهاق إذا   استثقلت نوماً بصوت مطرب غَردِ
كم حاد بي عن مضيق حين أبصر من   حول الجِمال تبلّ الأرض بالزبدِ
وسار بي في طريقٍ بلّ جانبها   أهل الجمال بماء الورد وهْوَ ندي
وكم جرى فارهاً إذ لاح عن بعدٍ   زفاف خود إليها بالغ الأمدِ
وإذ تبين نعشاً للجنازة لم   يمرر به مع أليم النخس في الكتدِ
ما ضلَّ يوماً عن استقراء معلفةٍ   أكان في روضةٍ غنّاء أم جَرَدِ

(الجَرَد: فضاء لا نبات فيه)

قد رابني حِذقُه حتى ظننت به   مسخيةً مثل بعض الخلق عن أحدِ
وما شكا قطُّ من وخزٍ ولا ضَعُفت   رجلاه عن جوب وعَثٍ طال أو جَدَدِ

(المسخية: تحول الصورة إلى أخرى أقبح. الجوب: القطع. الوعث: المكان السهل تغيب فيه الأقدام).

شُلّت يدا من به ولّى وغادرني   أمشي وأنشُبُ في أوحال ذا البلدِ
أعالمٌ أنني من بعده جزِعٌ   وأنّ فُرقتَه نارٌ على كبدي
وأنّ صوتَ المنادي اليوم يزعق أن   إلبس إكافك في جنح الدجى وعُدِ
لا يغررنّك رَغْد أنت واجده   عند الحراميِّ خصمي فيك من حسدِ



فإنما ذا لحين أنت تعلمه ... ما دام شهراً على طِرف ولا عَتَدِ
يفديك كل حمارٌ ندّ من بطرٍ ... أو صحّ من لغب، أو خار من جَهَدِ
أو حار من شبق قلاّبُ جفلتهِ ... كرّافُ بول قديمِ جَفَّ كالقددِ

(كرّاف بول: شم بول الأتان)

مصنبعُ الرأس ممشوق القوائم لم ... يحرنْ إذا سُمته خَسْفاً ولم يجدِ
أليّةً إنه بالطرق أعْرف من ... مولاه أن لم يَعُقه القيد ذو العقدِ
يا ليت لي خصلةً من ذيله أثراً ... أرنو إليها كما يُرنَى إلى الخُرُدِ

* ومن ديوان الشاعر أحمد عبدالغفور عطار «الهوى والشباب»[١]:

حمار فوق الرؤوس

يا صاح ما الصبر؟ إنَّ الصبر معجزةٌ ... والصبر تعزية الواني ومن هانا
فالميْت من صبره تُلفيهِ مضطجعاً ... وما شكا ألماً أو صاح جردانا
وكيف يشكو فقيد الروح إنْ عصفت ... به المصائب أو آدته طغيانا
والحي تلقاه كالبر كان مضطِّرماً ... جمَّ النشاط كثير الشكو غضبانا
لا يستريح إذا دِيست كرامته ... حتى يذيق الردى من جار أو خانا
أو يستحيل حساماً جُنَّ حامله ... أو يستحيل على الحكام نيرانا
وإن حمته القوى عن كشف كربته ... فالشكو أو يدع الأكوان آذانا
والشكو دلّ على أنّا غطارفة ... نأبى الهوان ولولا الشكو ما بانا

---

(١) الهوى والشباب (ص٤٥).



فكيـف تنصحني بالصبـر واعجبـاً … أن تطري العجز يا من كنت بـركـانـا

كيـف التصبـرُ والـمـأفـون منتـفـخٌ … رياً ويغدو العظيـم النـدب صَدْيـانـا

كيـف التصبر والـرعـديـد في شبعٍ … والقرم يطوي الليالي السود غـرثـانـا

كيـف التصبـر والمملـوك في حـللٍ … يختال فيها ويمشي الحر عـريـانـا؟

كيـف التصبر والظلّيـم يـحمــده … مـن كـان بالأمس للظُّلَّام طعـانـا؟

أيـن الـخـراب لبيـت الظلـم لـم أره … إلا رفيع الـذرى قـد طـال بنيـانـا

ومنـزل العـدل يـا ويحي غـدا طلـلاً … مستوحشـاً يـجـزع الآلام غصـانـا

* * *

إنـا لفـي زمـنٍ سـاد اللئـام بــه … وأصبحوا فوق ظهر النجم رُكبانا

والجاه في قولهم والمال في يـدهـم … وكـل شهـمٍ يعاني الـذل ألـوانـا

آهٍ لَـوَ انَّـا بـلا قلـبٍ نعيش بـه … وحبَّذا لو غـدونـا اليوم عميـانـا

فـلا نحـسُّ بـآلامِ ومنقـصـةٍ … ولا نرى بائـع الأوطـان دهقـانـا

مـاذا أقـول وقلبي كـاد يحطمـه … ذل العـزيـز ومـوت الحـر بُهتـانـا

* * *

يا صاحبي الفذ لا تصبر وكن بطلاً … يسقي عبيـد الخنـا والبغـي ذَيْفانـا

وجانب الصبر لا ترفـعْ لـه نُصُبـاً … نافى الكمـال ولا تسخر بشكـوانـا

وثـر بكـل حـمـارٍ صـار مقعـده … فوق الرؤوس وكلبٍ صار إنسانـا؟

وللشاعر الفلسطيني الدكتور شكري محمد سمارة قصيدةٌ بعنوان: «حوار بين شاعر وحمار» حاول فيها أن يدخل بحماره ميدان شعر التفعيلة، ولكن الحمار أبى عليه ذلك، يقول الدكتور شكري:



يا رفيقي يا حمار

يا صديقي في البراري والديار

أنا في شوقٍ إليك

وإلى كل الحمير

هل صحيحٌ ما يقول الناس عنكَ

أم تُرى قولُهُمُ زوراً وبهتاناً وإفكا؟

هم يقولون لمن يخطئ منَّا: يا حمار

وإذا سبُّوا وعابوا

وإذا شاءوا امتهانا

أو أرادوا وصف قبحٍ

أو وباءٍ أو صغار

رفعوا الصوت وقالوا:

أنت يا هذا حمار

هكذا قالوا، وإني

مثلهم أيضاً أقول

لكنِ الظلمُ حرامْ

وأنا مثلك مظلومٌ ومسلوبُ الإراده

بل فقل: ظلمي زياده

فأجبني

أصحيحٌ ما يقال؟

أم تُرى محضَ افتعال

وافتراءً وخيال

وتَـجَنٍّ صارخاً منا عليكم؟

طأطأ الرأسَ الحمار

ثمّ قال...

نحن في دنيا الحمير

مثل ما قال تعالى ..

نحن في القرآن زينة

ولنا في خدمة الإنسان فضلٌ وريادة

وله منّا الإفادة والقياده ..

نحن والناس جميعاً هل نكون

غير تنفيذ الإراده ....؟

نحن في دنيا الحميرْ ...

ليس فينا من غنيٍّ أو فقيرْ ...

أو أميرٍ أو حقيرْ

أو صغيرٍ أو كبيرْ ...

نحن أبناء أتانٍ واحدة

هكذا كنّا ونبقى

نأكل العشب ... وبعضاً من شعيرْ

وسواءٌ كان في الدنيا قليلاً

أو إذا شئت كثيراً

لم يمت منا حمار .. أو حمارة

من مجاعة ....

نحن في دنيا الحميرْ ..

لا نبالي بأميرٍ أو إمارة

نحن في دنيا الحميرْ

يستوي الأمران في رأيي ورأي الآخرين

لا نبالي ...

كان ربحاً أو خساره

هل ترى منّا حماراً أو أتاناً

سلب الإخوة قوتاً

وتحداه جبارا

تحت عنوان الحضاره

مثل ما يفعل أبناء البشر؟

هل ترى بين الحمير

من إذا قال كذب؟

هل ترى فينا شقاقاً أو نفاقاً أو عداء

هل سمعتم عن حمارٍ سرق المال وقال ...

هو مالي ...

طرد الحمْرَ من الأرض وقال ..

هي أرضي وحلالي ...

هل عرفتم أن في الدنيا حميراً ..

قتلتْ آلافَ آلافِ البشر

ثمّ راحوا يرقصون

ويصيحون بصوتٍ مرعبٍ

فوق أشلاء الضحايا

أنه يوم الظفرْ

أنه اليوم الأغرّ؟

هل سمعتم عن حمارٍ

شرب الخمر وولَّى

ثمّ صلَّى ....

ليقول الناس عنه إنه ناسكُ عصرِهْ؟

هل نما يوماً إلى دنيا البشر ...

أن في دنيا الحمير

جحشةً أغرت حماراً

ثم أرْدَه قتيلاً؟ ......

أو حماراً قتلته الشهوة العمياء يوماً

فمضى نحو أتان .. غرّة من قوم جحش

وأتاها دون حق

ثم واراها الثرى ظلماً وزوراً؟ ...

ومضى يبكي حزيناً وكئيبا ...

فإذا ما عرفوه ... قيدوه ...

ودنا يوم القصاص ...

سمعوا منه عجيباً وغريبا ...

ملأ الدنيا صراخاً وبكاءً وعويلاً ونحيبا

أيها الناس ارحموني

أيها الناس ارحموني؟

هل سمعتم يا بني الإنسان في دنيا الحمير

عن حمارٍ جرّع السمّ أباه ...؟

طمعاً في المال كي يغدو غنيا؟

ومضى يرتاد صالات القمارَ ...

أو مضى يرتاد أوكار الحشيش

ويقيم العمر في سوق الدعارة ....؟

هل خَبِرتم يا بني الإنسان في دنيا الحمير

أن جحشاً نقل(الإيدز) إلى دنيا الجحوش

بلواطٍ أو زنى

تحت عنوان التجارة ....؟

هل أتاكم أن جحشاً راح يرتاد القمر ..

وارتقى سَمْكَ الفضاء

وأخوه الجحش يُضرَبْ

بسياطٍ ويعذبْ ....

في الزنازين الحقيرة

كالحظيرة

تحت أسماع وأنظار البشر

وعلى سمعٍ من الناس جميعاً

يصرع الأطفال رمياً بالرصاصِ ......

دون ردعٍ أو عقابٍ أو قصاصِ

وقوى البغيِ تلبي ....

نزغة الشيطان في دنياكمُ .... دنيا البشر

هل نما يوماً إليكم ....

أن في دنيا الحمير ....

شاهداً بالزور ظلماً وافتراءً

فإذا المجرم يُؤجر ....

وإذا المظلوم يُسجن وهو مقصوص الجناح

وأخو الغيِّ طليقٌ مطمأنٌّ يسلب الناس حقوقاً

معه صكُّ البراءة

معه عدل القضاء ....

فتأمل ....

عندما قال الحمار ما سمعتم ...

همَّ أن يأخذ للحقل طريقهْ

قال: دعني .... حلَّ عني

قد رأيتُ الويل منك

فأنا بالرغم من كوني حماراً

لم أقلْ خوفاً سوى نصف الحقيقة

فعقابي مستَحَقٌّ إن أنا قلت الحقيقة

قلت: يا صاحِ تمهّل

انتظرني لو دقيقة

فلقد أيقظتَ في نفسي شعوراً

أبت نفسي وعقلي أن يطيقَهْ

أنت لم تسفك دماً

وأنا الإنسان أسعى أن أريقه

قال: فافهم ما ترى

قفزت توّاً إلى عقلي الحقيقه

أنه يوحي بقولٍ وسليقه

أنهم معشر أبناء الحمير

لو أرادوا زجر جحشٍ بدرت منه خطيئة

سيقولون بصوتٍ واحد:

لستَ منّا يا حمار

لستَ من دنيا الحمير

أنت للإنسان أقرب

أنت إنسانٌ مهذب ...

قلتُ يا هذا الحمار ..

ليس كل الناس هذا

فعَلَا منه نهيقٌ وضراط

ثم قال

وهو يمشي ..

دونما أدنى خجل: حسبنا أنّا حمير. حسبكم أنتم بشرْ

* قصيدة الشاعر علي أحمد النعمي في ديوانه «جراح قلب»[١]:

نـهـايـة أتـــان

في شوال عام ١٤٠٤هـ، وأنا في طريقي إلى نادي جازان الأدبي، تعرضت لحادث صدامٍ بين سيارتي التي أقودها وبين أحد الحمير السائبة المنتشرة على الطرقات مما أدى إلى تعطيل السيارة وإلى إزهاق حياتها،.. ولقد حزَّ في نفسي منظرٌ كهذا ليس هو الأول ولن يكون الأخير .. فما أكثر ما وقع من حوادث، وما أكثر ما ذهب من ضحايا بشرية بسبب الحمير التي تنكَّرنا لها وسرحناها سراحاً غير جميلٍ متناسين أن الله هو الذي سخرها لخدمتنا ..

وكان الحادث دافعاً للحديث، فكانت هذه القصيدة:

ليس في عـالـم الـحمير الطليـقِ مـن وفـاء المـخلـوق للمخلـوقِ
غير (كـمَّـاشـة) يطـوق فكـا هـا خطانـا على امتـداد الطـريـقِ
غير (غول) يختال طـولاً وعـرضـاً وبـوجـهٍ مستبشـع وصفيـقِ
إنَّ سيـارتـي تـلقـت مـسـاءً مـحنة شـارفـت بـهـا للحريـقِ
مـن أتـانٍ جـار الزمـان عليهـا تـرتـجي الغـوث حاضـراً بالنهيـقِ
مـن رحيمٍ يشيلهـا مـن أسـاهـا ومعـانـاتـهـا لـظـى التـزهـيـقِ
زهـدت في الحيـاة بـيـن قطيـعٍ راكـض، رافـس، كثير الـمـروقِ
يتلوَّى جـوعـاً وهـجـراً ويفنـى دون حـسٍّ .. بلهفـةٍ في الحلـوقِ
وقفـت كـالعمـود تـرنـو يمينـاً وشمـالاً .. كـالـمجهـد الـمخنـوقِ

---

(١) جراح قلب (ص٣٣).



ضيعت (عفوها) الصغير، فضاعت وأضاعت إليه كل طريقِ
صدمتني، صدمتها .. أيُّ فرق بين هذين في سجل الحقوقِ
فهوت جثةٌ تكاد تنادي سوف يدري من عقَّ وزر العقوقِ
وبلي نجوت بعد اضطرابٍ وتوقفت بعد رعبٍ وضيق
وتماسكت ذاهلاً .. واعتَرتْني عبرةٌ جففت منابع ريقي
وأرتني الأنوار بعد ضياءٍ مطفآتٍ .. وما بها من بريقِ
وأرتني ناساً تأسَّفُ حولي وأناساً تُطيل في التصفيقِ
أطلق (العير) و(الأتان) هروباً منهما اليوم في الهواء الطليقِ
كل فرد من معدمٍ وطليق و(حسين) يقفو خُطى (مرزوقِ)
كل فردٍ ألقى بها في البراري دونما رحمةٍ .. كثوبٍ عتيقِ
وبوحيٍ من نبض قلبٍ مريضٍ لا يبالي بأخريات الفسوقِ
ظنَّ في (الجمس) و(الجلنت) بديلاً و(التيوتا) بكل نوعٍ أنيقِ
عن (أتان) وعن (حمار) أفادا ه لحمل الأعبا بيسرٍ وضيقِ
أبعدوها عنهم، ولم يرحموها من مهاوي أخطار دربٍ سحيقِ
جمعوها ظلماً إلى كل وادٍ ورمَوْها عمداً بكل مضيقِ
فغدت محنةً وصارت عدواً يزرع الرعب عبر كل طريقِ
إنْ نجونا من شرها في نهارٍ ما نجونا ليلاً من التَّعويقِ

* * *

يا إلهي إن الحمير تلقَّت ما تلقَّت من كارهٍ وصديقِ
ففريقٌ حانٍ عليها .. ولكن كم فريقٍ جافٍ لها وفريقِ؟!
كم قسى بعضنا اعتباطاً عليها بحديدٍ مطور التزويقِ؟!



كم أنـاسٍ تـاهـوا غبـاءً وقـالـوا　　كلِماً بـائـراً بمنطـقِ (سـوقـي)

سوف لا نركـب الـحمير لأنَّـا　　في زمـان (التكنيك) و(التحليقِ)

ما لنـا والـحميـر... ذلـك عهـدٌ　　قـد تـولّى عنـا كعهـد 'الـرقيــقِ

لـم يعـد ذكرهــا حبيبـاً إلينـا　　في حيــاةٍ كثيـــرة التشــويــقِ

مـركـبٌ فـاخـر وبيتٌ جـميـلٌ　　وجـهـاز يُعـدُّ خيـرَ صـديـــقِ

والـمكـان البعيـد صـار قـريبـاً　　لـمريديـه .. وانتهى كـل ضيقِ

قد كفتنا عن (اللجـام) التعاشيـ　　ـق و(زيت الموبيـل) عن (إفليقِ)

وكفتنـا (كيعـانهـا) (عجــلاتٍ)　　دائـرات .. تهـوي كلمـع البروقِ

فلتفِــق أيـهــا الـمـروَّع مـمــا　　أنت فيه فـ(ـالبوق) غير (النهيقِ)

ولأمـر سـأرفـع الصـوت جهـراً　　في عتــاب ـ مع النـداء ـ رقيــقِ

أيـهـا القـاطنـون في كـل شبـرٍ　　مـن بـلادي ذات الوفـاء العريقِ

لا تقـولـوا: عهـد الحمير تـولى　　وكفـانـا الحديـد عبء الطـريـقِ

مـا رمـاهـا آبـاؤكـم ذات يــومٍ　　مـا جفـاهـا أجدادكم في عقـوقِ

فلمـاذا لـم تـرحـمـوهـا وفـاء　　لأب راحـمٍ وجــدٍّ رفيـــقِ

إنَّ للـراحـمـيـن أجـراً جـزيـلاً　　عنـد ربٍّ مـا نـام عن مـخلـوقِ

* * *

قال بعضٌ منهم: صدقت، ولكن　　صوتـهــا منكــر بنـص حقيقـي

ووجود الحمير في الـدور عـبءٌ　　قلـت: يا أنـفس الحـديد استفيقي

من لـهـاث على الحطـام رهيــبٌ　　بصبـوح ـ مـن كأسـه ـ وغبـوق

الخليق الوفـاء في الأرض بيـن الـ　　ـخلـق .. أمـا الجفـا فغيـر خليـقِ

حماريَّتي

وحمارٌ لقيته في طريقي وأنا مُثقَلٌ بهمِّي وضيقي
يتحاشى الغبار، يمشي الهوينا وعلى سمته بقايا طروقِ
ينقل الخطو في هدوءٍ وذوقٍ أرأيت الحمار يمشي بذوقِ
وهو يبكي مصيره بعد عمرٍ عاشه ضمن مركزٍ مرموقِ
وبخدَّيه عتمةٌ واختلاجٌ يتنزّى بكل حزنٍ عميقِ
وعلى وجهه ابتسامة هُزْءٍ من حياةٍ مليئةٍ بالفروقِ
قلت: يا صاح، أين تمضي؟ فإني في احتياج إلى اتخاذ رفيقِ
جمع اليأس بيننا، فلنواصل سيرَنا في عواصفٍ وبروقِ
قال: مهلا ..!! ما كنت يوماً لألقى آدميًّا يريدني كصديقِ
وهو يلقى أخاه بالغدر سراً ثم يرثيه بالكلام الرشيقِ
آدمي تعني اضطهاداً وظلماً وهي تعني لنا ضياع الحقوقِ
وهي تعني الضربَ المبرّح يهوي بضلوعي، مستمتعاً بزعيقي
وهي تعني العصا تداعب ظهري بلظاها، وتشتهي تمزيقي
وهي تعني الكرباج يُلهِب جسمي نازلاً صاعداً بلا تفريقِ
والسبابَ المهين يشوي أصولي وفروعي، وسنسفيل عروقي
وكفى منه ما أثار حماراً ما أذل الحمير في التطبيقِ
كم حمارٍ قضى من الضرب قهراً وهو يجري على حوافي الطريقِ
وحمارٍ شكا من السبِّ يوماً مات بالصفع أو بفقد العليقِ

وتنادى الـحمير من كـل صوبٍ ... ذات يـوم، وبـالغـوا فـي النهيـقِ
يتـراكضـن في انطـلاقٍ عجيـبٍ ... بـالـميـاديـن والـمـراح الطليـقِ
يبتغـون الإنصـاف مـن ظـالميهم ... في حـوارٍ مطـوّلٍ وعـميـق
هـل يظـل الـحمـار خلقـاً حقيـراً ... لا يسـاوي بعـوضـةً فـي الحقـرقِ
وهـو أمـرٌ مـحيـرٌ وغـريـبٌ ... عنـد أهـل الأنظـار والتـدقيـقِ
غيـر أن الإنسـان لـجلـج فيهـم ... بـفـريـقٍ مـن الكـلام صـفيـقِ
قـال في غلظـةٍ ودون اكتـراث ... : مـا لـجنس الـحمير أي حقوقِ
إثر هذا صاغ الـحمير احتجاجـاً ... كتبـوه على صـدور الـخـروقِ
لا تثـقْ مـا حـييـتَ فـي آدمـيٍّ ... إنَّ شـر البـلاء فـي ذا الـوثـوقِ
فامضِ عني يا صـاح، إني حـمـارٌ ... لا أبـالـي بغيـر حـبِّ شقيـقي
كلُّ من في الوجـود يعـرف قـدري ... غيـر هـذا الإنسـان رمـز العقوقِ
أنـا لـولاه عشـت عمـراً سعيـداً ... كقصيـدٍ علـى ضفـاف العقيـقِ
أو كحلـمٍ مـورّدٍ فـي غنـاءٍ ... تـاه قيثـاره بلحـنٍ رقيـقِ
أيُّ فـرقٍ بيني وبيـن حصـانٍ ... مُهمَـلٍ بين بيتـه والسـوقِ
يتَـوارى مـن عجـزه فـي حيـاءٍ ... حيـن ألقـى صهيلـه بنهيقـي
أيُّ عـدلٍ تـرجـونـه من حيـاةٍ ... بُنِيـت فـوق تلـةٍ مـن فـروقِ
للحصان التكريم رغـم نـهـوضي ... بشـؤوني، وسطـوتي في الـمضيقِ
وهو يـحظى بمـربـطٍ من صفـاح ... وأنـا مـربطـي مـن الطـابـوقِ
للحصان الشعير والقصب الغـض ... وشـرب الحليـب مـلء الشـدوقِ
وعلـوقـي قـتٌّ يـبيـس وتبـن ... لـم أجـدْ فيـه أيَّ غصـنٍ وريـقِ
للحصان السـرج الوثيـر وظهـري ... للبـراديـع والـحـلاس الصفيـقِ

ولـه ذلـك اللجـام وكـم ذا ذبتُ شوقاً إلى اللجام الأنيقِ

والحذاء الواقي فلا شوك يخشى في حقولٍ مهجورةٍ أو عذوقِ

ولـه مـا يشـاء في كـل حينٍ بينما للحمير بلـع الريـقِ

قلت: مهلاً، أضرمت قلبيَ حزناً مثلما النار في ضرام الحريقِ

وبعثت الأشجان في النفس تسري سريان النيـران في الحـاروقِ

قلتَ صدقاً، وإنني لحمارٌ بشري، في حاجةٍ لصديقِ

هجرته الحياة وانفضَّ عنه سامر الحي قبل هجر البروقِ

لا لـذنبٍ جنيت لكـن لأني عذت في رحلتي بلوحٍ عتيقِ

والتزمت الأخلاق والناس بحميا التلفيق والتزويقِ

وقديماً قال الحكيم كلاماً حِرْتُ فيه كالبغل في الإبريقِ

(عش حماراً تعش سعيداً) ولكن؛ أقسم النحس أن يكون رفيقي

نحن عكس التيار سرنا، فضِعْنا وأضعنا أشلاءنا في الطريقِ

* * *

السيرة الذاتية

د. محمد العيد الخطراوي

شاعر من المدينة المنورة وعالم وأديب وناقد ومؤرخ ومسرحي، من مواليد بالمدينة المنورة عام ١٣٥٤هـ-١٩٣٥م، يحمل ليسانس شريعة وبكالوريوس لغة عربية وآخر في التاريخ، ودكتوراه في الأدب والنقد من الأزهر .

بدأ حياته بالتعليم منذ سنة ١٣٧٥هـ مدرسا فوكيلا بطيبة الثانوية، فمديرا لثانوية قباء بالمدينة، وبعد حصوله على الدكتوراة عمل أستاذا مساعدا بالجامعة الإسلامية ثم وكيلا لعمادة شؤون المكتبات، ثم انتقل إلى كلية التربية ـ فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة ـ وتقلد بها عدة مناصب، ونال درجة أستاذ مشارك ثم حقق درجة الأستاذية وأشرف على مجموعة من الرسائل، كما ناقش مجموعة أخرى .

• من الأعضاء البارزين في أسرة الوادي المبارك، وعضو مؤسس لنادي المدينة المنورة الأدبي، وشغل منصب نائب رئيس النادي حتى عام ١٤٢٧هـ وكان رئيسا لتحرير إصدارة جامعةالملك عبد العزيز ـ العلوم التربوية ـ بكلية التربية بالمدينة المنورة لثلاث سنوات.

• رئيس اللجنة الثقافية بفرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، بالمدينة منذ تأسيسه.

• شارك في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول عام ١٣٩٤هـ بملحمة (أمجاد الرياض)،

وشارك بالعديد من المحاضرات وفي عدة مؤتمرات وندوات، وشارك في العديد من المحاضرات والأمسيات الشعرية في أكثر الأندية الأدبية والمناسبات الوطنية.

- رئيس تحرير إصدارة (الآطام) الأدبية بنادي المدينة المنورة ابتداءمن عام ١٤١٩هـ.
- عضو مؤسس لنادي الأنصار الرياضي.
- قدم للتلفزيون منذ إنشائه العديد من البرامج تقديما وإعدادا، منها: رجال الثقافة ـ كلمات وأنغام ـ بين شاعرين ـ رحلة في كتاب ـ رحلة في قصيدة ـ نافذة على الفكر والثقافة (لمدة ثلاث سنوات)، أناشيد للأطفال ومسرحيات قصيرة.
- وللإذاعة: شعراء من أرض عبقر ـ عقود الجمان ـ بين شاعرين ـ رحلة في قصيدة.
- حصل على جائزة أمين مدني في تاريخ الجزيرة العربية عام ١٤١٥هـ. وجائزة الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود التقديرية للرواد في تاريخ الجزيرة العربية عام ١٤٢٨هـ
- وحصل أيضا على مجموعة من الدروع التقديرية، منها درع إثنينية الأستاذ عبد المقصود خوجة، ودرع تكريم الشعراء من وزارة الثقافة والإعلام بمناسبة معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٢٨هـ ..

وهكذا شملت مشاركاته: الشريعة والتاريخ والأدب، وتفرعت مشاركاته الأدبية لتشمل الشعر والمقالة، والمسرحية، وأناشيد الأطفال، والدراسات الأدبية والنقدية.

*** مؤلفاته :**

١ـ الرائد في علم الفرائض/ دار الفكر دمشق ١٩٦١م ، طبع عشر مرات آخرها عام ١٤٢٩هـ.

٢ـ شعراء من أرض عبقر (دراسة لمجموعة من الشعراء السعوديين ـ جزآن) نادي المدينة المنورة الأدبي ١٣٩٩هـ.

٣ـ شعر الحرب في الجاهلية بين الأوس والخزرج (دراسة)/ مؤسسة علوم القرآن بيروت ١٤٠٠هـ.



٤ـ المدينة المنورة في العصر الجاهلي (الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية ـ دراسة)/ مكتبة دار التراث بالمدينة ١٤٠٤هـ.

٥ـ المدينة المنورة في العصر الجاهلي (الحياة الأدبية ـ دراسة)/ مكتبة دار التراث بالمدينة ١٤٠٤هـ.

٦ـ المدينة المنورة في صدر الإسلام (الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ـ دراسة)/ مكتبة دار التراث بالمدينة ١٤٠٤هـ.

٧ـ المدينة المنورة في صدر الإسلام (الحياة الأدبية ـ دراسة)/ مكتبة دار التراث بالمدينة ١٤٠٤هـ.

٨ـ مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، والموقع التاريخي الرائد/ دار التراث بالمدينة ١٤١١هـ.

٩ـ أدبنا في آثار الدارسين/ بالاشتراك/ النادي الأدبي الثقافي بجدة ١٤١٢هـ.

١٠ـ البنات والأمهات والزوجات في المفضليات وأشياء أخرى/ نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١٩هـ.

١١ـ أسد بن الفرات ومسرحيات أخرى/ الناشر: المؤلف ١٤١٩هـ .

١٢ـ في الأدب السعودي/ النادي الأدبي بحائل/ ١٤١٩هـ.

١٣ـ آفاق وأنفاق (مجموعة مقالات)/ نادي مكة الثقافي والأدبي ١٤٢٢هـ.

١٤ـ متابعات ومبادآت (مجموعة مقالات)/ نادي أبها الأدبي ١٤٢٢هـ.

١٥ـ نبآت ونبوات (مجموعة مقالات)/ الناشر: المؤلف ١٤٢٣هـ.

١٦ـ محمد عالم أفغاني من رواد المقالة والقصة والترجمة بالمملكة العربية السعودية نادي جدة الثقافي والأدبي ١٤٢٣ هـ.

١٧ـ محمد سعيد دفتردار مؤرخا وأديبا/ نادي المدينة الأدبي، ١٤٢٤هـ.

١٨ـ في محاورة النص، تطبيقات وتأويلات، ١٤٢٥هـ.

١٩ـ عبد الرحمن عثمان مبدع الشعر ومنجب الشعراء/ نادي المدينة الأدبي / ١٤٢٥هـ.

٢٠ـ الصفع بالكلمات (صفعة على قفا مدخن) ـ الناشر: المؤلف ١٤٢٦هـ.

٢١ـ الأفاشير وأضغاث أخرى من القول (مجموعة مقالات) ـ الناشر/ نادي المدينة الأدبي ١٤٢٧هـ.

٢٢ـ أسرة الوادي المبارك في الميزان ـ صدر عن مكتبة الملك عبد العزيز ١٤٢٦هـ.

٢٣ـ في الغناء بالفصحى انتماء للهوية وانتصار للعربية ـ الناشر: المؤلف/ ١٤٢٧هـ.



٢٤ـ الشيب في الشعر العربي القديم (دراسة وتقويم) نشر: نادي القصيم الأدبي/ ١٤٢٨هـ.

٢٥ـ مدخل إلى علم ثلاثيات القرآن الكريم (توصيف وتأصيل) الناشر المؤلف/ ١٤٢٩هـ.

٢٦ـ قراءة في دفاتر بعض الحمير .. وهو هذا الكتاب.

* تحقيقاته :

١ـ الفصول في سيرة الرسول للحافظ ابن كثير (بالاشتراك مع زميل)/ ١٤٠٠هـ.

٢ـ المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية، للحافظ أبي القاسم علي بن بلبان المقدسي (بالاشتراك)/ دار التراث ودار ابن كثير ١٤٠٣هـ.

٣ـ عارف حكمة ـ حياته ومآثره ـ وهو (شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم) لأبي الثناء الألوسي/ دار التراث بالمدينة ١٤٠٣هـ.

٤ـ ديوان محمد أمين الزُّلِلي/ دار التراث ١٤٠٥هـ.

٥ـ ديوان عمر إبراهيم البري/ ١٤٠٦هـ.

٦ـ المرور بين العلمين في مفاخرة الحرمين لنور الدين الزَّرَنْدي/ دار التراث ١٤٠٧هـ.

٧ـ المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للحافظ السخاوي/ دار التراث ١٤٠٩هـ.

٨ـ المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي للحافظ السيوطي/ ١٤٠٩ هـ.

٩ـ ديوان إبراهيم الأسكوبي/ دار التراث بالمدينة ١٤٠٩هـ.

١٠ـ ديوان فتح الله بن النحاس/ دار التراث بالمدينة ١٤١١هـ.

١١ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير للحافظ أبي الفتح محمد بن سيد الناس اليعْمَري/ بالاشتراك مع زميل/ دار التراث بالمدينة ودار ابن كثير ١٤١٣هـ.

* دواوينه الشعرية :

١ـ أمجاد الرياض (ملحمة شعرية في حياة الملك عبد العزيز)/ شاركت في طباعته دارة الملك عبدالعزيز ١٣٩٤هـ.

٢ـ غناء الجرح/ نادي المدينة المنورة الأدبي ١٣٩٧هـ.

٣ـ همسات في أذن الليل/ نادي المدينة المنورة الأدبي ١٣٩٧هـ.



٤ـ حروف من دفتر الأشواق/ نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١٠هـ.

٥ـ تفاصيل في خارطة الطقس/ نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١١هـ.

٦ـ مرافئ الأمل/ النادي الأدبي الثقافي بجدة ١٤١٣هـ.

٧ـ تأويل ما حدث/ نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١٨هـ.

٨ـ أسئلة الرحيل/ دار البلاد للطباعة والنشر/ الناشر: المؤلف ١٤١٩هـ.

٩ـ في دائرة الغبار/ نادي جيزان ١٤٢٤هـ.

١٠ـ ثرثرة على ضفاف العقيق (مختارات من شعره) ١٤٢٤هـ.

١١ـ على أعتاب المحبوبة/ نادي المدينة الأدبي/ ١٤٢٥هـ.

١٢ـ الوجه الآخر للعملة (ديوان شعر) الناشر/ المؤلف/ ١٤٢٧هـ.

* * *



Readings in

THE NOTEBOOKS OF DONKEYS

An Examination of the Depiction of Donkeys in Arab Heritage

By: PhD. Muhammad al-'Eid al-Khatrāwi

هذا الكتاب

رغم أن الله تبارك وتعالى قَرَنَ بين الحمير وبين الخيل والبغال، وامتنَّ علينا بخلقها، وبأنها للركوب والزينة ونقل الأحمال، فهي من نعم الله على الإنسان، التي يجب أن يقابلها بالحمد والشكر، فإننا جميعاً لا نذكر اسم الحمير إلا ونردِفُه بقولنا: (أكرمك الله) وما أشبه ذلك منَ العبارات التي تعبّر عن الاستحياء، ولا نفعل ذلك مع الخيل مثلاً، فهل المسؤول عن هذه التفرقة بين البهائم الناسُ المنعَمُ عليهم؟ أم المسؤول عن ذلك سلوكيات الحمير؟! كيفما كان الأمر، فإنني أفترض أن جهوداً كبيرةً بُذلت لغرس الكُرْهِ في قلوب الناس للحمير، مما سبّب هذا الانفصال بيننا وبينهم، وأدى إلى اتخاذ القرار بإبعادهم عن مواطئ أقدامنا، وحتى ساحات ألعابنا، لا أقول هذا دفاعاً عن الحمير، كما أنني لا أكتب الآن منافحةً (عنهم)، أو دعوة إلى الرفقة بها، فإنني مثؤور منها موتور، ولكن أفعل ذلك وأقوله طمعاً في تحقيق شيء من العدالة الاجتماعية، ومطالبةً بعدم تصدير الحمير الإنسية، والتمكين لها بين الناس!

المؤلف


9 789957 231187


دار الفتح للدراسات والنشر
www.alfathonline.com

تلفاكس ٤٦٤٦١٩٩ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب ١٨٣٤٧٩ عمّان ١١١١٨ الأردن
info@alfathonline.com

